العدد ٧٩ ـ رمضان ١٤٠٢ هـ ـ يوليه ١٩٨٢ م




الدوحة



مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية



تعالوا نقدس حرية الكلمة!

خالد محمد خالد

أغرب قضية يرفعها الحيوان ضد بني آدم!

د. أحمد الحوفي

ثورة طه حسين على نفسه!

د. محمد جابر الأنصاري



حوار مع فرانسوا ساجان





جيمس دين وألفيس بريسلي حياة قصيرة

إلى الذين يطالبون نزار قباني بالانتحار :



بقلم : رجاء النقاش

في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها الأمة العربية ، كنت أود أن يكون حديثي هذا الشهر الى القراء متصلا بالمحنة الراهنة وهي حرب الابادة التي تشنها اسرائيل ضد العرب في لبنان ، ولكنني آثرت أن أواصل حديثي عن « الأمراض » التي يعاني منها المجتمع العربي في المجال الأدبي والفكري ، الذي هو ميدان مجلة « الدوحة » والحقل الذي تعمل فيه ، فهذه الأمراض في تقديري هي التربة التي تنمو فيها سائر المحن التي نتعرض لها ، وهي التي تساهم في خلق التمزق الذي يعاني منه الانسان العربي والمجتمع العربي معا ، ولو أننا أدركنا خطورة هذه الأمراض ، وواجهناها بالحل الصحيح ، لاستطعنا أن نقف في وجه التحدي الذي نتعرض له ، ويهدد جيلنا الحاضر ، بل وأجيالنا القادمة بالضياع .

ومن الواضح الآن أن هناك طبقة من أصحاب الأقلام في الوطن العربي ممن يحاولون دائما أن يخلقوا « معارك غير أساسية » تحددها لهم أفكارهم الخاطئة ومشاعرهم المريضة ، والهدف من مثل هذه المعارك المفتعلة واضح تماما ، فالمطلوب – عند هؤلاء – أن يبتعد المواطن العربي عن التركيز على مشاكله الحقيقية التي يعاني منها أكبر المعاناة .

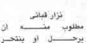
دعوة إلى الانتحار

ولنترك هذا الحديث العام ، ولننتقل منه الى القضية التي نريد أن نطرحها هنا ، فقد قامت بعض الأقلام بشن حملة عنيفة تطالب بطرد الشاعر نزار قباني من مصر بعد أن وصل الشاعر إلى القاهرة وأعلن هناك أنه يفكر في أن تكون مصر واحة يستقر فيها ، فهي بالنسبة له المكان الذي يناسبه كشاعر وانسان ، فقد عرف مصر من قبل وأحبها واطمأن فيها على الدوام ، وهو يختار أن يعود إليها الآن بعد فراق اليم . ولكن الذين هاجموا « الشاعر » بعد وصوله إلى مصر ، جعلوا من أقلامهم سيوفا وحرابا ، وطلبوا « دم » نزار قباني .. بعضهم تواضع ونادى بطرده من البلاد ، وبعضهم الآخر سارع إلى تحديد هدف مختلف وطريف هو : دعوة نزار إلى الانتحار ، وبالقاء نفسه من شرفة الفندق الذي ينزل فيه ليتحول إلى جسد هامد على شاطىء النيل ، والبعض ، من أصحاب هذه الأقلام ، قرر رفع قضية أمام المحاكم المصرية يطالب فيها بطرد نزار قباني من مصر .

وإذا استطعنا أن نكون موضوعيين وهادئين وأن نكظم ما في نفوسنا من غيظ شديد ، فاننا نتساءل : ماذا يريد أصحاب هذه الأقلام ، ولماذا يطالبون بطرد شاعر عربي يقيم فوق أرض عربية - ؟ .. إن هؤلاء المفكرين « البواسل » إنما يريدون معاقبة « نزار قباني » على شعره السياسي الذي كتبه ونشره منذ ١٩٦٧ إلى اليوم ، ففي هذا الشعر ما يدين نزار – من وجهة نظر



نزار قبانى
مطلوب منه ان يرحل او ينتحر





جمال عبد الناصر
كان يقبل نقد الشعراء بشجاعة على عكس ما يشاع عنه



شعراوى جمعه
شاهد مسرحية « الفتى مهران » ولم يوافق على منعها



غازى القصيبى
قصيدة غاضبة عن محنة بيروت

هؤلاء الكتاب ـ ويجعل منه شخصا غير مرغوب فيه على أرض مصر .

وتبدأ قصة نزار قبانى وشعره السياسى منذ أن استيقظنا ذات صباح ، فى ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ، لنجد أن العرب قد تلقوا ضربة قاصمة من اسرائيل خلال ساعات قليلة ، ولم يبق من القوة العربية يومها سوى اللافتات التى تملأ الشوارع بالتهديد والوعيد ضد اسرائيل ، ثم الأغانى الوطنية والموسيقى العسكرية التى تملأ الاذاعات وقنوات التليفزيون ، حتى صوت احمد سعيد الذى كان يجلجل فى إذاعة صوت العرب بكل الثقة فى النصر واليقين فى ان العدو مهزوم ، مهزوم .. حتى هذا الصوت سكت عن الكلام المباح ، وانسحب من الميدان ، ولعله احس انه كان يمثل «دورا» لا علاقة له بالواقع الحقيقى المرير .

ولن نواصل سرد المآسى التى صاحبت هزيمة ٥ يونيو هذه والتى يعرفها الجميع ، من صور القتلى والمشردين فوق رمال سيناء ومن وقوع القدس والضفة الغربية والجولان فى ايدى الغزاة ، ومن الدمار الذى أصاب المدن الثلاث الكبيرة على قناة السويس ، وكانت هذه المدن أشبه بالعرائس الساحرة التى تستحم فى الماء ، فصارت مدنا من الخرائب والأطلال التى لا يسكنها البشر ، هذه هى الصورة التى صاحبت ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ثم عادت الصورة تتكرر فى أرض عربية اخرى فى ٥ يونيو سنة ١٩٨٢ ، حيث قامت اسرائيل بمذبحتها الجديدة فى لبنان ، ولم يكن فى هذه الفترة التى تمتد خمسة عشر عاما من اللحظات المشرقة التى تحمل بعض الأمل للانسان العربى ، سوى تلك الأيام القليلة الرائعة من عام ١٩٧٣ ، وفيها اتحدت الارادة العربية ، وحققت نصرها الوحيد خلال هذه السنوات الطويلة الممتدة .

فى هذه المحنة العربية المتصلة ماذا يملك الفنان ان يقول ، سوى أن يعبر عن غضبه وألمه وضيقه بالواقع وطموحه إلى خلق واقع جديد مختلف ؟ .. ذلك هو الطريق الوحيد امام الفنان الصادق ، ليس فى الوطن العربى وحده ، ولكن فى اى مكان من العالم يمر بظروف مشابهة ، وعند اى فنان له قيمة ، ولديه ضمير وطنى وإنسانى سليم .

ونترك قضية نزار قبانى قليلا ، لنقول إنه على مدى العصور المختلفة كان الشعراء العظام دائما هم الشعراء الغاضبون . فالأدب أساسا ـ كما يقول اندريه جيد ـ « يأخذ قيمته الحقيقية وتأثيره الباقى من الغضب والتمرد وقوة الأدب هى قوة المعارضة فيه ، والفنان العظيم هو بالضرورة ذو شخصية تختلف عما اعتاد عليه الناس ولابد له ان يسبح فى مواجهة تيار عصره » .

هذا ما يقوله أندريه جيد ، وهو حق ، وليس الهدف من ذلك كله أن يتخذ الفنان موقفا شاذا ملفتا للنظر ، بغير غاية او سبب ، ولكن الهدف هو ان يحرك مجتمعه لكى ينهض ، وينتبه إلى ما يحيط به من اخطار ، ولكى لا يقع هذا المجتمع فى حالة من الاسترخاء تصيبه بالطمأنينة الوهمية وانعدام الخوف من المستقبل ، وهذه الصفات كلها معناها ان تتلاحق المصاعب والمصائب والنكبات على مثل هذا المجتمع ، فلا يستيقظ إلا على أحداث مثل أحداث ٥ يونيو ١٩٦٧ و ٥ يونيو ١٩٨٢ ، وقد وقعت هذه الاحداث الكبيرة ونحن غافلون عن كل المظاهر والمقدمات التى سبقتها ، وكانت بمثابة الانذار الصريح لنا .

أدب الترف والاسترخاء

إن الشاعر الحقيقى فى كل أمة إنما يمثل ما يمكن ان نسميه إذا صح التعبير باسم « القوة الغضبية » ، ولا يمكن لشاعر فى أمة ناهضة تتعرض للمتاعب والمصاعب وتريد ان تتخلص من المشكلات التى تواجهها ، ان يكون شاعرا متفرجا ، يكتب عن الهوى والحنين ، والعشق والأنين ، ان مثل هذه الحالة معناها الوحيد ان هذه الامة وشعراءها يمرون بعصر من عصور التدهور والانحطاط وهذا ما كان من حال العرب فى أيام « دويلات الطوائف » فى الأندلس ، فبعد ان استطاع العرب على مدى ثمانمائة سنة ان يتقدموا فى الأندلس ويحققوا مستوى حضاريا عاليا ويصمدوا فى مواجهة الغرب صمودا شديد الصلابة والقوة ، بعد هذا كله ، سقط عرب الأندلس فيما سمى بعصر « الطوائف » ، وكان من ابرز علامات هذا العصر ، ان عرب الأندلس لم يكونوا يدركون حقيقة المحنة التى يتعرضون لها ، ففى حين كان اعداؤهم فى الغرب يجمعون السلاح فوق السلاح ، وينظمون انفسهم فى جيوش قوية مستعدة للكفاح الطويل ، كان عرب الأندلس فى عصر الطوائف ، غارقين فى الترف السهل المريح وفى الرخاء الشكلى الذى جعل من خمارات الأندلس أشهر مظاهر الحياة فيها ، ومن مجالس الأنس ابرز معالم النشاط بين أهلها جميعا ، وكان ذلك كله من علامات الانهيار الذى حدث بعد ذلك بقليل ، حيث خرج العرب من الأندلس مهزومين مطرودين ، بعد ان كانوا قوة كفيلة ـ لو لم يسقطوا فى اللهو والاسترخاء ـ ان تبقى فى الأندلس ، كما بقى المهاجرون الأوربيون فى امريكا ، واستقروا فوق ارضها إلى اليوم .

وفى عصر ملوك الطوائف كما يسمى فى صفحات التاريخ ، ظهرت على سبيل المثال شاعرة عربية أرستقراطية هى « ولادة بنت المستكفى » كانت تكتب على أحد « فساتينها » الأنيقة الرائعة بالتطريز وخيوط الذهب شعرا يقول « على الجانب الأيمن » :

أنا والله أصلح للمعالى
وأمشى مشيتى وأتيه تيها

لا تستخفوا من غضب الشعراء

وتكتب على نفس « الفستان » من الجانب الايسر :

وأُكَوِنُ عاشقي من صحن خدي
واعطى قبلتى من يشتهيها

ويحدثنا العقاد عن هذه الفترة من تاريخ العرب والأدب العربى فى الاندلس فيقول : « بروج الأدب فى ايام السقوط كما بروج فى ايام الرفعة ، والمعول فى الحالين على نوع الادب ومادته ، لا على كثرته وندرته ، ولقد راج الادب رواجه المعروف فى أيام اضمحلال الاندلس وإدبار دولتها ، وما راج فيها الادب الخاص بايام ملوك الطوائف إلا لاضمحلال وإدبار الدولة ، فانه قد شاعت على عهدهم مجالس المنادمة واللهو بين الرؤساء والكبراء ، بل نزلت إلى مصاف السوقة والعامة ، وقعد الناس لها ولاقتناء التها والتبارى فيها ، ثم دعت الحاجة إلى النظم والمطارحة فى هذه الملاهى ، فدار ادبهم كله على هذا المحور ، فكان الغلام او الجارية لا يُساوَمُ فيهما إلا على قدر حظهما من الادب ، وكان الفتى لا يظْرُف محضره ويعذُبُ سمره حتى يروى من مُلَح النظم والنثر ونوادر الشراب والمجون ما يناسب تلك المجالس ويصلح ان يدور مع الكاس على الندماء ، فانعدم الشعر الأصيل وكسد الادب الجذل وراجت سوق الأدباء والمؤدبين فى الاندلس لهذا السبب ، لا لشوكة الدولة ، ومنعة الملك والأمة » .

المراة والوطن

فهل يريد الذين جعلوا من اقلامهم خناجر تطعن الشعراء ، وتطالبهم بالموت والانتحار ، ان يصبح ادبنا ادب استرخاء ، ويصبح شعراؤنا « مطربين » فى مجالس اللهو .. كل ذلك فى عصرنا العربى الراهن الذى ترتفع فيه المحنة حتى تمس كل انسان وتهدد حاضره ومستقبله ؟ .. هل يريد اصحاب هذه الاقلام من نزار قبانى ان يتفرغ لوصف الفساتين وتسريحات الشعر وهو سيد من يفعل ذلك لو يقدر عليه ؟ .. لقد تغير نزار قبانى بسبب امانته وإحساسه بالقهر والجرح فترك كل شىء وراءه ، ليعبر فى شعره السياسى عما يراه بقلبه ووجدانه فى محنة الانسان العربى فى هذا العصر ، وفى هذه الايام التى لا يجد فيها الطفل فى جنوب لبنان بيتا ولا اما ولا ابا ولا دولة .. هذا التحول عند نزار قبانى مهما كانت قيمته ومهما كان الرأى الفنى فيه ، هو الذى دفع نزار إلى كتابة قصائده الغاضبة ، وهى القصائد التى لم تعجب هؤلاء الذين يكتبون فى الدعوة الى طرده من مصر ، وفى « إقناعه » بضرورة الانتحار فوق شاطىء النيل حتى يغسل « ذنوبه » التى تتجسد فى شعره السياسى كله ، وهذا التحول فى نفسية نزار قبانى هو الذى دفعه الى ان يكتب هذه القصيدة القصيرة فيقول :

كلما غنيت باسم امراة
اسقطوا قوميتى عنى وقالوا :
« كيف لا تكتب شعرا للوطن ؟ »
فهل المراة شىء اخر غير الوطن ؟
اه ، لو يدرك من يقرؤنى
أن ما اكتبه فى الحب
مكتوب لتحرير الوطن

وسواء كان نزار فى هذه القصيدة يعنى فعلا ما يقول او كان يبحث عن التبرير الذى يدافع به عن ماضيه الشعرى الذى كانت المراة فيه موضوعا وحيدا واساسيا فى قصائده الاولى ، فان نزار يشعر الآن ، بل ومنذ ١٩٦٧ ، انه يعيش فى « ماساة الوطن » وهو لا يعيش هذه الماساة بصورة نظرية ، بل يحسها يوما بيوم ، فقد امتدت يد الماساة الى بيته ، فقتلت زوجته « بلقيس » وكان الشاعر يعيش فى بيروت منذ ١٩٦٦ حتى الأسابيع القليلة الماضية من عام ١٩٨٢ حيث سافر الى القاهرة لتواجهه تلك العاصفة العجيبة التى تطالب بطرده أو بانتحاره « أيهما أسرع » وفى بيروت عاش نزار قبانى المحنة العربية الكاملة ، حيث كانت هذه المحنة «فضيحة» غير مستورة ، تتكرر فى كل دقيقة ، مع طلقات الرصاص ، والاغتيالات والاشتباكات المسلحة بين «الاخوة الأعداء» ، والسيارات الملغومة ثم الاجتياح الاسرائيلى الأخير الذى اصبح خبره واضحا عند الجميع .

ان الغضب عند اى شاعر صاحب طبع سليم ، وضمير مستقيم ، واحساس صادق هو الانفعال الطبيعى فى مثل هذه الظروف التى تمر بها الامة العربية ، وليس المهم ان يكون ما يقوله الشاعر نتيجة لانفعاله الغاضب خطأ أو صوابا ، فالحقيقة لا تظهر الا بالمناقشة ، ولا تظهر الحقيقة ابدا بطرد الشعراء أو ذبحهم او دعوتهم الى الانتحار .

وإذا التفتنا الى تاريخ الأدب العالمى ، فسوف نجد ان « أعلامه الكبار » من الشعراء ، كانوا غاضبين بصورة من الصور ، وكان انتاجهم الادبى الاساسى هو « انتاج الغضب » ، وليس « انتاج الرضا والاسترخاء » فادب شيكسبير - على سبيل المثال - هو فى جوهره نوع من « ادب الغضب » ، فهو غاضب فى مسرحيته « يوليوس قيصر » على الطغيان والاستبداد والانفراد بالراى فى القضايا العامة وهو غاضب فى مسرحيته «ماكبث» على الطموح الشخصى المريض الذى يؤدى إلى الخيانة والجريمة ، ويدمر القضايا الخاصة والعامة ، وياكل الأخضر واليابس فى طريقه ، ويقود اصحابه إلى التعاسة ، حتى لو كانت بدايتهم مغرية بالنجاح والسعادة ، حيث ينتهى الأمر بالعكس إلى الفشل والدمار .

وشيكسبير فى مسرحية « الملك لير » يكشف خطورة النفاق فى العمل السياسى ، وقيمه التحفظ والنقد الصادق الصريح ، فما وقعت ماسى « الملك لير » كلها إلا بسبب تصديقه للنفاق واختلاط الامور فى ذهنه بين النفاق والحب الحقيقى والولاء الصادق ، ولو أن الملك لير صدق ابنته الصغيرة المتحفظة ، والتى لم تشا وهو فى قمة سلطانه ان «تسحره » بالكلمات المعسولة والوعود الخادعة ، لما تعرض لماسيه التى وقعت له بعد ان تخلى عن السلطة ، فقد نفض المنافقون ايديهم منه فى أول لحظة ، ووقفت إلى جانبه الابنة الصادقة التى كانت متحفظة ذات يوم ، وكانت حريصة على الصدق معه ايام ان كان فى قوته وعنفوانه . وفى مسرحية «هاملت» يغضب شيكسبير ايضا ، وكان غضبه فى هذه المسرحية موجها إلى ذلك « الشىء العفن فى الدانيمرك » ، وقد ملأ شيكسبير مسرحيته بما يؤكد ان المجتمع « فى الدانيمرك أو غيرها » لا يمكن ان يقوم على « شىء عفن » ، وخاصة إذا كان هذا العفن فى قمة المجتمع ، فلا نجاة لأى جماعة تتسرب إلى حياتها « قطرة من العفن » فقطرة العفن سرعان ما تتحول إلى بحر هائج وهادر يؤذى الجميع ، ظالمين ومظلومين ، ويحمل الدمار إلى كل شىء .

لم يكن شيكسبير شاعرا راضيا ، بل كان شاعرا متمردا ، وكان من اكبر الغاضبين فى تاريخ الشعر العالمى ، ومع ذلك كانت مسرحياته هذه تظهر فى عصره ، وكانت الملكة « اليزابيث » ، مع كبار رجال الدولة والمجتمع فى عصر شيكسبير يحضرون عرض هذه المسرحيات ، ولم يقل احد منهم: اطردوا شيكسبير من انجلترا ، فالتاريخ والأساطير التى يجعل منها إطار مسرحياته ما هى إلا اوهام ومحاولة لتضليل الرقباء عن حقيقة ما يعنيه الشاعر من نقد

لم يقل احد فى عصر شيكسبير هذا القول بل كان الشاعر هو الذى يقول ما يحس به ويعانيه .

المتنبى والمعرى

وإذا نظرنا إلى تاريخنا الأدبى العربى وجدنا ان اكبر شاعرين فيه وهما المتنبى والمعرى كانا فى حقيقة أمرهما شاعرين غاضبين ، فكل شعرهما الرئيسى إنما هو تعبير عن الاعتراض والرفض والطموح إلى ما هو افضل وارقى ، وقد دخل المتنبى معارك الحياة فى عصره ، فتعرض للسجن فى شبابه ، وتعرض لحروب اخرى مختلفة فى بقية حياته ، حتى انتهى به الامر إلى ان يموت قتيلا على يد بعض اعدائه ، وعندما اختلف المتنبى مع سيف الدولة ، الذى عاش المتنبى فى ظله تسع سنوات ، اعلن الشاعر غضبه فى أعنف صورة ، وكتب قصيدته المشهورة التى قرأها فى مجلس سيف الدولة والتى قال فيها :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا
باننى خير من تسعى بــه قــدم

ولم يكن موقف المتنبى مبنيـــا على « الغرور » كما يبدو فى الظاهر ، بل كان نوعا من الدفاع الغاضب عن النفس ، ونقدا شديدا لأوضــــاع لم يكن المتنبى يرتضيها لنفسه ولا لأفكاره فى بلاط سيف الدولة ، وذهب المتنبى بعد ذلك إلى مصر بدعوة من كافور واتفاق معه ، ولكن كافور نقض اتفاقه مع المتنبى وجعل من إقامته فى مصر عذابا اليما للشاعر الكبير ، فانتفض الغضب فى قلب المتنبى ، وكان الغضب فى هذه المرة عنيفا قاسيا ، فكتب المتنبى قصائده الهجائية الحادة ضد كافور وضد عصره ونظامه السياسى ، وقد جاء فى هذه القصائد الهجائية ما يبدو انه نقــد لمصر وشعبها ، مثل قوله فى احـــدى قصائده :

وكم ذا بمصر من المضـــحكات
ولكنـــه ضـحك كالبـــكا

او قوله :

اغايـة الديـن ان تحفوا شواربـكم
يا امـة ضحكت من جهلهـا الامـم

غير ان الأدباء والباحثين فى مصر ، جيلابعد جيل ، لم ينظروا إلى شــعر « المتنبى » فى « كافور » على أنه نقد لمصر وشعبها ، بقدر ما اعتبروه نقدا لكافور وعصره ، ولذلك فديوان المتنبى مطبوع ومقروء فى مصر ، وافضل شرح عصرى لهذا الديوان اعده اديب مصرى هو الشـــيخ عبد الرحمن البرقوقى ، والأدباء المصريون يحفظون قصائد المتنبى فى هجاء كافور ، بل ان شاعرا مصريا كبيرا هو حافظ ابراهيم قد كتب فى احدى قصائده الغاضبة هذا البيت :

وكم ذا بمصر من المضحكـات
كما قال فيهـــا ابو الطــــيب

والجامعات المصرية تدرس شعر المتنبى وهناك بحث كبير ممتاز اعده احد الاساتذة الجامعيين فى مصر عن « كافوريات المتنبى » او بعبارة اخرى عن « قصائد المتنبى فى مصر » والباحث الجامعى هـو الأســتاذ الدكتور النعمـــان القاضى ، واغلب الظن انه يقوم بتدريس بحثه لتلاميذه فى الجامعة ، ولم يجد هذا الباحث عائقا من « مصريته » يمنعه من دراسة أشعار المتنبى الغاضبة عن كافور وعن مصر ، بل درس شعر الشاعر بموضوعية ، وادرك ان غضب الشاعر كان له ما يبرره ، من سوء معاملة كافور للمتنبى ومن فساد الحياة الثقافية والادبية فى عصر كافور .

ونحن الان إذا اردنا ان نبحث عن وثائق حية ، نرى فيها جانبا من جوانب الحقيقة فى عصر كافور ، فسوف نجد أمامنا قصائد المتنبى فى مصر ، إن هذه القصائد لا تثير فينا الشعور « بالاستفزاز » او « النفور » ، بقدر ما تثير فينا الحماس والحيوية وكل المشاعر التى تجعلنا نرفض دائما ان تتكرر الأخطاء التى كانت تقع فى عصر كافور ، من طغيان وعدم احترام للفكر والأدب والثقافة ، وغير ذلك من الظواهر التى يرفضها الضمير فى مصر على مر العصور . فاشعار المتنبى الغاضبة فى مصر ، مازالت حتى اليوم تعمل فى نفوسنا عملها الايجابى ، وتحرك فى مشاعرنا كراهية لاي طغيان يسيطر على مقادير الناس والبلاد .

وإذا تركنا المتنبى لنتحدث قليـــلا عن « المعري » وجدناه هو الآخر « شاعرا غاضبا » على المجتمع والناس فى عصره ، ولذلك فقد اعتزل الحياة ، ورفض ان يخوض اي معـركة فى عصره ، سوى تلك المعركة الكبرى ضد ما كان يراه شرا فى هذا العصر ، وقد بقى لنا شعره الخالد ، ليحرك فينا منذ اكثر من الف سنة إلى الآن قوة « الغضب » ضد الخطا والشر والطغيان والتفرقة بين الناس فى اي عصر أو مكان .

ونحن لم نسمع بان احدا يطالب بمنع قراءة المتنبى أو المعري ، أو يمنع دراستهما فى مدارسنا وجامعاتنا ، رغم ما يقوم عليه ادب الشاعرين الكبيرين من الغضب والنقد والرفض ... لقد جنينا من غضب الشاعرين ادبا عظيما ، يعيش بيننا جيلا بعد جيل ، ولسنا وحدنا الذين ننظر إلى أدب المتنبي والمعري هذه النظرة بل إن العالم المتحضر كله ينظر إلى أدب هذين الشاعرين على انه جزء من الأدب الانساني الخالد على مر العصور ، وليست الدراسات التى كتبها الأوربيون عن المتنبي والمعري ، باقل فى قيمتها من الدراسات التى كتبناها نحن العرب عن هذين الشاعرين على ان الأهم من ذلك كله ، هو ان المتنبي والمعري فى شعرهما الغاضب إنما يعيشان فى أعماق الضمير العربي ، فنحن نقرا شعرهما الغاضب فنشعر بالواجب نحو عروبتنا وتاريخنا وكرامتنا العامة والشخصية « فى شعر المتنبي » ونحو انفسنا ومجتمعنا وقيمنا الانسانية « فى شعر ابى العلاء » ، وهكذا فاننا لم نخسر شيئا من غضب الشاعرين الكبيرين بل كسبنا الكثير ، اما ادب الرضا والاسترخاء والتزويق الشكلي الخارجي ، فلا اثر له ولا قيمة فى حياتنا اليوم ، ولم يكن له اثر ولا قيمة فى حياة الأجيال العربية السابقة ، فهو ادب « للزينة » ، نقراه فى لحظات الترفيه ثم ننساه عندما ندخل معركة الحياة ونتعرض لمطالبهـا الصعبة ، وتحدياتها العنيفة ، فنحن نتذكر شعر المتنبي والمعري فى كل مواقف الحياة الصعبة ، ولكن من منا يتذكر شعراء الترف واللهو والرضا بالحياة والبحث عن جانبها اليسير السهل والحرص على التلاؤم معها وقبولها كما هي على علاتها مهما كان فيها من اخطاء تثير الغضب والتمرد والرفض ؟!

محنة بيروت

ونصل اخيرا إلى الشعر العربي المعاصر لنجد الجانب الغاضب فيه جانبا اساسيا له تاثيره الكبير وله قدرته على ان يحركنا ويوقظ فينا حيوية الضمير ، وبدون هذا « الغضب الشعري » فاننا نكاد نبدو امام انفسنا وامام العالم كله امة ميتة ، وجثة حضارية هامدة لا أمل فيها ولا حياة ، فالشعر الغاضب يمثل فينا علامة اساسية من علامات الوجود والاستمرار ، بعد ان سقطت قلاعنا المادية والروحية ، واصبحنا نتشبث بامل واحد هـو المستقبل .

ماذا يمكننا أن نطلب من الشعر ونحن نرى محنة بيروت ، ونتفرج عليها فى مشاهد تلفزيونية مفجعة تمر بنا كل يوم ... ماذ يمكن ان ننتظر من الشعراء إن كانوا صادقين وموهوبين وحساسين لمشاكل امتهم سوى ذلك الشعر الغاضب المتلىء بالمرارة ، وهذا ما نجده عند الشاعر غازى القصيبي ـ مثلا ـ عندما يكتب عن « بيروت » قصيدة غاضبة تملانا

بالسخط على انفسنا وتضعنا امام مسئوليتنا الروحية والمادية في وجه المأساة ، فيقول في هذه القصيدة :

بيروت نحن الالى ساقوك عارية
للموت يصرخ في عينيك تعذيب
كم ناشدتنا شفاه فيك ضارعة
وكم دعانا عفاف فيك مسلوب
فما استفاق ضمير في جوانحنا
مخدر في ضباب الزيف محجوب
حتى إذا ضحك الجلاد .. ما دمعت
عين ولا غص بالآهات مكروب
سقطت وانتفض التاريخ يلعننا
واطرقت في اسى المجد المحاريب

وفي هذه القصيدة الغاضبة الصادقة ، ما هو اقسى من هذه الابيات واعنف منها ، مما قد لاتستطيع نشره مجلة عامة مثل « الدوحة » ، فليقرأ بقية القصيدة من يبحث عن غضب حقيقي في الشعر ، هدفه ان يوقظ هذه الأمة ويحرك وجدانها ، ويثير فيها عزم الحياة وقوة الارادة ، حتى تصبح قادرة على مواجهة المحنة والوقوف في وجه عدو لا يعرف الاسترخاء ولا يعترف بالحق والعدل .

نقد عنيف

والنموذج الأخير الذي اقدمه في هذا المجال هو مقاطع من شعر عبد الرحمن الشرقاوي ، فقد كتب الشرقاوي في الستينات مسرحيتين ، إحداهما عن ثورة الجزائر باسم « جميلة » سنة ١٩٦٢ ، والثانية ايام حرب اليمن باسم « الفتى مهران » سنة ١٩٦٦ ، والمسرحيتان مليئتان بالشعر الغاضب ، ولقد كان عبد الناصر عند ظهور المسرحيتين في قمة قوته وسلطته ، ومع ذلك فقد تم عرض المسرحيتين على مسرح الدولة ، رغم ما احس به الجمهور والنقاد والسلطة جميعا من ان المسرحيتين مليئتان بالنقد العنيف الغاضب ، ولم يقل احد للشرقاوي ارحل عن مصر ، بل لم يصدر قرار من عبد الناصر بمنع عرض المسرحيتين او إحداهما ، ولم يتكلم الذين يتكلمون الآن ضد نزار قباني ... لم يتكلموا بشيء ضد الشرقاوي ولم يثيروا ما يثيرونه اليوم من الأعاصير ضد نزار .

في مسرحية « جميلة » يقول الشرقاوي :

دولة الصياد عادت لا تبالي
والمسوخ الشائهات اليوم تستل النخاع
من رؤوس الحكماء
إنه عصر الأفاعي .. عصر مصاصي الدماء .
إنما الديدان تقتات باعصاب الفضائل
ها هي الغيلان فوق السور حراس علينا
كل شيء شاحب من حولنا
مضطرب لا بل وكاذب
وقميء وزري !
العقارب
وثبت تنهشنا من كل جانب
ومعاني الحب جفت
والخمائل
سحل الذئب عليها
والرذائل
تسكر الآن باعصاب الوجود
زمن الرعب يعود
ها هي الفوضى تسود !
....
عاد سلطان الذئاب
نحن في عصر العذاب
....
هو عصر الخرق المرقعة
هو عصر الخرق المرقعة

اما في مسرحية « الفتى مهران » فاننا نجد الشرقاوي يشتد ويعنف اكثر من ذلك «ولنذكر مرة اخرى ان هذا الشعر قيل في عصر عبد الناصر وفي ايام قوته وسلطانه النافذ قبل ١٩٦٧ » ... يقول الشرقاوي في «الفتى مهران» :

وهذا كله من حصاد الخوف
هذا الخوف منك
يجعل الناس كاعواد تردد
كل ما ينفخ فيها من عبارات الولاء
إن هذا الخوف منك
هو لن يهدم غيرك
فاعتراض صارخ ممن يحبك
لهو خير الف مرة
من رضا كاظم غيظ يرهبك

ويقول «الشرقاوي» في نفس المسرحية :

إننا ننذر إنذار الصديق
إنه لو ظلت الحال على هذا لشاع اليأس
واليأس مضلل

ثم يقول «وكان عرض المسرحية سنة ١٩٦٦ ، وكما اشرت ، كانت حرب اليمن مستمرة في ذلك الحين» :

.. لا تسر بجيش البلاد الى ما وراء حدود الوطن
فإنّا سنؤخذ بالناصية
جميعا وانت على راسنا
ويلقى بنا الى الهاوية

وما اكثر التلميحات الاخرى في هذه المسرحية ، بل إن تسميتها بالتلميحات ليس دقيقا ، فهي تصريحات واضحة ، ذات مغزى مباشر . وعندما اثير الهمس حول هذه المسرحية وما تقصد اليه وتعنيه ، ذهب وزير الداخلية في ذلك الحين وهو السيد شعراوي جمعة ، لمشاهدتها واتخاذ قرار امني بشانها وكان هذا القرار هو استمرار عرض المسرحية وعدم ايقافها ، واستمر عرض المسرحية بالفعل فوق خشبة المسرح القومي منذ ٩ يناير الى ١٥ فبراير سنة ١٩٦٦ ... ولم تتعرض لها سلطة من سلطات المنع والايقاف .

إن الادب العربي والعالمي مليء بشعر الغضب ، بل إن شعر الغضب هذا هو ابرز الوان الشعر العالمي واكثره اتصالا بوجدان الامم وضميرها ، فهو شعر يمثل دافعا قويا من دوافع الحركة والحياة والتطور ومواجهة الصعوبات الكبرى التي تعترض الشعوب . ولم يكن شعر نزار قباني «الغاضب» إلا لونا من الوان الشعر الذي يحرك الضمير ويوقظ الروح والنفس ، ويحض الانسان العربي ويحرضه على عدم السقوط في الرضا والاسترخاء والاستسلام للواقع ، خاصة وان الواقع العربي مليء بالمشاكل والمصاعب الكبرى ، بل إن العرب جميعا إنما يمرون اليوم بما يمكن تسميته بمفترق الطرق ، فاما ان ينهضوا ويقيموا مجتمعاتهم على اساس حقيقي راسخ من العدل والحرية والتحضر ، او انهم سوف يصبحون فريسة لقوى تؤدي بهم الى الدمار والتدهور ، وتجعل الحياة السليمة بالنسبة للاجيال العربية نوعا من المستحيل .

الشعر والأمن

فلتسكت هذه الاقلام التي تهاجم نزار قباني ، وغيره من الشعراء الغاضبين وليعلم اصحاب هذه الاقلام ان « الشعر الغاضب» لا يخيف الامم الحية ، بل يدفعها الى النهوض والقوة ويوقظ ضميرها وقدرتها على المواجهة ، في المواقف العصيبة . وليتوقف اصحاب هذه الاقلام عن ان يكونوا اكثر حرصا « على الأمن » من «أجهزة الأمن» فالكاتب الحر ليست مهمته هي ان يشارك اجهزة الامن في وظيفتها التي تعرفها جيدا ، ولكن مهمته دائما هي ان يدافع عن العقل والضمير وحرية الغضب عند الشاعر والفنان والكاتب ، فالغاضبون هم الذين يحسون حقا بما يعانيه الانسان في بلادهم من ألم ومعاناة .

الغاضبون حقا ... هم الصادقون .

رجاء النقاش



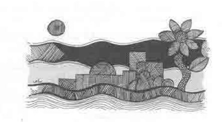
رســـالة

محمد
الفهد
العيسى

عَلَى (جِذْعِ الدَّوْحَةِ) .. لوَّنْتُ .. كتبتُ أنا بالأمس
حرفاً يَكْتَالُ الفَيْءَ
وحُبَيْبَاتِ الطَّل ..
الآتى بين يديْ مَركَبَةِ الشَّمْس
التَّوقُ .. الشَّوقُ .. على الشاطىءِ ..
موالٌ فوقَ جناح نُسَيْمَاتِ اللَّيْـــل ..
وعِقْدُ الفلِّ الثلْجِيّ ..
على الجيدِ الغجريّ ..
يَشْرَقُ فى لاعجِ أسطورةِ بَابل
فى عينيَّ وُلُوعٌ ..
ما أقْسَى أنْ يَغْرَقَ فى وَمْضَةِ هَمْس

●●●

سارَرْتُ حمامةَ أيكٍ ..
أن تحمِلَ فى ظلِّ جناحَيْها .. رَشْقَةَ عِطْرٍ
مما أبقَيْتِ بكَفَّيَّ .. وبوْحَ قصيدَه
هَدَلَتْ .. رفَّتْ .. رفَّتْ ..
حطَّتْ فوْقَ الشرْفَةِ فى (الرَّيانِ) ..
(شَلَحَتْ للطفلةِ غَمْراً ..) ..
من أحرفِ حبٍّ ..
نَسَجَ الدوحُ نشيدَه



عندما كان الضمير الأدبيّ حيًّا

ثورة طه حسين على نفسه

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

تحدث الباحثون كثيراً عن الفارق النوعي بين كتابي « فى الشعر الجاهلى » و « على هامش السيرة » لطه حسين ولكن لا أدرى إن كان أحد الدارسين قد لاحظ الفارق الكبير ، بل التحول النوعى أيضاً ، فى المنطلق والاهتمام وطبيعة المعاناة بين كتاب طه حسين « مستقبل الثقافة فى مصر » الذى أصدره عام ١٩٣٨ ، وبين كتابه الآخر « المعذبون فى الأرض » الذى كتب مقالاته بين ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧ ثم جمعها تحت العنوان المذكور عام ١٩٤٩ .

أما أنا فأرى أن طه حسين فى « المعذبون فى الأرض » لم يثر فحسب على مجمل الأوضاع الاجتماعية والعامة بمصر فى ذلك الوقت ، ولكنه ثار أيضاً على اتجاه طه حسين نفسه . الفكرى والحضارى ، وعلى مجمل أفكاره ومواقفه السابقة التى يمثلها خير تمثيل كتابه « مستقبل الثقافة » .

أى أن طه حسين ، اتباعاً للحق ،قدثارعلى طه حسين قبل كل شىء ! والفارق الزمنى بين الكتابين ضئيل بعدد السنين ، لكنه غير يسير بمقياس الأحداث لأن السنوات القليلة الفارقة كانت سنوات الحرب العالمية الثانية بكل ثقلها وضغطها وتفاعلاتها على الساحة العالمية والعربية وعلى الساحة المصرية ، بوجه الخصوص ، حيث تأزمت المعضلات الاجتماعية والاقتصادية بعد الحرب إلى درجة تنذر بالخطر وتتطلب تفكيراً جديداً ومعالجات جديدة لأوضاع المعذبين فى الأرض .

نظرته تلك وتفاؤليا إلى درجة مثالية مفرطة .

ولأن طه حسين رجل شديد الحساسية ، وذو ضمير حى ونفس صريحة تتقبل الحق وتنشده وتعلنه بوضوح وإباء حتى لو كان على ذاتها ، فقد اخذ يتكشف له ان ما تعانيه الغالبية العظمى من مواطنيه من ضنك وفاقه وما يعتمل فى صدرها من تطلعات وما تؤمن به من قيم لا يتفق مع حلمه الليبرالي التغريبى الذى يريد أن يضع مصر فى خانة الدول الاوربية المختلفة عنها فى الظروف والنظم والجذور ، بينما هى فى حقيقتها جزء من عالم اخر وحضارة اخرى وانتماء قومى مغاير وطبيعة مختلفة . من هنا سر هذه الثورة العارمة التى اعتملت فى كيانه ودفعته لكتابة تلك المقالات الغاضبة التى تضمنها كتابه « المعذبون فى الارض » ، وذلك منذ أن وضعت الحرب أوزارها عام ١٩٤٥ وانكشفت نوايا الغرب ومخططاته تجاه « حلفائه » و « اصدقائه » من المصريين والعرب الآخرين .







ثلاث لقطات للدكتور طه حسين الأولى بالعمامة والثانية وهو يلبس الطربوش والثالثة بدون غطاء للرأس

اما كتاب « مستقبل الثقافة » فقد كتبه طه حسين انطلاقا من إنجاز معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا التى اعتبرها حدثا إيجابيا ومشرفا ـ رغم انتقاد المعارضة الوطنية لها ـ ووجد فيها خاتمة سعيدة لنزاع مصر مع أوربا سياسيا ، وبداية جديدة واعدة باحياء جذورها « المتوسطية » ـ اى صلتها الحضارية بالغرب ـ وعودتها إلى المشاركة فى الحضارة الأوربية « الأم » التى اعتبر مصر جزءا منها منذ عهود الفراعنة والاغريق ، وذلك عبر الرابطة المتوسطية ، اي التفاعل الدائم من خلال البحر الأبيض المتوسط ، وهى الرابطة ذاتها التى ما يزال الاتجاه المستغرب او التغريبى فى لبنان يستند إليها فى تبرير ارتباط لبنان بالغرب ، والتى حاول عدد من الأدباء المصريين ، مثل توفيق الحكيم ولويس عوض ، العودة إلى إحيائها فى مصر قبل سنوات قليلة ، عندما دعا الاول إلى حياد مصر على الطريقة السويسرية وانعزالها عن شئون منطقتها ، وعاد الثانى فى الكشف عن افكاره القديمة ، فى رفض الرابطة العربية واللغة العربية ـ ايضا ـ وإلى إحياء اللهجة العامية وإقامة قومية إقليمية على نمط القوميات الأوربية . (راجع كتاب « الانعزاليون فى مصر » للأستاذ رجاء النقاش) .

ولقد كان طه حسين من جانبه شديد الحماسة ، قوى الايمان بفكرة إنهاض مصر بأسلوب الحداثة الغربية والنهضة الاوربية شكلا ومحتوى ، طريقة وغاية . وهو من هذا المنطلق كان شديد التفاؤل عندما راى جانبا من خلاف مصر السياسى مع القوة الاوربية المحتلة ينحل ـ او هكذا بدا له ـ بمعاهدة ١٩٣٦ (التى سماها النحاس باشا « معاهدة الشرف والكرامة » عندما وقعها ، والتى قرر إلغاءها بنفسه عام ١٩٥١ باعتبارها مخلة بالشرف والكرامة) .

وقد استنتج طه حسين ساعتئذ ان الفرصة التاريخية قد حانت ـ بعد التوصل للمعاهدة ـ لتحديث النظام الدستورى الليبرالي الذى بدأ بمصر رسميا بدستور عام ١٩٢٣ والذى راى فيه طه حسين تعبيرا عن اعتناق مصر للحضارة الغربية اعتناقا لا رجعة عنه منذ مطلع نهضتها وتفضيلا منها للقيم الأوربية الخالصة على القيم التى ورثتها عن شرقها العربى الاسلامى فى الدين والسياسة والاجتماع ، اى فى مجمل الانتماء الحضارى ، فعمد من هنا إلى تاليف « مستقبل الثقافة » ليطرح فكرته هذه ويدعو إلى العمل بها .

غير ان الاحداث والتطورات والشواهد المصرية الواقعية اثبتت له انه كان تبسيطيا فى

زمان آخر مختلف

وكان طه حسين جديرا بهذه المراجعة وهذه المصارحة مع النفس قبل غيره لان التحولات اصابته هو بالذات فى صميم فكرته التحديثية الموالية ـ حضاريا ـ للغرب والتى ذهبت إلى حد القول بان : « مصر كانت دائما جزءاً من اوربا فى كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية » !!

لهذا ينضح كتاب « المعذبون فى الأرض » بتلك الروح التى تجسد ضيق طه حسين وبرمه بما ال اليه النظام الليبرالى الذى علق اكبر الآمال على تطوره وإصلاحه . يقول : « صدقنى ان الخير كل الخير للرجل الحازم الاديب أن يفر بقلبه وعقله وضميره من هذا الجيل . فان اعجزه الفرار الى بلاد اخرى ، فلا اقل من ان يفر الى زمان اخر من ازمنة التاريخ » .

والزمان الذى يفر إليه طه حسين فى هذا الكتاب ليس هو الزمان الذى حلم به فى كتاب « مستقبل الثقافة » . انه ليس زمان التاريخ للتوسطى القائم والواصل بين الفراعنة والاغريق وبين الخديوى اسماعيل والملك لويس الرابع عشر ، ولكنه زمان اخر مختلف تماما . انه زمان العدل المثالى فى صدر الاسلام يقارن بينه وبين زمان المحنة فى مصر الليبرالية ، ويقدم من مناقبه امثلة يامل ان يحتذيها الاثرياء





ثورة طه حسين على نفسه

للصريون العصريون . وهنا يخفت بريق التاريخ للصرى المتوسطى ، الفرعونى الاغريقى الرومانى ، ويبرز وجه مصر الواقعى الذى خرج منه عبر المعاناة والألم صبي كتاب « الأيام » نفسه . ويغيب كلمح البصر ذلك الحلم التغريبى ، وتلتقى البداية بالنهاية فى ساعة الحقيقة ، فاذا « المعذبون فى الارض » عـــام ١٩٤٩ صبيان مصريون ريفيون تؤرقهم عوامل الخوف والجوع والعلل فى منتصف القــرن العشرين كما أرقت صبي كتاب الأيام فى نهاية القرن التاسع عشر (ولد طه حسين عـــام ١٨٨٩) .

لنتامل مثلا فى قصة الصبى « صالح » أبرز شخصيات الكتاب ، لنبصر على ضوئها النموذج الاجتماعى الذى يرمز إليه حيث يقول عنــه للؤلف : « واكبر الظن أن صالحاً هذا لم يوجد قط لأنه يملا المملكة المصرية من شرقها الى غربها ومن شمالها إلى جنوبها ، يوجد فى القرى ويوجد فى المدن .. يملا مصر نعمة وخيراً وهو مع ذلك يشعر الناس بان مصر هى بلد البؤس والشقاء » .

وابرز تطور يمثله الكتاب فى فكر طه حسين بوصفه معبراً عن الاتجاه الليبرالى التفاته الملح الى خطورة المشكلة الاجتماعية فى بناء النهضة وتحسسه لمشكلة التفاوت بين القلة المترفة والكثرة البائسة بشكل لم يسبق له مثيل فى تفكيره من قبل ، حيث كان تصوره حتى صدور كتابه « مستقبل الثقافة » بان الهم الرئيسى للنهضة هو استيعاب النظـــام التربوى الثقافى الغربى ومن ورائه قيمه وهويته الحضارية الأوربية .

ويختم طه حسين كتاب « المعذبون فى الارض » بهذه النصيحة الحارة التى اثبت التاريخ جدية مخاوفها : « إن المصريين بين اثنتين لا ثالثة لهما : إما أن يمضوا فى حياتهم لا يحفلون إلا بانفسهم ولذاتهم ومنافعهم ، وإذن فليثقوا بانها الكارثة التى لا تبقى ولا تذر ، وإما أن يستانفوا حياة جديدة كتلك التى عرفوها فى اعقاب الحرب العالمية الأولى (يقصد فترة ثورة ١٩١٩) قوامها التضامن والتعاون وإلغاء المسافات والآماد بين الأقوياء والضعفاء وبين الأغنياء والفقراء .. وإذن فهو التازر على الخطب حتى يزول » .

غير ان هذه الصيحة ، وإن سبقت حركة ٢٣ يوليو ببضع سنين فانها تاتى متاخرة قياساً بما كان يتوجب تاسيس النهضة عليه من رؤية اجتماعية محدودة ، وهى مازالت فى بداياتها بمطلع القرن .

ومن تجربة طه حسين هذه ، وتحولاته ، يمكن القول إن الليبرالية المصرية عرضت منجزاتها للاجهاض باغفالها أمر المعضلة الاجتماعية ـ حتى وقت متاخر جدا ـ وقصورها عن رؤية التناقضات الاجتماعية ومضاعفاتها الكامنة ، فى وقت كانت فيه قدوتها ، الليبرالية الأوربية ـ تتكيف مع التطورات الاجتماعية فى أوربا وتستبق مضاعفاتها وتتقبل ما تحتمه من حلول اجتماعية .

الفـــارق الجوهرى

واذا كان طه حسين لم يقل صراحـــة ان كتابه الثانى يلغى كتابه الأول وينقضه فان المتتبع لتطور فكر الكاتب يستطيع أن يرى بوضوح الفارق الجوهرى البالغ حد التضاد بين اهتمامات الكتاب الأول وميوله وبين اهتمامات الكتاب الثانى ورؤيته الجديدة . وبلا جدال فان طه حسين قد فقد إيمانه وتفاؤله بمستقبل الاتجاه التغريبي لاخفاقه فى تحقيق الحد الأدنى من العدالة الاجتماعية للغالبية الفقيرة الأمية من المجتمع التى اصبح الاصرار على القول بانها تنتمى حضارياً لأوربا ، وان «عقلها» عقل اوربى ! ضربا من الترف الطوباوي الذى لا تستسيغه صراحة طه حسين ولا حقيقة الاشياء .

واخيرا .. ما هو الدرس الذى نستخلصه من معاناة طه حسين وثورته على نفسه بين كتابيه ؟

الحقيقة كما راها

الدرس البسيط الواضح : هو ان اى كاتب ، مهما بلغ من شان ، لابد أن يتجاوز ذاته ، ويتجاوز قناعاته وافكاره ، عندما تثبت الأحداث خطاها ، ليعود إلى حقيقة امته ويتعمق فى فهم جذورها التى هى جذوره . فالبحث عن الانتماء من خارج الذات هو بحث عن السراب وتعبير عن النقص والعجز تجاه الآخرين .

والنقلة التى قام بها طه حسين من التطلع فى السراب عبر البحر المتوسط حيث أطياف الحلم الغربى أو التغريبي ، الى الرجوع الى أرض الواقع أرض المعذبين فى الأرض حيث الانتماء الحقيقى رغم معضلاته هذه النقلة يحتاجها عدد من المثقفين والأدباء الذين خامرتهم الاوهام ذاتها فى السنوات الأخيرة حول إمكانية احياء تلك الأوهام التغريبية هربا من وطاة الواقع ومسئوليات الانتماء ، وجريا وراء حوار حضاري مزعوم ليس فيه اى طعم للتحضر ..

والتاريخ فى الجوهر يعيد نفسه ، فهل يعيد الأدباء الحالمون بالعودة الى الغرب و « بالحوار الحضارى » مع مخلفاته فى شرقنا ، هل يعيد هؤلاء من واقع التجربة تلك الروح الناقدة الفذة التى أملت على عميد الأدب العربى أن يعيد النظر فى قناعاته ، ويتركها غير ماسوف عليها ، ليعلن الحقيقة كما يراها على أرض الواقع الصلب ؟

ذلك هو السؤال الذى تطرحه هـــذه المقارنة بين كتابين وبين موقفين . ونعتقد ان كتاب « المعذبون فى الارض » من الكتب الجديرة بالعودة اليها فى مثل هذه الظروف العربيـــة ، لأن الكتب والآراء الشبيهة بكتاب « مستقبل الثقافة » قـــد تناثرت كاوراق الخريف ، وعلاها الاصفرار قبل ان تزهر ، لانها ولدت ميتة اصـــلا ، من صلب جيل عقيم مشرف على خريف العمر وخريف الفكر .. ولم يجد ما يجتره غير هذه الأفكار الميتة .

وكل ما نرجوه ان يجد مؤرخو المستقبل فى المقارنة بين صدق جيل طه حسين .. وجيلنا الحاضر .. ما يعيد لهذا الجيل بعض اعتباره أمام التاريخ !

د . محمد جابر الأنصارى

قصيدة جديدة من : أمل دنقل

زهور



تناولت الدوحة فى افتتاحية العدد الماضي قضية الشاعر الكبير أمل دنقل الذى يرقد الآن مريضا فى إحدى مستشفيات القاهرة ، يصارع المرض ، حيث تحيط به قلوب محبيه من قراء الشعر الرفيع فى الوطن العربي كله ، وقد ارسل لنا « أمل » هذه القصيدة الجديدة الرائعة ، مع رسالة قصيرة يقول فيها :

« قرأت اليوم كلمة الدوحة ، وأشكركم على العاطفة التى أملت عليكم الوقوف بجانبي فى هذه الأيام ، وارجو ان ألفت انتباهكم إلى ان علاجي الآن صار على نفقة الدولة بقرار من رئيس الوزراء ولم يعد هناك لاثارة ـ لا استحقها ـ حول نفقات العلاج ، وارفق لكم قصيدة كتبتها بالأمس ، تحياتي للجميع ، وارجو ان تطمئنهم وتطمئن ـ أمل دنقل » .

عنوان أمل لمن يشاء ان يكتب إليه من عشاقه ومحبيه هو « شارع القصر العيني ـ معهد الأورام ـ القاهرة » .

..وسلال من الورد ؛
ألمحها بين إغفاءة وإفاقه
وعلى كل باقه
كلمة في بطاقه

... ...

تتحدث لي الزهرات الجميله
أن أعينها اتسعت ـ دهشةً ـ
لحظة القطف ،
لحظة إعدامها .. في الخميله !
تتحدث لي ..
أنها سقطت من على عرشها في البساتين ،
ثم أفاقت على عرضها في زجاج الدكاكين ،
أو بين أيدي المُنادين ،
حتى اشترتها اليد المتفضلة العابره
ثم جاءت إليَّ ..
(وأحزانها الملكية ترفع أعناقها الخضر)
كي تتمنى لي العمر !
وهي تجود بأنفاسها الآخره !!

● ● ●

(آه .. أيتها الزهرة الباكيه
إنني أتشبث بالغصن ـ طيلة ساعاتي الباقيه
أتنفس ـ بالكاد ـ ثانية .. ثانيه)

... ...

كل صبح وليد
أتنقل ـ مثلكِ ـ بين الإناء الصناعي
والبسمة الكاذبه
غير أنكِ حين تموتين ..
ترتحلين بألوانك الصاخبه
وأنا ليس لي غير لون وحيد
لون شمسي النحاسية الغاربه !

تعالوا نقدّس حرّية الكلمة !

بقلم : خالد محمد خالد

كان سقراط يقول قولته الصادقة : « ان الحياة لا تستحق الاعتبار اذا لم نقومها بالحوار والمناقشة » .

واذا سلمنا بهذا المبدأ وهذه الحقيقة فعلينا أن ندرك بداهة أن الحوار لا يكون بالأذرع والعضلات ، وانما هو مرهون بالكلمة ملفوظة أو مسطورة .

ومهما نكتب عن جلال الكلمة وقداستها وحقها المطلق فى الحرية فسوف يظل الموضوع فى حاجة إلى المزيد . لاسيما فى بلادنا هذه . بلاد العالمين العربى والاسلامى ، حيث تعيش شعوب امست ذاكرتها مثقلة بالصمت النائح ، وامست لا تجد حقها المسلوب فى أن تتحدث عن مصيرها وسياستها بقوة ووضوح .

ان الامم تجاوز الظلام ، وتتخطى العماء ، وتخترق أسوار العزلة .. بل انها لتعطى شهادة ميلادها ووثيقة ادميتها اذا قدست فيها حرية الكلمة ، وقدت عنها كل الكوابح والاغلال . اما قبل ذلك فانها تكون الى السوائم أكثر قربا .

ولقد كان بدء انطلاق البشرية يوم ازاحت عن الأفواه أقفالها . يومئذ أرهص المصير الانسانى بكل مغانمه المقبلــــة ويومئذ تغيرت صورة الأرض . فلم تعد كما كانت من قبل غابة .. بل صارت وطنا .. واتيح للجنس البشرى ان يكتشف وجوده وجوهره .

لقد اصبحنا بشرا يوم تفتح فينا الفكر وتفجرت الكلمة من بين شفاهنا ، ومن بين اناملنا التى تحمل الاقلام .

وحين نقول الفكر والكلمة ، فنحن لا نعنى شيئين متغايرين ، فالفكر ووسائل التعبير عنه شىء واحد . والكلمة التى هى اوضح ادوات التعبير تمثل 'الضــــوء المنبعث من الكوكب العظيم .

وحرية الفكر ، تعنى تماما حرية الكلمة .. وحين تفكر فانت تتكلم حتى لو لم تنفرج شفتاك ويتحرك لسانك ، إذ أن عملية التفكير نفسها إنما تشكل حديثا نفسيا ـ فالتفكير حديث العقل مع نفسه . ولقــد اثبتت تجارب العلم أن الحبال الصوتية تهتز حين يفكر الانسان فى صمت تفكيرا عميقا .. فخنق الكلمة خنق للفكر ، وخنق الفكر إلغاء لدور الانسان ووجوده ، لأن الانسان لم يعد انسانا الا حين غرس الله العقل فى دماغه ، والكلمة على لسانه وبنانه .. !!

• •

والكلمة المسطورة بصفة خاصة ذات مقام عظيم ومنزلة حافلة . فهى السفير الذى يقضى العمر جوابا بين العصور والاجيال ، يصل بينها ما انقطع ، ويحيى ماانذثر . وهى وحدها التى تهب الخلود لأثار البشر وتاريخهم .. هى التى تجمعنا وتجمع الاجيال الوافدة بأفذاذ الخلق ورواد الحياة .

فسقراط الذى اختفى عن دنيا الناس منذ حوالى الفى عام واربعمائة عـــام ، تجمعنا به الكلمة المطبوعة ، وكانه حي بيننا يغدو ويروح ، مطلا علينا بجبهته العريضة وحكمته الكاسحة .. وهى التى تسمعنـا تغاريد بوذا عند سفوح الهملايا ، وتنقل الينا حكمة حمورابى من اعماق بابل !!

كم هى رائعة هذه « الكلمة » ..

فبينما ينقض الموت على النـــاس ، وياخذهم بعيداً بعيداً عن الحياة الدنيـا وكانهم لم يوجدوا ، نرى الكلمة المسطورة او المطبوعة تستنقذ من ذلك الموت الداهم اخبارهم وتراثهم وحكمتهم ، وتستبقى للأجيال افضل واغنى ما فى حياتهم من روح وفكر ، ثم تهب ذلك جميعا خلودا تتحطم على ذراه كل إرادة الفناء ومحاولات العدم ..

وبهذا ـ ايضا ـ تمكن الحياة الانسانية من ان تبلغ رشدها ، وتتيح للتقدم الانسانى ان يواصل مســـيرته ويحقق اكتماله .

فالكلمة المسطورة التى ســـجل بهـا ديمقريطس ، وابيقور حدسهما عن الذرة وما فى جوفها من طاقة ، بقيت جنينا حيا ناميا يتقلب فى الوعى الانسانى عصراً بعد عصر وجيلا فى اثر جيل بلغ فى عصرنا هذا اشده واطلقت طاقة الذرة من مكمنها ..

والكلمة المسطورة التى سجل بها العالم المسلم « علاء الدين بن النفيس » فكرته عن الدورة الدموية وتنقية الدم فى الرئتين بسبب امتزاجه بالهواء الخارجى .. هذه



جان بول سارتر .. كان يرى ان الفرق بين الانسان والحيوان هو ان الاول يستطيع ان يقتل نفسه .. بينما الحيوان لا يستطيع !

ـ «تعالى .. لا أستطيع الانتظار .. ان كل شيء يتوقف» !

في هذه الثانية .. كانت عبارة لسارتر تخبط راسي بعنف ، كانها جاءت استطرادا للمعنى .. لم أتذكر اين قراتها ، لكنها تقول :

● «ان تنقذى انسانا يا صغيرتى .. ليس هذا كل شيء .. المرغوب حقا أن تعطيه وسيلة الحياة اولا» !

لكن .. كيف ؟!

تساءلت شجاعا ، وقد تخلصت من «وقفة الأيام» ، وانتظرت الانفتاح المؤمل في ذهنى ان يجيب بلا عقابيل ، بلا وقفة ، بلا ايام . يجيب بعطاء الزمن .. باحترام الزمن ونحن ننصهر فيه من اجل امتلاك وسيلة الحياة !

وتموجت اجابتى .. كانها نسمة ليل فى اعماقى .. كنت ابعد عن تصورى حاضر «سارتر» واقرب حاضر «ديجول» ، واتذكر ايام «سارتر» قبل «وقفتها» الاخيرة ، واقول :

إن معنى الانقاذ الفعلى أن تتحد الرغبة ـ أولا ـ ثم .. تلتئم الوسائل حتى المزج ! .. بعدها ـ وبعدها فقط ـ امتلك زمام شجاعة جديدة تجعلنى اموسق عبارة مجنحة حفظتها ، هى للشاعر الاسبانى «جستافو ادلفو» وتعنى :

● «حينما ارنو الى الافق الازرق الذى يتلاشى من بعيد .. يخيل الى انى استطيع انتزاع نفسى من تلك الأرض الموحشة ، وانى استطيع أن أطفو على الغمام العائم» !

عبارة غنية بالشعر .. إلا أن تأمل الحياة في ذاته منسحبة من هذا الاحساس .. نمنح الروح متنفسها ، حتى لا يحدث بينها وبين العقل ذلك «الارتطام» مرة اخرى .. وحتى لا يكون هناك حكم يشمل «وقف التنفيذ» .. لكنه يستهدف الروح ، وبذلك يتعرض العقل لـ «وقفة الايام» كما عبر عن ذلك احمد الزيات يرحمه الله !

التساوى فى العواطف بين اثنين .. بداهة «ـ ان لم تتاكد ـ فان القيم الحسية ، والاعتبار الشعورى ، والاحترام لمعطيات الروح تتحول الى انفلاشات تقتل الانسان بشيء لا يدريه .. تجعله اشبه ما يكون بالحيوان الرطيء ، وليس كل الحيوانات تقتل نفسها باللادراية .. بينما هناك كثير من الآدميين يفنون انفسهم بكل العلم ! ولا ادرى كيف تناسى «سارتر» عبارته التى عرق لحظة صياغتها ، والقائلة : «ان الفرق بين الانسان والحيوان هو ان في استطاعة الانسان أن يقتل نفسه ، بينما الحيوان لا يستطيع» ! .. ذلك أن سارتر مفكر كان «يتعاطى» احترام المثقفين له في العالم .. في الوقت الذى وقف هو «يوما» فامن جدا وحتى العدم باللاتساوى فى العواطف بين اثنين .. فاصيب بالانفلاش الوجدانى الذى ابعده أن يلائم بين قيم الحس ، واعتبار الشعور من جهة .. وبين ارتفاع الانسان بفكره ، ومبادئه من جهة اخرى .

التساوى فى العقول ، والذهن .. بعيدة بداهتها ، لكن «الارتطام» يتمثل عندما يحدث الانفصام بين الشعور والفكر !!

إن «شالز جارفس» ليس اكثر من روائى اشتهر فى العالم بجودته للحبكة فى الرواية .. مع ذلك ، ومن خلال قراءتى التى اخذت فى تذكر معانيها ، هو لا يصنع العداء بين شعوره وفكره الى درجة الارتطام !

فى رواية «شارلز جارفس» انتصر الحب على اللقب وعلى الفوارق ، وسما الشعور بالفكر .. صهر الارهاصات التى اضنت التفكير ، وبلورت كل التاملات الوافدة من «توقع» يحسب حساب «وقفة الايام» . والحصيلة التى بدت ـ اخيرا ـ أن العاطفة والفكر هما التزاوج الملح الذى يعكس معنى «وسيلة» الحياة .. اما الحياة نفسها فانها تاتى فى تنشيط اشياء تتوقف احيانا .. تتوقف لنقول لها : تعالى .. لا استطيع الانتظار !!

«كميلن» لم تنفصل عن نفسها .. كانت مع نفسها ، فاحبت الانسان لا اللقب .. بينما «الليدى ماريون» بطلة الرواية الثانية احبت اللقب والانسان واللذة .. لكنها ارتفعت بعمق الحب عن كل هذا ، لتحب الصداقة فى الانسان !

إن الروح دائما هى جوهر الحياة ، وبذلك ياتى الانتصار .. بعد كل انتظار مرهق تذيبه دعوة متحدة .. فيها امتزج الشعور والتامل !!



المعداوي بين رشدي صالح وسيد قطب

بقلم : محمود السعدني

أغرب شيء انني عندما رأيت انور المعداوى لاول مرة فى حياتى على قهوة محمد عبد الله ، حسبته ضابطا بالقوات المسلحة . فقد كان طويل القامة متين البنيان رافع الراس على الدوام . ولم يكن وحده حين رايته اول مرة ، ولكن كان بصحبته صديقان قدر لهما ان يشتهرا فيما بعد . احدهما كان يساريا اشتغل بالسياسية فى البداية ثم طلق يساريته نهائيا بعد ان ذاق مرارة السجن ، واحترف الصحافة فى النهاية ومات مقهورا ، فقد كانت نهايته عكس بدايته ، وكان سلوكه عكس معتقداته ، وذهب دون ان يترك اثرا فى حجم موهبته !

والآخر كان اشتراكيا اسلاميا ، واشتهر بعد ذلك كاحد زعماء جماعة الاخوان المسلمين ، ثم قدر له ان يدفع حياته ثمنا لكتاب اصدره فى الستينات هو « معالم الطريق » وبالرغم من غيابه عن دنيانا كل هذه السنين ، إلا انه لا يزال يعتبر الاب الروحى لكل الجماعات الدينية المختلفة التى ظهرت فى مصر وربما فى العالم الاسلامى ! كان الاول هو احمد رشدى صالح ، وكان الرجل الآخر هو سيد قطب . وكان الثلاثة يجلسون فى قهوة عبد الله ، وكان الحديث بينهم يدور حول مجلة جديدة فى طريقها الى الصدور ، هى مجلة « الفجر الجديد » . الغريب ان الثلاثة تجرعوا الموت قهرا وان اختلفت الوسائل . لقد اكتشف رشدى صالح ان الكفاح طريق ليس له نهاية فآثر ان يبتعد ، وارتاد طريقا آخر هو طريق اكل العيش . ولكنه اكتشف بعد فترة انه كسب عيشه وخسر موهبته ! وكانت النتيجة الاحساس بالقهر والمرارة ثم الموت بعد ذلك . وكان موته الأدبى قد سبق موته الرسمى بفترة طويلة .

وكان سيد قطب نموذجا يختلف كل الاختلاف عن رشدى صالح . اكتشف منذ البداية ان الطريق الذى يسلكه يؤدى الى السجن والى القتل ، فأسرع الخطى على الطريق الذى اختاره ، وعندما صعد على حبل المشنقة ادرك ان طريقه المادى قد انتهى ليبدأ طريقه اللانهائى ، وهو الذى أدى به الى الخلود والى الابدية ! وكان انور المعداوى نموذجا ثالثا . لم يكن سلبيا متعايشا مع الظروف كرشدى صالح ولم يكن فدائيا كسيد قطب رفض الخضوع مع العيش الناعم ، ورفض الثورة حتى الموت . وعندما اكتشف أن قوى البطش أعتى وأعنف ، انفجر فى داخل نفسه شيء ما ، ولم يلبث أن قاطع الحياة كلها ومات .

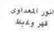
ولعل هؤلاء الثلاثة هم مصر كلها فى تلك الفترة . ولن تجد بين طائفة المثقفين نماذج خارج هذا المثلث : رشدى صالح ، المعداوى ، سيد قطب !

وقد يقول قائل ، هناك نماذج اخرى انسجمت اهدافها مع ارزاقها ، فعملوا وانتجوا ولمعوا فى كل عهد ، وتضخموا وتضخمت ارصدتهم فى كل وقت !

واجيب هؤلاء باننى اتكلم عن طبقة المثقفين ولأن الثقافة ليست معلومات ولا هى حرفة ولا هى فهلوة او عملية تفتيح عين . ولكن الثقافة هى وجهة نظر ، وهى موقف ، وهى طريق يختاره المثقف ويكون مستعدا لأن يدفع حياته ثمنا له ! ولقد كان هؤلاء الثلاثة من خيرة المثقفين فى مصر . كان رشدى صالح من أهالى البر الشرقى فى الصعيد ، وهى أفقر منطقة فى مصر وربما فى العالم . وعندما تخرج فى كلية الاداب كان قد وضع كتابه عن « الادب الشعبى » هو العمدة حتى الآن فى هذا المجال . وهو المرجع الوحيد عند علماء الغرب عن الفن الشعبى المصرى الحديث . ومن خلال هذا الكتاب كان رشدى صالح قد حدد موقفه تماما من الأشياء والناس وصراع الحياة . ولقد ساقه هذا الموقف الى السجن فقضى خلف اسواره عدة سنوات كانت كفيلة بتغييره من الضد الى الضد . وعندما اجتاز بوابة السجن كان شخصا اخر هو الذى خرج . واضطر من شدة الخوف ان يؤلف كتبا ضد رفاق الطريق السابقين . وان يقاطع شلة شبابه المبكر . حتى قهوة عبد الله لم يعد يتردد عليها . وفى النهاية قطع صلته باقرب الناس اليه ، ولم

سيد قطب
صلابة واستشهاد





انور المعداوى
قهر وغيظ



رشدى صالح
هروب وسلبيه

يشاهده احد خارج دائرة عمله مدة عشرين عاما متصلة !

سيد قطب كان شيئا اخر يختلف .

كان اشتراكيا اسلاميا ومع ذلك لم يتردد لحظة فى ان يشارك رشدى صالح فى اصدار مجلة ضد حكومة الزمان ! وكان يختلف عن كل الذين يجالسهم فى قهـوة عبد الله ، ويختلف معهم ، ولكنه ابدا لم يقطع حبل الود بينه وبينهم . كان يحب الجميع ويحترم الجميع ايضا ، وبالرغم من مشاغله الكثيرة كان حريصا على التردد على قهوة عبد الله بين الحين والآخر . لم ينقطع عنها إلا بسبب سجنه .. وعندما غادر سجنه كانت القهوة قد زالت من مكانها ! بل لقد حرص خلال فترة سجنه الطويلة على أن يسرب خطابا من خلف الاسوار الى صديقه انور المعداوى . بعكس رشدى صالح الذى استوقفته ذات مرة فى الشارع وابلغته بان المرض قد اشتد على انور المعداوى ، وانه فى طريقه الى الموت . عندئذ نظر الى رشدى بلا مبالاة وقال فى هدوء « ما احنا كلنا عايشين ياعم سعدنى» ولم يزد حرفا بعد ذلك !

واذا كان سيد قطب قد مات شهيدا ، ورشدى صالح قد مات ضائعا ، فان انور المعداوى كان يقف فى المنتصف تماما بين رشدى وسيد قطب . فهو لم يكن من طبقة الشهداء ، كما انه لم يكن من النوع الذى ياكل عيشه بالجبن ، ولذلك مات مقهورا وانفجرت شرايين دماغه من شدة الغيظ ! ولكنه حتى برغم المحنة لعب دورا رئيسيا فى حياة الجيل الذى سبقنا والجيل الذى ننتمى إليه . ذات مساء كانت القهوة عامرة بنخبة من الادباء والشعراء والفنانين ، وكان زكريا الحجاوى يتحدث عن مجلته الجديدة « الميزان » التى فى طريقها الى الصدور ! وراح زكريا الحجاوى يتحدث بحماس عن الواقعية الجديدة التى سترفع شعارها مجلة « الميزان » . وفى النهاية طلب من جميع الحاضرين ان يساهموا فى المجلة باقلامهم وانتاجهم . ثم خص انور المعداوى برجاء ان يكتب افتتاحيـــــة « الميزان » . ولكن انور المعداوى ابدى فتورا شديدا واعتذر بحسم ، ووعد زكريا بالتفكير فى الأمر بعد صدور المجلة . وبعد ايام تقدمت باصول قصة قصيرة لتنشر فى « الميزان » . وانتظرت على نار موعد صدور المجلة . فلما صدرت اصابتنى احباط شديد فقد خلت صفحاتها من قصتى . وكانت بعنوان « الواعظ » . وهى عن واعظ كفيف مهمته إلقاء خطبة الجمعة فى مسجد ليمان طره الرهيب . ولم يكن يؤم مسجد الليمان الا المحكوم عليهم بالسجن مدى الحيـاة . وبالرغم من ذلك لم يخرج الواعظ الضرير عن خطبة واحدة كان يكررها كل اسبوع ، وكانت عن مناسك الحج الى بيت الله الحرام ، وشروط الزكاة !!! وزاد من همى اننى قرات بحثا فى « الميزان » منشورا على ثمانية صفحات للاستاذ بكر الشرقاوى ، وبالرغم من كل الجهد الذى بذلته لم افهم حرفا واحدا من البحث المنشور ! وشعرت باننى لست اديبا ولن اكون !! لان كلامى مفهوم يفهمه اى طفل واى إنسان ولو كان حظه يسيرا من التعليم ! وقلت لنفسى هذا هو الأدب الصحيح . لا يفهمه إلا الأديب الذى كتبه وربما حلقة ضيقة من الكتاب والأدباء . كان البحث حافلا بتعبيرات من نوع « الاستبطان الاستغلاقى والشواشى العليا للبرجوازية الكومبرادورية التى تحقق مصالح طفيلية من اجل ضرب النمو الاستاتيكى والديناميكى على السواء » !! وفى المساء كنت اجلس حزينا مهموما على قهوة محمد عبد الله ، وحين جاء انور المعداوى ادرك اننى مهموم وان كان لم يدرك السبب . وعندما سالنى عما إذا كنت قد قرات الميزان ، اجبته بنعم ، ونطقتها باسى شديد . وراح انور المعداوى يبدى رايه فى مجلة الميزان . وانزاح همى كله عندما اكتشفت ان انور المعداوى ــ وهو اديب لاشك فى ذلك . لم يفهم هو الآخر حرفا واحدا من بحث بكر الشرقاوى . كما ان المجلة بلا هوية وبلا اتجاه .. كما ان كتابها .. اقل من المستوى وبعضهم لم ينضج على الاطلاق » !! وشكوت لانور المعداوى ما حدث لقصتى واستبعادها من النشر ! وطلبها انور المعداوى وبعد ان قراها وضعها فى مظروف وكتب بضعة سطور لصاحب مجلة ادبية شهيرة تصدر حتى الآن فى بيروت ! وقلت له بيروت !؟ مستحيل . انهم لم يسمعوا باسمى قط فكيف سينشرونها ؟ وابتسم المعداوى وقال فى هدوء ، بل سينشرونها اولا لانها قصة جيدة ، وثانيا لاننى قــــدمتك إليهـــم ! ولا استطيع الآن ان اصف مدى سعادتى حين اشتريت نسخة من مجلة الاداب لاكتشف ان قصتى التى رفضت « الميزان » نشرها ، منشورة فى « الآداب » وكانت اكثر المجلات الادبية احتراما فى الوطن العربى . وهذا الموقف الذى اتخذه انور المعداوى منى ، تكرر كثيرا فى حياته القصيرة . ادباء مغمورون لم يسمع بهم احد ، وكتـــــاب يزحفون فى سراديب عالم الادب ، اخذ انور المعداوى بيدهم إلى عالم الأضواء ، ولم يكن له شروط الا ان يكون الكاتب واعدا ومبشرا وموهوبا بحق . واما الآخرون فلم يكن يسخر منهم ، ولكنه كان يتجنبهم فقط واحيانا كان يسدى لهم النصيحة فى لين شديد ، وفى حب اشد ! مرة واحدة فقط ، ضبطت انور المعداوى فى موقف حاد نوعا ما تجاه احد الادباء . كان الاديب إياه ثقيلا ويفرض إنتاجه على الآخرين دون مراعاة لظروف واحوال الجالسين ! ذات مرة جاء وجلس معنا فى القهوة ، ثم راح يحدثنا عن قصيدته الجديدة العصماء . وكيف ستحدث هزة فى عالم الشعر والادب . ثم استاذن الحاضرين فى ان يسمعهم القصيدة ، ورد انور المعداوى بهـــدوء « بلاش دلوقت ، خصوصا إن عندى صداع ودماغى مش رايقة » ! ولكن اعتذار انور الرقيق لم يقنع الأستاذ الشاعر ، وفجاة سحب قصيدته من جيبه ، وراح يخطب على طريقة خطباء الأسواق وعندئذ هب انور المعداوى واقفا كمن لدغته عقرب ، وقال وهو يسرع الخطى « عن إذنكم انا ورايا ميعاد » !

وكانت هذه هى المرة الأولى والاخيرة التى رايت فيها انور حادا على نحو ما !

نحن جيل الدَّربُكَّه

بقلم: الدكتور عبد السلام العجيلي

ايام كان العرب يناضلون ليتخلصوا من ربقة الاستبداد العثماني ، فى مستهل هذا القرن ، ثار مرة جدل بين عربى وتركى حول مزايا شعبيهما واهلية كل منهما ليكون امة حديثة ، وعندما اخذ العربى يعدد الافذاذ من بنى قومه ويشيد بخصال الفرد العربى من ذكاء وفطنة ، ومن كرم وشجاعة وحمية قال التركى :

ـ نعم . نعم ... لا يسعني ان انكر ما تقول . ولكنى الخص المقارنة بيننا فيما يلى : الفرد العربى حبة رمل ... حبة صلبة قاسية ، وهى فى نفس الوقت حبة جميلة لانها مصقولة ولماعة . فى حين ان الفرد منا نحن الاتراك ذرة من تراب ، وكثيراً ما تكون ذرة هشة تافهة . ولكن جرب ان تجمع حبات الرمل وتجبلها لتصنع منها حجراً . انه سيكون حجرا قليل المقاومة ، سريع التفتت تحت اخف الضربات . اما ذرات التراب الهشة فانها حين تجبل بالمــــاء تصبح حجرا سهل التقولب ، ثم صخرة صلبة مقاومة ...

اتراه كان صحيحا تشبيه ذلك التركي ؟

فى الواقع ان الناس عامتهم وخاصتهم ينعون بهذا التشبيه وامثاله على العربى فرديته التى تجعله يؤثر الاستقلال بنفسه على الاندماج فى مسيرة الجماهير الموحدة الطريق والموحدة الهدف . وفى عصرنا هذا عصر الامميات الكبيرة ذات الاهداف الشاملة، الشاملة فى خيرها او الشاملة فى شرها ، تكون الفردية المفرطة حجر عثرة فى سبيل الجماهير الى اهدافها ، فلابد من تشذيب هذه الفردية وتهذيبهـــــا حتى تتـلاءم ومقتضيات العصر . ولعل هذه هى احـــدى غايات الثورات المتلاحقة في بلادنا العربية او احدى وسائلها لتحقيق تلك الغايات .

فالى اى مدى استطعنا ان نخرج بالفــرد العربي من طور حبة الرمل العصية على الاندماج الى طور ذرة التراب الهشــــة ، القابلة للتلاحم والتماسك مع مثيلاتهــــا الذرات الاخرى ؟

● بين الشعر والموسيقى

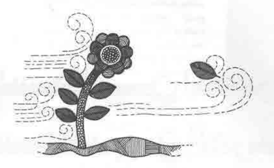
منذ اسابيع استمعت الى محـــاضرة صديق لي كان يعرض قضية فردية العربى بطريقة اخرى ، او بتشبيه آخر مخالف لتشبيه التركى ذلك الذى ذكرته آنفا . قال صاحبى المحاضر ان طبيعة الفرد فى الامة العربية هى طبيعة شاعرية ، فى حين ان طبيعة الافراد فى الامم المتقدمة فى عصرنا هذا هى طبيعة موسيقية . بمعنى ان الفرد العربى شاعر ، يشعر بنفسه وينشد شعره وحده ، ويظل دوما فى ما ينظم وما ينشد منفرداً . بينما يبدو افراد الامم الاخرى كالموسيقيين الذين يتالفون ويتعاونون ، وكل منهم يعطى من عنده ، فينتج من عطاء الجميع عمل فني متكامل . ومن هـــــذا التشبيه انتهى المحاضر الى الدعوة الى ان يتطور الفرد العربى ، او يتغير ، ليتحول من الشاعرية الى الموسيقية ، ومن البيت المفرد او القصيدة المستقلة ، الى الانتاج الاوركسترالى او السمفوني الرفيع .

ولقد اعجبني هذا التشبيه الذى اورده صديقى فى محاضرته ، على ما يمكن ان يرد عليه من ماخذ . فالموسيقى ليست بعيدة دوما عن الفردية . بل انها كثيراً ما ترتد الى الفردية عندما تبلغ ذروة رقيها ، مثلما كانت فردية فى بداية نشوئها . اعمال شوبان للبيانو وكمنجة باغانيني وفيولونسيل بابلو كازالس مثال على ذلك . بل ان الفردية فى الموسيقى قد تصل الى درجة تكون فيها الاوركسترا كلها تبعا ، وسمعها خادما ، لالة واحدة او اثنتين ، كما فى الكونسرتو ، ولكن هذا لا ينفى صدق التشـــــبيه بصورة عامة ، ولا سيما اذا تذكرنـــا ان الشاعرية فى الروح العربية صفة مؤكـدة تبرز فى كل ميدان ، كما برزت قبل فى كل العصور .

● ثورات وثورات

اعجبنى هذا التشبيه كما قلت . لقـــد استطعت به ان اتصور ، او ان اصـــــور لغيرى بشكل اوضح ، المقارنة بين ثورات بلادنا الشاملة التى يراد بها تحقيق الانسجام ، او على الاقل تحقيق التماثل الذى يقود الى الاندماج بين افراد شعوبنا وبين الثورات الجزئية التى تنفجر بهــــا الشعوب الغربية بين الحين والحين .

فليس من شك ان شعوب الغرب اخذت تتمخض كذلك بالثورات . ثورات كثورات



الاعتراض التي عصفت بفرنسا في مايو ١٩٦٨، واخرى كثورات الهيبيين والبتنيك وحشاشي الماريجوانا والـ ل . س . د . انها ثورات على الانضباط والنمطية . وبالتشبيه الموسيقي هي صيحات نشاز او صفير استهجان ممن ملوا الرتابة في عزف الاوركسترا الكبيرة او ممن لم تعجبهم القطع الموسيقية التي تعزفها تلك الاوركسترا! بينما تهدف الثورات في البلاد المتخلفة الى القضاء على تفاوتات المجتمع في محاولة ادخال الهارموني إلى جو النشاز المستمر والتنافر الدائم بين العازفين اعني بين افراد الشعب .

ورغم اعجابي الذي ذكرته بتشبيه صاحبي للفردية والتعاونية بالشاعرية والموسيقية ، فقد اردت ممازحته متظاهرا بمعارضته وقلت له :

ـ انا لست من رايك في ان التعاون على الطريقة الموسيقية هو الذي يصنع التقدم . إذا اتبعنا طريقتك في التعبير نحن الآن موسيقيون ، قد تركنا الشاعرية منذ زمن طويل ، ولكن عللنا لا تزال على حالها .

قال : كيف ٠؟ نحن لا نزال شاعريين ، اعني فرديين . ومن هذا نتجت اغلب عللنا واليه ترجع اكثر هزائمنا .

قلت : بل لقد دخلنا الطور الموسيقى في مختلف جوانب حياتنا ، في العلم والفن وفي السياسة والاجتماع . واذا اردت الدقة فى التعبير ، فنحن الآن من مراحل تطورنا الموسيقي في مرحلة الدربكة ...

قال متسائلا : مرحلة الدربكة ؟ إني لا فهم ما تعنيه بهذا ...

ضابط الايقاع

قلت لصاحبي : ـ ساوضح لك هذا . لنترك جانبا تلك الميادين التي ذكرتها ، ميـــادين العــلم والاجتماع والحـــرب والسياسة ، ولناخذ مثلا لما اقول تطورنا في ميدان الموسيقى بالذات ، ويمكنك ان تقيس عليه حالنا فى بقية جوانب حياتنا الاخرى فهل تنكر اننا تجاوزنا مرحلة الالة المفردة ، مثل الربابة والناي والعود ، ودخلنا في طور التعاون الموسيقي ، اعني طور الاوركسترا ٠؟

قال مستنكرا : الاوركسترا ٠؟ اين هي الاوركسترا في موسيقانا٠؟ قلت : طول بالك ... كانك نسيت التخت الموسيقي . التخت ليس الااوركسترا صغيرة ، وكل صغير يكبر ...

قال : ولكن الفرق كبير بين التخت الموسيقى والاوركسترا السمفونية .

قلت : انا معك في ان الفرق كبير . ولكننى ، فيما احسب . نختلف فى نوعية هذا الفرق ، ربما رايت ان الفرق يتركز فى عدد العازفين مثلا ...

قال : صحيح . خمسة او ستة او عشرة عازفين فى التخت الموسيقى الشرقي . وستون او سبعون او مائة وعشرون عازفا فى الاوركسترا الفيلهارمونية ..

قلت : إنه فرق لا يماري فيه . ولكن الفارق الأساسي ليس فى عدد العازفين بل انه فى القيادتين ، قيادة التخت وقيادة الاوركسترا . انت تعرف بان الذى يقود الاوركسترا هو مايسترو نابغ فى فنه ، اتقن العزف على اثنين او ثلاث من الات اوركستراه ، محيط بالعلوم الموسيقية وحافظ لكثير من السمفونيات عن ظهر قلب ، وهو ذو شخصية قوية وحس مرهف يدرك به نقاط الضعف والقوة فى افراد فرقته ويعرف كيف يتجنب بعض هذه النقاط ويستفيد من بعضها الآخر . هذا عن قائد الاوركسترا ، اما قائد التخت فمن هو ٠؟

قال صاحبي : ليس هناك قائد تخت .

قلت : بلى ، انه الذى يسمونه ضابط الايقاع . وهو كما تعرف ناقر الدف ، او انه فى بعض الاحيان الضارب على الدربكة ..

قال : هذا صحيح .

قلت : الضارب على الدربكة غالبا ما يكون اقل افراد التخت نصيبا من المعرفة الموسيقية ، ومع ذلك فانه هو الذى ينظم حركات التخت فيحتل بهذا مكان القيادة فيه . لماذا٠؟ لأن آلته اضخم الآلات صوتا ، ولأن ضربة كفه اقوى من نقرات انامل العازفين على العود او من سحبات ايدى عازفى الكمنجة . وإذا تاملت فى آلته وجدتها طبلا فارغاً ... جلدة عقيمة مشدودة على فراغ ...

قال صاحبي : كلامك صحيح . ولكن ...

قلت : دعني من ولكن . هذه هي الحقيقة ربما كان هناك امل فى ان يتطور تختنا الموسيقى فيصبح اوركسترا حقيقية ذات قيادة جديرة بهذه الصفة . اما الآن فلابد لك من الاعتراف اننا نعيش من تطورنا فى مرحلة الدربكة . وان جيلنا الحاضر ، إذا قيس تقدم الاجيال بالمقياس الموسيقى ، هو جيل الدربكة ...

من فلسطين المصرية إلى فلسطين العربية

بقلم : فتـــحي رضـــوان



هذه حقائق مثيرة يجب أن تعرفها الأجيال الجديدة من العرب والمسلمين عن تاريخهم وكفاحهم ضد المؤامرات الدولية المختلفة ، فما يجرى امام اعيننا اليوم هو ثمرة لمحاولات جرى الاعداد لها منذ اكثر من أربعمائة سنة بلا توقف ... لقد عرف أعداؤنا معنى « الصبر التاريخي » من اجل تحقيق أهدافهم ، ولم يعرفوا معنى الياس ولم يضيقوا أبداً بالفشل ... وما احوجنا إلى أن ندرس هذه المحاولات لنتعلم ان التاريخ ليس جولة واحدة ... واقراوا هذا المقال :

في العدد الأسبق من الدوحة ، تحدثت عن السلطان عبد الحميد الثانى ، اخر سلاطين تركيا العثمانية العظام ، وقلت إن المطامع المتاججة التى احاطت بهذه الدولة العظيمة التى حملت لواء الخلافة الاسلامية ، بعد الخلافة العربية قرونا ، جعلت من عبد الحميد ، فريسة تناهب ملكها الأعداء فى اليمين والشمال ، واجتمع عليها الطامعون فى مركزها الجغرافى الفريد وفى سلطانها الروحى والمادى المديد ، وفى تحطيمها ، ثم تقسيمها بينهم اشلاء ، لينتهى اسم الاسلام فى هذه المنطقة من العالم ، وليتوارى علم الخلافة من دنيا السياسة ومجال الاقوياء .

ولقد كانت الصهيونية ، وهى رابضة على ابواب الشرق الاسلامى ، تتامل مداخله ومخارجه ، وتتسلل الى منافذه ، تتصل بكل حركة فى هذا الجانب من الدنيا ، ايا كان اسمها وايا كان هدفها ، فتصل نفسها بزعمائها ، وتنسب الى نفسها ، إيمانها بمبادىء هذه الحركة ، وسعيها الى تحقيق اهدافها ، فهى مع الصهيونية الصريحة التى تعمل على الاستيلاء على فلسطين باسرها ، وتحويلها الى وطن لليهود أول الأمر ، ثم دولة يهودية صريحة بعد ذلك ، وهى مع المجاهدين العرب الذين كانوا يئنون تحت الحكم العثمانى فى اخريات ايامه ، حينما تدهور وفسد ، وفقد حيويته الأولى ، وكفايته التى صاحبت مولد الدولة ، والذين كانوا يريدون أن يقوضوا دولة بنى عثمان ليعلنوا استقلال الولايات العربية : العراق ، وسوريا ، ولبنان ، وفلسطين .

وكانوا ـ اى الصهاينة ـ مع دول أوروبا



السلطان عبد الحميد الثانى : منع اليهود من وضع اقدامهم فى سيناء .

الشرقية : اليونان ، والبلغار ، والرومانيين وأهل الصرب والجبل الاسود وكرواتيا الذين يعملون على مقاومة الحكم التركى فى بلادهم بالحديد والنار من خلفهم النمسا ، والروسيا ، وبريطانيا ، وفرنسا .

وإذا كنا نتحدث طويلا الآن عن شبه جزيرة سيناء ، وعن مستوطنات الصهاينة فيها ، وعن جلاء دولة اسرائيل عن الجزء الباقى منها ، فان الحديث عن (سيناء) امتد سنين وسنين ، وقد بدا هذا الحديث لا من عقد من السنين ، ولا من قرن ، بل من قرون . وبالذات منذ سنة ١٥١٧ ، عندما دخلت جيوش سلطان تركيا سليم الاول القاهرة ، وأصبحت مصر ، ولاية تركية .

منذ اربعة قرون

وقد حدثنا المؤرخ الكبير الاستاذ الدكتور عبد العزيز محمد الشناوى فى موسوعته العظيمة عن تاريخ «الدولة العثمانية» عن بداية هذه المطامع من هذه السنة ، أى منذ أكثر من اربعة قرون متصلة ، فقال : لما فتح السلطان سليم الاول مصر ، عام ١٥١٧ ، اصدر فرمانا يمنع اليهود من الهجرة الى سيناء . ولما تولى ابنه (سليمان القانونى) عرش الدولة عام ١٥٢٠ اصدر فرمانا لاحقا اكد فيه ما جاء فى الفرمان الاول ، ولما قبض (سليمان القانونى) الى رحمة الله ، خلفه سلاطين ضعفاء ، فانتهز اليهود فرصة ضعفهم ، وبداوا يهاجرون فى موجات متتالية ومتقاربة الى الطور ، وكانت آنذاك مدينة عامرة بها مزايا عديدة ، منها انه كان لها ميناء يصلح لرسو السفن التجارية ، وكانت تقصده بالفعل سفن قادمة من ينبع وجدة من موانى الحجاز ، وسواكن من موانى السودان والعقبة والقلزم والسويس من موانى مصر ، كما كانت ترتبط بخطوط برية للقوافل مع القاهرة والفرما . وبذلك يكون اليهود فى الطور قد جمعوا بين الحسنيين العزلة عن العالم المائج بالحركة الذى يمكن ان يحصى عليهم خطاهم ، وبين الاتصال الهادىء المستقر بالحركة التجارية برا وبحرا .

وقد تزعم حركة الهجرة الى (الطور) ، تطلق عليه الوثائق – كما يقول الاستاذ الدكتور الشناوى – ابراهام اليهودى . وقد بدا الرجل بنفسه فاستوطن هو واولاده الطور ثم لحق به سائر افراد أسرته . وكان يمنى نفسه أن تمر السنوات العديدة دون ان يفطن احد الى وجوده ، والى الحركة التى يشرف عليها ويديرها فى صمت ودأب ، وكان يهمه فوق كل شىء الا تلقى الحكومة العثمانية بالا لوجوده ، ولما يقدم عليه لصالح طائفته . وكان يمكن ان يتحقق امل (ابراهام اليهودى) لولا أن اليهود كالعهد بهم تعرضوا بالاذى لرهبان سانت كاترين ، فشكوا الى (الباب العالى) اى للسلطان ورياسة الحكومة ، وكانت حكومة تركيا شديدة الحرص على رعاية اهل الذمة : اى المسيحيين واليهود . وكانت فى الوقت نفسه لا تحب ان تغفل عن تسلل اليهود الى سيناء فما كاد النبا يصل الى سمعها حتى اصدرت ثلاث فرمانات جديدة ، وكانت كلها فرمانات ديوانية اى صادرة من الباشا الوالى الذى يحكم الولاية التى يتبعها الموقع محل الشكوى ، وكان الوالى فى حالتنا هذه هو والى مصر ، وكان أول الفرمانات يحمل تاريخ جمادى الاولى سنة ٩٨٩ هجرية والثانى صفر عام ٩٩١ هجرية والثالث فى ذى الحجة سنة ٩٩٣ هجرية ومعنى ذلك ان هذه الفرمانات صدرت فى شهر يونية سنة ١٥٨١ م والثانى فى شهر فبراير سنة ١٥٨٣ والثالث فى شهر ديسمبر ١٥٨٥ ، وكان كل فرمان من الفرمانات الثلاثة يتضمن شكوى رهبان دير سانت كاترين ، كما ينطوى على أوامر مشددة باخراج (ابراهام اليهودى)



هرتزل : راى ان يبدا الصهاينة باستيطان العريش ، على عكس ما فعل اليهود عام ١٥٨١ .

« .. انصحوا هرتزل بالا يتخذ اى خطوات فى موضوع اقامة جامعة عبرية فى القدس .. إننى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد فى الأرض ، فهى ليست ملك يمينى ، بل ملك شعبى . لقد ناضل شعبى فى سبيل هذه الأرض ، رواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم . وإذا مزقت امبراطوريتى يوما ، فانهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ، اما وأنا حى فان عمل المبضع فى بدنى بلا مخدر ، لأهون على من أن أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتى وهو أمر لا يكون . إنى لا أستطيع الموافقة على تشريح اجسادنا ونحن احياء » .

« السلطان عبد الحميد الثانى »

وزوجته واولاده وسائر اليهود من سيناء ومنعهم فى قابل الأيام منعا باتا من العودة اليها ، بما فيها مدينة الطور او الاقامة فيها ، وقد طلبت هذه الفرمانات من الموظفين الذين وجهت اليهم تنفيذ هذه الاوامر بلا تردد ، فلا يجوز لأى منهم ان يتأخر عن هذا التنفيذ يوما واحدا ، ثم ختمت هذه (الفرمانات) بوجوب رعاية رهبان سانت كاترين وبعبارة : «وامتثلوا بالأوامر العالية وقابلوها بالسمع والطاعة» .

وهذه الفرمانات والظروف التى صدرت

فيها ، والاهداف التى استهدفتها والالفاظ التى استعملتها تدل على أمور منها :

أولا : إن الصهاينة كانوا يضعون اعينهم على سيناء منذ أكثر من اربعة قرون ، باعتبارها مجرد مدخل الى فلسطين كلها وهذا امر يجب أن نتعلم منه ونتعظ به ، فالآخرون لا يفعلون فعلنا ، يطلبون الشيء ، فاذا بعد عنهم ، وقامت صعوبات فى طريقهم صرفوا النظر عنه ، وييئسوا من الوصول اليه ، وربما لعنوه . ولكن هؤلاء ، الصابرين ، الصامدين يصلون فى اخر الأمر الى غايتهم ، فى حين يبقى الفشل وخيبة الأمل من نصيبنا .

ثانيا : ان الدولة العثمانية منذ دخولها الى مصر وتحملها مسئولية الدفاع عن ارضها ، وحقها فى وجه الصهاينة الطامعين اخذت للأمر عدته ، فمنعت اليهود من وضع قدم لهم فى سيناء ، وتشددت حتى طردت رجلا واحدا وأسرته من الطور ، ونبهت موظفيها بالا يعود اليها باى سبب ، وهذا مسلك يليق بدولة عظيمة ، فالدول العظيمة لا تستصغر شرا ، وإن بدا حقيرا ، فالشرور الصغيرة تلد المصائب الكبيرة ، ومعظم النار من مستصغر الشرر . ولعل شدة حرص السلاطين العثمانيين فى كل ما يتصل بفلسطين وسيناء راجعة الى ما عرفته تركيا من احابيل ، وكيد اليهود وزعمائهم .

ثالثا : إن حرص الدولة التركية على تطهير سيناء من الوجود الصهيونى مهما ضعف ، كان مقرونا بمودة عظيمة لرهبان سانت كاترين لثلاثة بواعث : الأول ان هؤلاء الرهبان من رعايا الدولة ، ولهم عليها حق توفير الامن والدفاع . والثانى ان هؤلاء الرهبان جماعة مستضعفة فلا يليق أن تترك نهبا للصهاينة الطامعين والمزودين بجماعات غنية تنفق عن سعة ، وتستعين بنفوذ الكثيرين فى الدولة البريطانية والفرنسية والروسية القيصرية . والثالث ان هذه الحماية التى تقدم لرهبان سانت كاترين تكسب للدولة العثمانية مودة العقلاء والمنصفين فى العالم الغربى ، وترد عن الدولة العثمانية الاتهامات العنيفة بأن تركيا دولة الخلافة العثمانية ، هى دولة متعصبة ضد أهل الكتاب أيا كان اسمهم او مذهبهم أو موقفهم من الدولة .

هذا كله حدث قبل ان يصل السلطان عبد الحميد الثانى ، الى سدة العرش فى سنة ١٨٧٦ ، وكان لابد ان تزداد الأطماع الصهيونية فى دولة بنى عثمان ، فقد مرت السنون وهى تحمل لتركيا كل يوم سببا من اسباب الضعف ، وتحمل لدول الغرب مبررا من مبررات الطمع فى املاك هذه الدولة ، والانقضاض عليها ثم التهامها .

الرجل المريض

فاذا كانت الدولة العثمانية قادرة على ان تقفل باب (شبه جزيرة سيناء) فى وجه الصهيونية الشرهة ، التى يطير صواب زعمائها ، كلما رأوا فلسطين فى يد الاتراك الذين مال عليهم الزمان ، وحرمهم السلطة والسطوة ، بعد عز ضخم وحكم باذخ ، وقد كان اعظم ما يشعل نار الأطماع الصهيونية هو ما تسامع به اهل السياسة من مفتريات تصور لهم السلطان عبد الحميد ، بانه رجل ماقون ، تصل ذقنه الى ركبته ، من فرط الضعف والعجز عن ان يقيم راسه ، وأن عينيه مغمضتان تغطيهما اجفان ثقيلة مسدلة ، لا يستطيع السلطان العجوز أن يرفعهما ، وصوت مختنق خافت لا يكاد يخرج من بين شفتى السلطان ، فلا يسمعه جليسه . هذا الى خطى ثقيلة ينتقل بها من مقعد الى مقعد ، وكأنه السلحفاة .

هذه الصورة الرهيبة ، التى صنعها الاستعمار الغربى لنفسه ، ثم روجها لغيره ، كان يقصد منها أن تركيا التى أسموها (الرجل المريض) فى اوروبا يحكمها رجل اكثر منها مرضا وانها لذلك جديرة بأن تزال عن وجه الارض إذ لا يمكن أن يصدر عن شخص اعتلت صحته ، واختل عقله الى هذا الحد قرار حكيم ولا تصرف سليم ، ولكن قد سئل جمال الدين الافغانى عن السلطان عبد الحميد فقال فى وصفه : إن السلطان عبد الحميد لو وزن باربعة من نوابغ رجال العصر لرجحهم : ذكاء ودهاء وسياسة ، خصوصا فى تسخير جليسه ... ولا عجب إذا رأيته يذلل ما قام فى ملكه من الصعاب من دول الغرب ويخرج المناوىء له من حظيرته راضيا عنه وعن سيرته مقتنعا بحجته ، سواء فى ذلك الملك والامير والوزير والسفير .

وقد كتب للسلطان عبد الحميد ان يواجه الزحف الصهيونى فى اخريات القرن التاسع عشر واوليات القرن العشرين ، وتعرض لضغوط هذا الزحف ، بوسائلها العديدة المالية والسياسية والادارية ، الداخلية والخارجية . وكان الزعماء من دهاقين السياسة ، يظنون ان هذا الرجل العجوز الذى تتردد انفاس صدره ، والذى يغمض عينيه كالحرباء فكأنه لن يصحو ، والذى يسمع اكثر مما يتكلم ، ويطرق طويلا بين الجملة والجملة ، والالفاظ تخرج من شفتيه وكأنها تابى ان تنطلق ، ظنوا انهم قادرون على ان يحملوه حملا على الاذعان لامرهم والخضوع لطلبهم .

فلننظر ماذا فعل هرتزل زعيم الصهاينة ، وصاحب فكرة (الدولة اليهودية) والسياسى المرن ، الدوار ، الكرار ، الفرار ، والصحفى اللامع البراق الجذاب .

فى حلبة المصارعة

قال الاستاذ الدكتور عبد العزيز محمد الشناوى فى موسوعته العظيمة «الدولة العثمانية» دولة مفترى عليها :

إن تيودور هرتزل قد اطلق على (سيناء) اسما معبرا هو «فلسطين المصرية» ليتخذ منها فى قابل الايام نقطة وثوب الى فلسطين الآسيوية او فلسطين بمعناها المتعارف عليه . ورأى هرتزل ان يبدأ انصاره الصهيونيون استيطان منطقة العريش ، أى فى شمالى سيناء بدلا من جنوبها اى على عكس ما فعل اليهود عام ١٥٨١ عندما حاولوا

استيطان منطقة الطور ودير سانت كاترين .
ولذلك دخل هرتزل فى مفاوضات سنة ١٨٩٨ مع بعض أعضاء الوزارة البريطانية وبخاصـــة جوزيف تشـــمبرلين وزير المستعمرات واللورد لاتردون وزير الخارجية من أجل توطين اليهود فى سيناء على أساس اقامة دولة يهودية فيها تتمتع بالحكم الذاتى فـى نطـاق الامبراطوريـة البريطانية (١) «ص ٩٧١ من كتاب الدولة العثمانية للدكتور عبد العزيز الشناوى» .

إذن التقى هرتزل وعبد الحميد ، فى حلبة المصارعة ، أو التقى السبع بالنمر ، ولكن الأسد يبدو هزيلا ، اثقلت الأيام حركته ، وقيدت قوته ، فى حين كان النمر صغيرا شابا كثير الحركة ، يقبل ويدبر ، ويلف ويدور ، فكيف انتهت المعركة ؟

ورحب الوزيران البريطانيان بالاقتراح الذى تقدم اليهما ، لتاذن الحكومة الانجليزية باستيطان اليهود فى سيناء ، واغرى الصهاينة الوزيرين على قبول هذا الطلب بثلاثة فوائد : هى أن تتولى الدولة اليهودية حماية الضفة الشرقية لسيناء ، وعزل مصر عن الولايات العربية فى غربى اسيا ، وإضعاف الدولة العثمانية .

وإحيل الطلب الى حكومة مصر ، فى وقت كان فيه «اللورد كرومر» هو حاكمها الفعلى ، وملك وادى النيل غير المتوج ، فالفت لجنة مصرية من ستة موظفين بالحكومة المصرية ، لم يكن فيهم مصرى واحد ، ولا يبعد أن يكون فيهم يهودى أو أكثر ، وغادرت اللجنة القاهرة فى يناير الى سيناء وعادت فى مارس وأوصت بان تكون البداية هى استيطان العريش ، على أن توضع خطة لتعمير سيناء على أسس علمية يستعان فى تنفيذها بمهندسى الرى والزراعة والسكك الحديدية والموانى وان يسمح لها بجلب ماء النيل ، وان تكون آخر الأمر دولة بريطانية أى احدى دول الكومنولث ، ولا تكون تابعة لمصر باية صورة من الصور .

وينتقد الدكتور محمد عوض فى كتابه «الاستعمار والمذاهب العسكرية» الصادر فى سنة ١٩٥٦ الحكومة المصرية انها فرطت



كرومر : تنظر الطلب الخاص بتولى اليهود حماية الضفة الشرقية لسيناء .

فى حق الوطن حتى سمحت للجنة اجنبية ان ترتاد سيناء بقصد النظر فى توطين اليهود فيها ، او رفض ذلك ، والغريب ان يصدر هذا الانتقاد من عالم مصرى ، يعرف جيداً درجة خضوع الوزارة المصرية للمعتمد البريطانى الذى يملك فى البلاد كل شىء .

وكان ذلك اول تصـــادم بين هرتزل والسلطان عبد الحميد ، فقد رفض السلطان هذه الفكرة رفضا نهائيا لا هوادة فيه ، وأرسل للحكومة البريطانية يقول ان سيناء جزء من مصر ومصر ولاية تركية ، فلا شان لبريطانيا بها ، وقد اضطرت بريطانيا الى ارسال مذكرة لهرتزل فى يونيو سنة ١٩٠٣ مضمونها انه يتعذر المضى فى مشروع توطين اليهود فى سيناء ، ثم عززتها بمذكرة ثانية فى ١٦ يوليه عام ١٩٠٣ (أى نفس العام) تؤيد المذكرة الأولى وتقرر أنها قررت نهائيا العدول عن هذا المشروع .

وفى سنة ١٨٨١ قتل القيصر اسكندر الثانى امبراطور روسيا ، وقالت دوائر الأمن العام فى موسكو ، ان التحقيقات اثبتت انه كان لليهود يد فى هذه الجريمة ، فاشتد اضطهاد اليهود وكانوا اصلا يعانون من تعذيب مستمر على يد السلطات الروسية ، واشتد طلب اليهود ليهاجروا إلى سيناء باذن من السلطة العثمانية ، ولكن حكومة السلطان عبد الحميد فى ٢٨ من ابريل ١٨٨٢ اصدرت قرارا بمنع جميع اليهود الراغبين فى الهجرة الى سيناء (او اى موقع فى فلسطين) من السفر اليها ، إلا إذا كان السفر بغير رغبة الاستقرار فى سيناء وعلى ان الاقامة فى فلســـطين لا تزيد عن ثلاثين يوما ، وبقصد زيارة الاماكن المقدسة ، وبعد ضغوط هائلة ، على السلطان عبد الحميد طالت هذه المدة الى ثلاثة اشهر وذلك فى سنة ١٨٨٧ وللحجاج فقط .

وقد حاول هرتزل مقابلة الســـلطان عبد الحميد ، وبذل من الجهد لتتم هذه الزيارة الشىء الكثير ، وقد تمت اربع مقابلات فعلا بين الرجلين ، فاستعمل هرتزل كل بلاغته فقال للسلطان إن الحركة الصهيونية هى حركة (إنسانية !) ، وانها لا تبغى الأذى باحد ، والغريب انه حينما منى هرتزل بالفشل فى إقناع السلطان بفتح أبواب سيناء او فلسطين لليهود ، قال لبطانة السلطان ، فليعوضنى السلطان عن هذا الرفض بمنحى وساما . فمنحه السلطان وساما ، وراح هرتزل يزعم للناس أنه مقرب من خليفة المسلمين ومن مريديه ، فقال السلطان كلاما نختم به هذا البحث :

« انصحوا هرتزل بالا يتخذ اى خطوات فى موضوع إقامة جامعة عبرية فى القدس إنى لا أستطيع ان اتخلى عن شبر واحد فى الأرض ، فهى ليست ملك يمينى ، بل ملك شعبى ، لقد ناضل شعبى فى سبيل هذه الأرض ، روّاها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم وإذا مزقت امبراطوريتى يوما ، فانهم يستطيعون انذاك ان ياخذوا فلسطين بلا ثمن ، اما وانا حى فان عمل المبضع فى بدنى بلا مخدر ، لأهون على من أن أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتى وهو أمر لا يكون ، انى لا أستطيع الموافقة على تشريح اجسادنا ونحن احياء » .

فتحي رضوان



قصة العلاقات العربية الهندية

بقلم : أحمد العناني

تُمْثُل شبه الجزيرة الهندية مثولا بارزا فى التاريخ العربى الاسلامي منذ اقدم العصور حتى يومنا هذا ، ويدخل الفكر الهندى وادب الهنود وإخصاب المشاهد والتجارب مع الهند ، فى ادبنا وعاداتنا وبعض مفردات لغاتنا ، وفى اشد الفصول طرافة من كتب رحالينا وعلمائنا ، واخبار تجارنا وبين ثنايا القصص الشعبى لا سيما فى شرقي شبه الجزيرة العربية ، وفى كل من السودان ومصر ، حيث كان لابد من اتصال بين البحر الاحمر والخليج بالهند ، قد ينشط من كليهما احيانا ، وقد يشتد بين احدهما والهند على حساب الآخر لفترة تعود بعدها الأمور لسابق عهدها .

تشكل البلدان الواقعة فى حوض المحيط الهندى وحدة اقتصادية اجتماعية بكل ابعاد الكلمة ، ويدخل فى هذه المنطقة بلدان بحر العرب وخليج عمان . ففيها جميعا ، وعلى تفاوت فى الكمية تسقط الامطار الموسمية ، وتتشابه الاحوال المناخية ، والاحوال والاعراف الملاحية .

وتنتقل بين الجانب والآخر العادات والتقاليد الاجتماعية ، كما تتوافر الجاليات السكانية فى المرافىء والمواقع التجارية ..

ومن مجموع هذه الحقائق فان علاقات بلدان الخليج واليمن وسواحل البحر الاحمر بشبه القارة الهندية هى علاقات قدم من التاريخ المكتوب ، واذا كانت الفتوح الاسلامية ابتداء من فتح السند على يد محمد بن القاسم فى القرن الاول للهجرة ، وتاليا فى عهد الدولة الغزنوية قد دخلت تلك العلاقات اشد مراحلها نشاطا وسعة اتصال ، إلا انها على مستوى اقل كانت قائمة على امتداد العصور فالكلام عن السيوف الهندية والهندوانية ، والطيب الهندى ، حديث سابق للاسلام ، لكنه يجب الاعتراف بان مسافة البعد بين مناطق المحيط الهندى كبيرة ، وان الاحوال السلمية المواتية للتجارة سواء فى الهند او فى بلاد العرب كانت دائما الشرط اللازم لازدهار تلك العلاقة التاريخية فيما بينهما ، ومع ذلك ، ففى اشد الظروف سوءا ، فان المتاجرات بالمواد الاساسية لم تكن تتوقف بالسفن الصغيرة فى المثلث الشامل للخليج وافريقيا الشرقية والهند ، وليس كذلك الحال مع الصين مثلا حيث لم تبدا التجارة الناشطة على اى مستوى معها إلا بعد استلام اسرة صنج (٩٦٠ ـ ١٢٠٦م) مقاليد الحكم هناك ، وما يزال الصينيون يتكلمون عما يسمونه مدينة « ماذون » ويعنون بها صحار فى عمان ، ذلك بان « صحار » كانت عاصمة المنطقة التى عرفت باسم « ماذون » خلال فترة الاحتلال الساساني لقسم من الساحل العربى فى القرن الثالث الميلادى (١) .

السلام الاسلامى

لم تعرف اسيا العربية وآسيا الوسطى وشرقى افريقيا فترة احفل بالازدهار ونشاط الاتصال على عدة مستويات ومحاور كما عرفت ذلك فى العصرين العباسيين الاول والثانى بخاصة وما زال العالم كله يستمتع بالآثار العظيمة للسلام الاسلامى الذى هيمن على هذه المناطق طوال ستة قرون ونيف من الزمان . إذ لم تقتصر الامور على التبادل التجارى الذى ادخل بضائع الهند وافريقيا الى كل بيت ميسور فى اوروبا ، ولكنه انتج آثارا عظيمة فى إيجاد نوع من الثقافة العالمية ولغة للتجارة دولية ، كما اوجد نظام التحاويل المالية وجعل من الدينار الذهبى الاسلامى عملة عالمية تقاس عليها قيم العملات المحلية (٢) وكان مصدر الذهب الاساسى مناجم السودان بمعناه

الواسع ان كان السودان عند المسلمين (٣) انذاك يشمل العديد فى الجمهوريات الافريقية امتداداً إلى ساحل العاج فى غربى افريقيا . ومن الحياة المزدهرة التى اوجدها ذلك العصر نشأ قصص الف ليلة وليلة وفيه الكثير عن حياة البحر واوصاف شتى للهند وسيلان ، وفى خلاله جرت بعض الرحلات المشهورة كرحلة ابن بطوطة ، وفيها يشكل كلامه عن الهند واحداً من اطول فصول رحلته واكثرها امتاعا وتدقيقا ، ومع أن هيمنة السلام الاسلامى لم تعد بكل قوتها التى كانت حتى اواخر القرن الرابع الهجرى إلا ان الاثار المترتبة على ذلك السلام ظلت ماثلة فى منطقة المحيط الهندى إلى مجيء البرتغاليين فى مطلع القرن السادس عشر للميلاد ، منتصف القرن التاسع الهجرى .

قصة الفتوح الاسلامية فى الهند

لقد كانت قمة الفتوح التى باشرها العرب المسلمون هى غزوة محمد بن القاسم الثقفي فى الجزء الجنوبى الغربى من حوض نهر الاندوس ، وذلك ابتداء من عام ٩٠ للهجرة (٧١٠ م) لكن تلك الغزوة لم تكن اول تحرك للعرب ناحية الهند ، فقد كان عرب الخليج يعرفون تلك البلاد وخيراتها وإمكانات الدعوة الاسلامية فيها بخبراتهم السابقة فيها قبل الاسلام ، وكان من نتائج حماستهم فى هذا الصدد انهم اقنعوا عامل (والي) البحرين لعمر ابن الخطاب رضى الله عنه وهو عثمان بن أبي العاص الثقفي بان يغزو موقعا قريبا من بومباى الحالية يدعى « تانه » فى السنة الخامسة عشرة للهجرة راكبين البحر دون استئذان مسبق من الخليفة الذى امر بعدم تكرار مثل تلك الغزوة انطلاقا من تخوفه المعروف على جند المسلمين من ركوب البحر لكن العهد التالى لعمر شهد غارات سريعة متعددة وصل بعضها الى جزيرة سيلان .

لقد كان امراً طبيعيا ان يقع الصدام بين القوة الصاعدة للمسلمين والممالك الهندية المفككة حيث لم يعد بد أن تصبح الدولة العربية الأولى هى المهيمنة ايضا على الطرق التجارية .. وامام مثل هذه الحتميات تكثر الاساطير الشعبية كانما هى تعبير عن الرغبات المكبوتة للامة الناهضة فى تعجلها للحلول محل القوى المتراجعة امامها .. وما دامت فارس كلها قد اصبحت بايدى المسلمين منذ عصر الخلفاء الراشدين فقد كان حتماً اصطدام المسلمين بالهنود براً وبحراً ..

وفى مقابل اسطورة الالياذه فى اسباب وكيفيات صراع الاغريق مع الحيثيين فى بواغيز البحرين الاسود والمتوسط عند موقع استانبول الحديثة ، وصراع القراطجة مع الرومان لاحقا عند البوغاز الفاصل بين صقلية وجنوب ايطاليا ، فقد كان للمسلمين ايضا اسطورتهم مع الهنود حيث تقول المصادر التقليدية للتاريخ الاسلامى (٤) ان ملك جزيرة الياقوت اراد التقرب من الحجاج بن يوسف الثقفي ـ عامل الامويين على العراقين الغربى والعجمى ـ فاهدى له نسوة ولدن مسلمات من اباء لهن كانوا تجاراً مقيمين فى بلاده ، فعرض للسفينة التى كن بها قراصنة هنوداً فاستلبوا النسوة منها فصاحت إحداهن ، وكانت من بنى يربوع « يا حجاج » وبلغ تلك الوالى الاموى فصاح « يا لبيك ! » وارسل من فوره رسولا إلى داهر ـ من ملوك السند ـ يطلب تسليم النسوة فاعتذر داهر بانه لا يستطيع ان يامر قراصنة البحر فاغزى الحجاج اثنين من عماله (ولاته) فى مكران لكن القوة التى كانت مع كليهما فى الحالتين كانت أقل شانا من تحقيق الغاية فاستشهد الرجلان تباعا ومعهما معظم جندهما .. وإذ ذاك قرر الحجاج ان يتعامل مع الموضوع على مستوى اكبر فوجه الى ابن عمه محمد بن القاسم بان يوقف مهمة سابقة له فى بلدة الري بخراسان وعقد له على مكران وثغر السند وامره أن يقيم بشيراز إلى ان توافيه الامداد وكان فيها عشرون الفا من افضل مقاتلة البر من المسلمين ، واسطول بحرى يسير بمحاذاة طريق المشاة فى مكران ومعه تجهيزات كاملة من عدد الحرب وخمسة منجنيقات ضخمة ومؤن ومهمات معدة احسن إعداد .

والواقع انه كان لابد للمسلمين من السيطرة على الطريق البحرى ووقف نشاط القراصنة وذلك هو الدافع الاساسى لمثل تلك الحملة .. اما هذه القصة الشعبية عن استغاثة المراة المسلمة فانها لا تنهض طويلا امام النقاش وحتى لو حصلت فعلا فلم تكن غير معجل لحوافز الحرب لا سبباً لها .. ونظير ما اعنيه مثلا ما يقال عن تقدم القبائل النجدية من عتوب وقطريين واحتلالهم البحرين وانتزاعها من عرب فارس من ال نصر الكعبيين الذين كانوا يؤدون الجزية لفارس وذلك عام ١٧٨٣ فلا تكاد تجد راوية من رواة الاخبار هنا إلا ويقول لك ان الحرب ما كانت لتقع لولا اعتداء بعض خدم ال نصر على بعض خدم لاهل الزبارة ، والصحيح المقبول عقلا ان تلك القبائل النجدية المتحفزة للحياة كانت بحاجة الى مكان كالبحرين لضمان تجاراتها فى اللؤلؤ ومغاصاتها ما بين البحرين وقطر وان الاصطدام بال نصر كان حقيقة حتمية سواء اقتل خادم لاهل الزبارة فى سترة بالبحرين ام لم يقتل .

لكنه من اسف بالغ ان الفتوح الاموية لم تكن تحمل سمات الفتح فى ايام الراشدين ، وان عامل الغنائم والربح المادى بات حافزاً اساسيا فى عهد الامويين وان لم يعلن عنه ومن هنا كان انحسار الاثر العربى الاسلامى على السند والهند رغم كل البطولات الظافرة التى برهن عليها محمد بن القاسم وجنوده ولنا إلى هذا رجعة ان شاء الله تعالى .

احمد العناني

● كان أمراً طبيعيًّا أن يقع الصدام بين القوة الصاعدة للمسلمين والممالك الهندية المفككة

● عندما وجد المسلمون ضرورة أن يسيطروا على الطريق البحري ووقف نشاط القراصنة

---

(١) دائرة المعارف البريطانية مادة «تاريخ الهند»
(٢) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ـ ادم متيز ـ ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريده ـ دار الكتاب العربى / بيروت .
(٣) د . حبيب جنحاني تاريخ التجارة الاسلامية فى القرنين الخامس والسادس / جامعة تونس .
(٤) البلاذري ـ فتوح البلدان وغيره .

سيناء .. ودرب الحاج

بقلم : درويش مصطفى الفار

فى يوم الخميس ، غرة يونيو (حزيران) الاسود سنة ١٩٦٧ ، كنت فى رحلة عمل مع الشاعر البدوى ، سويلم بن دخيل الله ، شيخ قبيلة الحويطات فى سيناء ، لاستطلاع مظان لخام المنجنيز ، فى كتلة المرتفعات المعقدة بين بئر (جبيل حسن) ونقب (إم إثلة) الذى اشتهر فى معارك سنة ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ باسم مضيق (متلا) لخطأ فى الترجمة طالما وقعنا فيه عند النقل من الخرائط البريطانية ، دون ان نرجع لاهل البلاد ، من العارفين ... وبعد انتهاء الاستطلاع ، وقفنا على قمـــة ، نستشرف طريقا يتدفق فوقه سيل مزمجر من الفولاذ ، متجه نحو الشرق ، بدعوى الاستعداد للثار واسترداد الارض والكرامة ... كما كانت تصور لنا القيادات آنذاك .. وطفقت مع الشيخ الشاعر البدوى ، احلم بعودة الحياة إلى « درب الحاج » ، بعد ان يبطل مفعول اللغم العائق الموضوع ، باتفاق تام بين الغرب والشرق عمداً مع سبق الاصرار والترصد ، لفصل المغرب العربى عن مشرقه ... وحدثت الكارثة ، التى لا تزال تجرجر اذيالها ، عقب تلك الرحلة باربعة ايام ، واختفت سيناء فى غيهب لم يسبق له مثيل فى تاريخها الطويل العريض ، واصبحت كلا مباحا لكل شذاذ الآفاق على سعة العالم كله ، زهاء خمسة عشر عاما ميلاديا الا اثنين واربعين يوما ..

اما وقد عادت سيناء فان موضـــوع (إحياء) درب الحاج ، عبر وسط سيناء ، يستحق وقفة تامل جديدة ... فلهذا الدرب بالذات شان فى تاريخنا يفوق الدروب الأخرى للحجاج إذ ان الذى اختطه اصلا هو ، قاهر التتار ، الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (٦٥٨ هـ ٦٧٦ هـ) بعد ان طهر راس خليج العقبة من بقايا الغزوة الأوربية الصليبية ، وظل هذا الدرب طريق الحاج إلى مكة المكرمة منذ سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م) لكل مسلمى غرب وشمال افريقيا حتى سنة ١٨٨٥ م ، حيث بدأ استخدام النقل البحرى الحديث بين السويس وكل من مينائى « ينبـــع » و « جدة » .. وكانت القوافل تقطع ذلك الدرب فى عشرة ايام من السويس غربا إلى العقبة شرقا ..

ومن باب التصديق باننا حقيقة جادون فى البحث عن مسالك وأبواب لرأب الصدع ولم الشعث ، وجمع الشمل ، والالتقاء فى نقطة ما ، فاننى ادعو العرب جميعا ، للبحث عن طريقة يتعاونون فيها جميعا ، بعيدا عن السياسة ، وباسلوب يسقط كل الاعتراضات التى قد يثيرها الاصدقاء ، قبل الاعداء ، وذلك بالتخطيط العلمى الصحيح لاحياء « درب الحاج المصرى » .

وليس المقصود بهذه الدعوة مجرد انشاء طريق معبد مرصوف يســلكه الراغبون فى الحج برا من مصر وشمال وغرب افريقيا ... ولكن المقصود هو إنشاء شريط من العمران الكثيـف ، فيما بين السويس غربا وبئر طابا شرقا ، باموال عربية محضة ، تحت لواء هيئة شعبية عربية من كل بلاد العرب ، تقوم بدراسة جميع الامكانيات التى يمكن بها جعل ذلك الطريق ، درب الحاج المصرى ، عامراً بالحياة والبشر العـــاملين المنتجين ، تعدينيا ، وزراعيا وسياحيا ، واتخاذه شريانا للوصل بين المغرب والمشرق فى الوطن العربى ، على الرغم من الوضع القائم فعلا ... ونضع امام تلك الهيئة العربية التى تضطلع بتمويل وتخطيط وتنفيذ هذا المشروع ، الجديد فى نوعه ، بعض الحقائق على الصورة التالية :

١ ـ ليست هنالك ، فى ما اعتقد ، اية حساسية ان تنشا مثل تلك الهيئة من العرب جميعا ، فى قطر عربى ، هو فى هذه الحالة مصر ، نظرا لاننا ، مثلا ، قبلنا بمبدأ « القوة المتعددة الجنسيات » ومن غير العرب . وربما تكون هذه سابقة حسنة يقتدى بها لمشاريع مماثلة ، ولكنها ليست على نفس الدرجة من الأهمية الموضوعية والوحدوية مع هذا المشروع .

٢ ـ هنالك إمكانيات فى تواجدات الماء الباطن على جانبى ذلك الدرب وإلى أعماق مختلفة جنوبا وشمالا ، يمكن عليها قيام عمران زراعى مرموق .

٣ ـ هنالك ايضا إمكانيات تعدينية ، لصناعة الاسمنت مثلا ، ولاستخراج الأملاح والخامات المعدنية المختلفة لا باس بها ولا يمكن إغفالها .

٤ ـ هنالك إمكانيات سياحية ، يكفى ان نذكر منها ، قلعة صلاح الدين الايوبى فى وادى صدر ، فضلا عن ان مثل هذا المشروع سوف يقتضى شمول الامكانيات السياحية بطول سيناء وعرضها ، من معبد سرابيط الخادم ، ودير سانت كاترين وساحل البحر الأبيض المتوسط وسواحل خليجى العقبة والسويس .

٥ ـ إن جميع الأساليب والأجهزة التى اضطلعت بجوانب من التعمير فيما قبل سنة ١٩٦٧ كانت قاصرة بل ثبت فشلها فى كثير من الحالات ، وثبت أنها تنفق المال بلا تخطيط ولا روية ولا استخدام علم ، مما يقتضى بالضرورة ، ان تكون الهيئة العربية المقترحة لاحياء مشروع درب الحاج المصرى واعية لما يلى :

أ ـ ان لا يندس ، تحت اى ضغط ، بين صفوفها ، احد من غير الاكفاء المولعين باحياء موات الصحارى العربية .

ب ـ أن يكون لها نظام مالى صارم ، غير معوق ، ولكنه يعرف أين ينفق كل درهم ودينار ولماذا .

حـ ـ ان ترصد ممتلكات القائمين بالعمل فيها ، وتجعل لمبدأ « انى لك هذا » فعالية واحتراما .

د ـ أن تجعل فى محاذاة الحوافز والمكافاة على العمل الجيد ، ايضاً العقوبات والروادع ضد العمل الردىء .

٦ ـ إن إحياء درب الحاج المصرى ، ليس وقفا على موسم الحج الى بيت الله الحرام فقط ، فهو ايضا طريق مستمر للمعتمرين والمتنقلين برا بين المغرب العربى والمشرق طوال العام .

٧ ـ إن من مقتضيات إحياء ذلك الدرب إنشاء عدة مدن ذات اغراض محددة ، فمدينة لمستشفى عربى عالمى المستوى ، ومدينة لجامعة علمية عربية تخرج من ابناء العرب كل تقني وعالم يغنى عن استيراد الخبرات ، ومدينة لصناعة الدواء من الأعشاب الطبية الصحراوية للاستهلاك العربى والتصدير إلى مختلف انحاء العالم ومدينة لتدريب رجال الشرطة العرب على كل أساليب وتقنية الامن والمرور ، بحيث تتخذ هذه المدن الطابع العربى الأصيل ، وتحمل كل منها اسم القطر العربى الذى مول إنشاءها ، فهذه دوحة سينا ، وتلك كويت سينا ، وهاتيك ينبع سينا ، وغيرها ، دبى سينا ، وبغداد سينا ، وابو ظبى سينا ، وهكذا دواليك .

ويلحق بهذا المشروع دون ادنى تردد ، مكملا لصورته القومية الواسعة مشروع تعمير جزيرتى تيران وصنافر بمدخل خليج العقبة ، بايجاد الوسيلة التى تمدها بماء البحر المحلى بالطاقة الذرية او بالغاز ، لزرع اكبر مساحة منهما بالأشجار والمحاصيل المناسبة ، وانشاء مركز علمى لدراسة علوم البحار ، ومصنع لتعليب وتجفيف السمك (والجمبرى) والمحار ، ومرفق للترويح السياحى الخالى من شوائب العصر ومفاسده ، يلجا اليه محبو الهدوء والقراءة والبحث والاستجمام الاخلاقى النظيف .

ويستكمل الطريق البرى بين السويس وبير طابا بجسر بحرى عائم ينقل المسافرين من البر المصرى إلى الساحل السعودى ، لمواصلة الرحلة برا ، حتى يقضى الله بامره فيما هو قائم من عوائق ..

وليس الذى ذكرت هو كل تفاصيل المشروع ، وكل ما اوردت من تفاصيل مجرد علامات على الطريق ، يمكن ان تتخذ حجمها الطبيعى اذا وجد هذا المشروع اذانا عربية صاغية واعية ..

فهل ان الاوان ، وإعتبارا بما واجهناه باخطائنا منذ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ان نتخذ من سيناء قاعدة نضال (حضارى) هادىء النبرات تثبت بها الأمة العربية (كلها) انها تستطيع ان تتحدى التحدى الحضارى وأعصابها فى (ثلاجة) بعيداً عن الشعر والخيال والعنتريات . بدا بانشاءات حول درب الحاج المصرى تستكمل المسيرة إلى الهدف الاسمى الذى سعى إليه منشىء ذلك الطريق .؟

فى رحاب السماء

شعر : محمد بن همام العبد الله

إلى روح الدكتور علي علي لاظ الذى سقط شهيد الواجب فى ساحة الجامعة

يَا رفَاقِى وكلُّ شئٍ قَضَاءْ ... وَدّعونى ولا تطيلوُا الرثاءْ
كلُّ هَذا الوجُودِ كانَ شقاءً ... اى قلبٍ يطيقُ هذا الشقاءْ
وَدِّعونى فَرَاحَتِى فى مَمَاتِى ... مثْلَمَا راحةٌ الربيع الشِّتَاءْ
أىُّ دنيا رغبتُ فيها وعَيْشى ... لم يَزَلْ مذ وَعَيْتُ غير البَلاَءْ
أين صَحْبِى وأَيْنَ منهمْ حبيبٌ ... صادقُ الودِّ والصَّفا والوَفَاءْ
لم يكنْ فى الحياةِ غير شعاعٍ ... باسِمِ الوجْهِ مشرقٍ كالضِّياءْ
نفحةٌ من تُقًى ومنْهَلُ علمٍ ... يَتَسَاقَى بعَذْبِهِ العُلَمَاءْ

أيها الوَالِدُ الشهيدُ ودَمْعِى ... كيفَ يرثيكَ . ؟ هل يفيدُ البُكَاءْ
حينَ أرثيكَ لا أَرى غيرَ نَفْسى ... ميِّتًا فى مَمَالِكِ الأَحْيَاءْ
سوفَ تبكيكَ يا صديقى عقولٌ ... كنتَ نُوراً لها وكنْتَ سنَاءْ
وبكتْكَ القلوبُ لو كنْتَ تَدْرِى ... كلُّ قلْبٍ بكَاكَ حتى العَيَاءْ
ايها الراحلُ العزيزُ وداعاً ... فى جِنَانِ الخلودِ ثَمَّ اللقاءْ
فى رحابِ الألهِ ضيفٌ تَقِىٌّ ... عبقرىٌّ الخَلاَقِ جم العطاء
للخلودِ المَديدِ أَنْتَ ونحنُ ... لأَسَانا . وللإِلهِ البَقَاءْ



رَدّ على : خــالد محمد خــالد

التفرقـة بين الحب لأهل البيت والإنصـاف لحقـائق التـاريخ

بقلم : إسـماعيـل الكيـلاني

● لا يخفى على الأستاذ خالد محمد خالد ، ولا على غيره من المهتمين ، وهو الأزهرى ، ما بذله جامعو السنة النبوية ومدونوها في تنقيتها وتمحيصها وتنظيفها من شوائب الوضع المكذوب ، والتزوير الضار الذي قامت به طوائف وشيع ، لا سيما في ايام الفتن التى عصفت بالمسلمين منذ اواخر خلافة عثمان ذي النورين رضى الله عنه وما بعدها ، حيث انقسم المسلمون ، وبدات بعض الفئات أو الطوائف تضع من الاحاديث ما يخدم غرضها ، ويوافق هواها ، ويحقق بالتالى ما تتوهمه مصلحة لها ..

هذا على الرغم من التحذير الشديد ، والوعيد المخوف الذى يقصم الظهور : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .. » .

فاذا كان هذا الاجتراء على الوضع فى مجال السنة النبوية والحديث الشريف فما بالك بأخبار الخلفاء ووقائع التاريخ ..؟! وقد قيل قديماً : (وما آفة الاخبار إلا رواتها) .

وها هو شيخ المفسرين والمؤرخين المسلمين ابو جعفر الطبري رحمه الله يقول فى مقدمة تاريخه : (... فما كان فى كتابي هذا مما يستنكره قارئه . او يستشنعه سامعه من اجل انه لم يعرف له وجه فى الصحة ، ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم انه لم يؤت ذلك من قبلنا ، وإنما اتى من قبل بعض ناقليه إلينا ، وإنما اديناه على نحو ما ادى إلينا) ويسترسل رحمه الله موضحا ومعتذرا عن هذا الايراد فيقول (... إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج ...) ولو انه كان يروي الاخبار ليحتج بها او ليرتب عليها حكما وقضية ، كالحديث الشريف مثلا ، لما تركها هكذا ولالتزم فيها مناهج المحدثين فى الجرح والتعديل وقواعد النقد الصحيح ..

ولكنه اورد الروايات باسانيدها تاركا لمن اراد الاحتجاج ان يتثبت ويتحقق ..

ثم إننا نعيش الآن فى عصر تقدمت فيه وسائل الاعلام وتطورت ، واصبح الاتصال بين بني البشر ميسورا سهلا مهما كانت المسافات بعيدة .. فى عصر ساد فيه التدوين والتاريخ ، وتقدمت وسائل الكتابة والطباعة والنشر تقدما كبيرا .. وعلى الرغم من هذا كله نجد ان كثيرا من الوقائع والاحداث التى قد يكون الانسان معاصرا لها او معايشا إياها ، دونت وتناقلها النـــــاس على غير حقيقتها ، او غير الوجه الذى يجب أن تدون عليه . فكم من هزيمة قدمت للناس على أنها نصر مؤزر ، وكم من متزعم او متسلط رويت سيرته وقدمت على اساس انه من اعدل العادلين ، وكم من مظلمة اجتماعية قدمت على أنها عدالة بين الناس ومساواة فى التوزيع .. الخ ..

هذا بالنسبة لاحداث عاشها او يعيشها الانسان فى عصره ، فما بالك باحداث القرون التى تطاولت ، ونقلت مشافهة فى بداية امرها ثم دونت ، وكثيرا ما كانت تدون احداث بعض الدول والرجال فى عهود معادية لهم ، قامت على انقاضهم ، وكل همها تتبع عوراتهم ، وقد تدعي عليهم ما ليس فيهم ..

فى ذكرى كربلاء

والذى دعا إلى هذه الكلمة ما كتبه الأستاذ خالد محمد خالد فى مجلة «الدوحة» العدد الحادي والسبعين ، تحت عنوان : « فى ذكرى كربلاء العظيمة » حيث لم يكتف الأستاذ خالد ببيان أن الولاء يجب ان يكون للحق وحده دون غيره ، وأن خروج الحسين رضى الله عنه لم يكن لتحقيق مغنم او لبناء مجد شخصي .. وإنما كان لاحقاق الحق ، وتضحية جليلة فى سبيل هذا الحق ، حتى تبقى مثل هذه التضحيات منائر تضيء طريق الحق للسالكين .. ولو أنه اكتفى بذلك لكان حسبه ، حيث إن الحسين رضى الله عنه قتل شهيدا مظلوما فى سبيل ما اعتقد من حق وصواب ..

ولكنه دندن حول امور أفضى اصحابها إلى الله عز وجل ، وجاء بروايات يلمح القارىء من خلالها تكفيرا لواحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وليته عند اختياره ما اختار من روايات قام بتمحيصها ما دام يريد ان يرتب عليها قضية ، كما كان يفعل أسلافنا من المحدثين رحمهم الله تعالى ، وليته أيضا ذكرها للقارىء بسندها

فى العدد « ٧١ » من « الدوحة » .. كتب الكاتب الكبير خالد محمد خالد مقالا بعنوان « فى ذكرى كربلاء العظيمة » .

وفى هذا العدد يرد الأستاذ إسماعيل الكيلانى مسئول البحوث الاسلامية برئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر ، على بعض ما ورد فى مقال الأستاذ خالد محمد خالد .

أو ذكر المصدر الذى استقاها منه ، حيث لا تخرج فى حقيقتها عن كونها رواية من مجموعة روايات تحتمل الصدق وغيره ، وقابلة للفحص والاختبار ..

فأبو سفيان بن حرب الذى أورد الأستاذ خالد الرواية التى تشكك فى إسلامه ناقلا على لسانه وهو يوصي أهل بيته بالتمسك بالملك قوله : (لقد صار الأمر إليكم ، فلا تدعوه يفلت ، وتلقفوه تلقف الكرة ، فانما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار ..)

وما زعم من أن أبا سفيان وقف على جدث (قبر) سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وهو يقول : (يا أبا عمارة ، إن الأمر الذى اجتلدنا عليه بالسيوف قد صار إلى غلمان بنى امية ..)

ما الذى صار إلى بنى أمية ؟ الذى صار إليهم ـ بزعم الأستاذ خالد محمد خالد ـ هو الملك ، فهل كان حمزة رضى الله عنه يجتلد مع بنى أمية على الملك ، أم أنه كان يجاهد لاعلاء كلمة الله تعالى وقد استشهد فى سبيلها ؟!

أبو سفيان بن حرب هو الذى ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على «نجران» ، ومات عليه الصلاة والسلام وهو أمير عليها .. فما قيمة ما يورده الكاتب من رواية بجانب اعتماد رسول الله صلى الله عليه وسلم له فى الإمارة ، وهى أمانة ومسؤولية ..

وكذلك ألم يكن كثير من أمراء النبى صلى الله عليه وسلم على الأعمال من بنى أمية .. فلم يستعمل عتاب بن أسيد بن أبى العاص ويستعمل خالد بن سعيد بن العاص ، وأبان ابن سعيد وغيرهم .. ؟ (منهاج السنة : ٢ / ٢٢٢) .

ألم يشارك أبو سفيان في معارك الفتح الاسلامي ؟ فلو لم يكن صادقا فى دينه ، وما يدري أجنة أم نار ؟! أكان يعرض نفسه للهلاك فى اليرموك ؟

عن أبى أمامة ، وكان شهد اليرموك هو وعبادة بن الصامت رضى الله عنهما ، قال : « إن النساء قاتلن يوم اليرموك ، فخرجت جويرية بنت أبي سفيان وكانت مع زوجها وأصيبت بعد قتال شديد ، وأصيبت يومئذ عين أبي سفيان ، فاخرج السهم من عينه أبو خيثمه » (منهاج السنة : ٣/٤٠١) .



خالد محمد خالد

ويروى ابن كثير فى تاريخه (٩/٧) أن أبا سفيان بعد أن وعظ المقاتلين وشجعهم ، وذكرهم الله عز وجل ، ذهب أيضا إلى النساء فوصاهن ، ثم عاد فنادى :

« يا معشر أهل الاسلام حضر ما ترون ، فهذا رسول الله والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم » ثم سار إلى موقفه رحمه الله .

أهذه كلمات رجل ما يدري أجنة أم نار ، أم كلمات قلب عامر بالايمان ، مؤمن بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!

ويبدو أن الأستاذ خالد محمد خالد لم يطلع على رواية التابعي الجليل سعيد بن المسيب عن أبيه الذى كان حاضرا غزوة اليرموك ، أو اطلع عليها لكنه ذهب وراء تشكيكه .. قال سعيد عن أبيه :

هدأت الأصوات يوم اليرموك ، فسمعنا صوتا يكاد يملأ العسكر يقول : « يا نصر الله اقترب .. الثبات يا معشر المسلمين .. » فنظرنا ، فاذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد .. (ابن كثير : ١٤/٧) .

لقد ثبت يومها ابنه يزيد ، كما ثبتت ابنته جويرية ، وقاتلا قتالا شديدا ، وقد أوصاه والده قائلا :

« يا بنى ، عليك بتقوى الله والصبر ، فانه ليس رجل بهذا الوادى من المسلمين إلا محفوفا بالقتال ، فكيف بك وبأشباهك الذين ولوا أمور المسلمين ؟ أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة .. فاتق الله يابنى ، ولا يكونن أحد من أصحابك بأرغب فى الأجر والصبر ولا أجرا على عدو الاسلام منك .. »

فقال يزيد رضى الله عنه : أفعل إن شاء الله .. وقد فعل ، وكان من ناحية القلب وقاتل قتالا عظيما . (ابن كثير : ١٣/٧) .

واستمع إلى قوله وهو يتجول بين الصفوف قبيل المعركة : « الله الله ، إنكم ذادة العرب وأنصار الاسلام ، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك ، اللهم إن هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك على عبادك .. » (الطبري : ٣/٣٩٧ ـ ابن كثير : ٩/٧) .

صحيح أن أبا سفيان كان من أعدى أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بذل الأموال والجهود وجيش الجيوش لقتاله والصد عن دين الله عز وجل ، لكنه عاد فأسلم ، والاسلام يجب ما قبله ، كما جاء فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص وقد أراد الدخول فى الاسلام وقال : أريد أن أشترط .. أن يغفر لي . فقال عليه الصلاة والسلام :

« أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله .. » .

ودخل أبو سفيان فى دين الله عز وجل ، كما فعل كثير من أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم كعكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه مثلا ، الذى بذل أقصى ما يستطيع فى سبيل رفعة هذا الدين حتى استشهد يوم اليرموك ومعه ولده على رضى الله عنهما ، وهو الذى قال عندما اشتد وطيس المعركة يوم اليرموك : قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواطن ، وأفر منكم اليوم ؟ ثم نادى : من يبايع على الموت ؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور فى أربعمائة من وجوه المسلمين .. ولما ترجل يقاتل الروم وراءه خالد بن الوليد رضى الله عنه وناداه أن يرفق بنفسه ، قال له : مهلا يا خالد ، فوالله لقد قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أفلا أذود الآن عن الاسلام وأرجو أن تكون هذه بتلك .. ومشى حتى قتل رضى الله عنه ..

وفى صحيح البخاري : لما أسلمت هند بنت عتبة زوجة أبى سـفيان قالت : «والله يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض

اهل خباء احب إلى ان يذلوا من اهل خبائك ثم ما اصبح اليوم على ظهر الارض من اهل خباء احب إلى ان يعزوا من اهل خبائك .. » .

التجنى على (حقائق التاريخ)

فما هى مسوغات التشكيك من الناحية العلمية ، وما هى فوائده لمجتمع المسلمين اليوم من الناحية العملية إلا تعميق الهوة ، وإيجاد الشروخ ، وتكريس التنابذ ، وإثارة الاحقاد ..

ايقبل الاستاذ خالد محمد خالد أن ينسب إليه القول بفصل الدولة عن الدين ، وأن الاسلام كالنصرانية ؟! . ام انه يرد على من ينسبه إلى هذا ، بانه اعلن توبته وتراجعه وانه سجل على نفسه .. (ويبدو انني يومها - عندما قال إن الدين لا يعنيه ان يكون دولة ولا يعنيه ان يتدخل في بناء الدولة - كنت متاثرا بتصور مسيحي عن الحكومات الدينية ، لا سيما تلك التى قامت تحت ظل الكنيسة فى اوروبا فى عصور الظلام ، ناسيا يومها ان الاسلام مختلف جدا ، وان الدولة بشكلها ومضمونها كانت تعنيه إلى ابعد مدى .. وفى الاسلام بالذات لا يمكن عزل الدين عن الدولة إلا إذا أمكن عزل الدين عن الدين ..) جريدة الاخبار القاهرية العدد ٧٨٥٨ الثلاثاء ٢٣ اغسطس ١٩٧٧) .

واكد ان الاسلام دولة ودين ، وانه اصدر كتابا سماه « الدولة فى الاسلام » .

فاذا الاستاذ خالد لا يقبل ، بعد أن تراجع ، ان ينسب إلى ذلك الموقف الذى تبرا منه !! فكيف يجيز لنفسه أن ينسب لابا سفيان إلى موقف تبرا إلى الله عز وجل منه بقوله وفعله وجهاده فى سبيل هذا الدين ..

ونحب ان نلفت نظر الاستاذ خالد محمد خالد إلى ما ورد فى صحيح البخارى ، وغالبا انه قد اطلع عليه لكنه لم يذكره ، من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على المنبر ، والحسن رضى الله عنه إلى جنبه ينظر إليه مرة والى الناس مرة .. ثم قال : « إن ابني هذا سيد ، ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» فقد اخبر أن الحسن رضى الله عنه سيد ، وانه يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، وقد تحقق ذلك .

إن الحقيقة التى لا يجادل فيها ، اننا نقرأ فى كتب التاريخ كثيرا من الأخبار التى نسبها بعض الشعوبيين إلى بني أمية وبني العباس .. هى احط ما ينسب إلى خلفاء ورجال ، ونقرا كذلك فى كتب القصاصين أخبارا منسوبة إلى الخلفاء واهل العلم والأدب هى اقبح كثيرا مما نقراه لدى المؤرخين ، والحقيقة التى يجب أن لا تغيب عن الأذهان :

ان النزاع السياسي بين هذه الشيع المختلفة هو الذى ادخل كثيرا من الشوائب فى التاريخ الاسلامى ، مما يجعل الحقائق التاريخية ، ولا سيما فترة صدر الاسلام والأمويين ، تشبه الدر الملقى بين أشواك ، يحتاج مريد استخراجه من تلك الاشواك إلى اناة وروية وصبر وتقليب نظر في وجوه السلامة من اذى الشوك ، وليس هناك اسلم من طريقة المحدثين .. وإلا كان الظلم والتجني ، ونسبة اناس إلى امور هم منها براء ..

اما يزيد بن معاوية الذى يسميه الكاتب بـ « يزيد القرود » ويقول عنه : إنه كان يتلهى عن امر الاسلام والمسلمين بفهوده وقروده .. هكذا ..

قبل أن نتطرق لهذه النقطة التى اثارها الاستاذ خالد واعتمدها وبنى عليها حكمه نقول : إن قتل الحسين رضى الله عنه معصية لله ورسوله ، ممن قتله او اعان عليه او رضي به ، كائنا من كان .. وهو مصيبة اصيب بها المسلمون من اهله وغير أهله ، وهو فى حقه شهادة له ، ورفع درجة ، وعلو منزلة .. وقد قتل مظلوما شهيدا .

اما يزيد بن معاوية فانه ولي امر المسلمين بعد والده ، ونحن لا نريد هنا ان نبرئه من الخطا ، وقد افضى إلى الله عز وجل الذى يحاسبه ، فان شاء عذب وإن شاء غفر .. ولكنا نقول : إن الأخطاء التى حدثت وارتكبت فى عهده لا تجيز لنا أن ننسب إليه ما ليس فيه ، والامانة العلمية تقتضينا التثبت اولا ، وعدم تضخيم هذه الأخطاء ووضعها تحت المجهر ، ولو كان فيها احقاد وسخائم قرون متطاولة .. علينا ان نذكر الحقيقة كاملة ، ولا نكتفي بالسوء من القول وباطله ..

ففى صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم » .

وكان هذا الجيش بقيادة يزيد بن معاوية فى عهد والده ، وفيه جلة من الصحابة رضى الله عنهم ، كابي أيوب الأنصاري رضى الله عنه الذى استشهد ، ودفن تحت اسوار القسطنطينية ، ومازال قبره إلى الآن هناك .

وفى الصحيح أيضا عن ابى نعيم قال : سمعت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وساله رجل عن المحرم تقتل الذباب ؟

فقال : يا أهل العراق ، تسالوني عن قتل الذباب ، وقد قتلتم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال النبى عليه الصلاة والسلام : « هما ريحانتاي من الدنيا » .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى (منهاج السنة : ٢/٢٤٩) :

والذى نقله غير واحد ان يزيد لم يأمر بقتل الحسين رضى الله عنه ، ولا كان له غرض فى ذلك ، بل كان يختار أن يكرمه ويعظمه كما امره بذلك والده .. ولكنه كان يختار ان يمتنع الحسين من الولاية والخروج عليه .. فلما قدم الحسين ، وعلم أن اهل العراق يخذلونه ويسلمونه ، طلب أن يرجع إلى يزيد ، أو يرجع إلى بلده ، أو يذهب إلى الثغر .. فمنعوه من ذلك حتى يستاسر .. فقاتلوه حتى قتل مظلوما شهيدا رضى الله عنه .. وأن خبر مقتله لما بلغ يزيد واهله ساءهم ذلك وبكوا على قتله ... ولم يسب له حريما أصلا ، بل اكرم أهل بيته واجازهم حتى ردهم إلى بلدهم .. وقال : لعن الله ابن مرجانة - يعني عبيد الله بن زياد - اما والله لو كان بينه وبين الحسين رحم لما قتله ، قد كنت ارضى من طاعة اهل العراق دون قتل الحسين . (انظر ايضا ابن كثير والطبري فى حوادث سنة ٦١ هـ) .

لكنه مع ذلك ما انتصر للحسين ، ولا امر بقتل قاتله ، ولا اخذ بثاره .. وما عدا ذلك فتزيد وافتراء ..

إن الوضع فى الأخبار والتزيد فيها ، والتجني على حقائق التاريخ كان يتم قديما لمصلحة الشعوبية عدوة الاسلام والمسلمين .. وفى عصرنا الحاضر يتم هذا على أيدى اصحاب النزعة الاستعمارية الذين كان همهم : إثارة احقاد الماضي الدفينة ، وإيقاظ سخائم النفوس ، بغية إبعاد المسلمين عن امجاد تاريخهم التليد بقطع صلتهم بالجيل القدوة ..

من هنا وجب على كل من يتصدى لحوادث ذلك التاريخ اليوم الا يختار من الروايات إلا ما يصح حسب قواعد النقد العلمي التى وضعها أسلافنا رحمهم الله ليحقق للمسلمين خيرا فى حياتهم المعاصرة وينير الطريق الصحيحة للأجيال القادمة .. والله من وراء القصد .

اسماعيل الكيلاني

ارتهان الحصان



شعر: حسن عبد الله القرشي

الشاعر العربي المعروف حسن عبد الله القرشي ، سفير السعودية فى الخرطوم ، شغلته الحياة الدبلوماسية فى الشهور السابقة ، وهاهو يعود إلى قرائه الكثيرين بهذه القصيدة الجميلة التى أرسلها إلى « الدوحة » من السودان :

تساءلت فيم ارتَهَنْتُـم حصانى ٠ ؟
سلبتم عنَانَ الحصانْ
وسرْج الحصَانْ
وسمَّرتُمُوا برصاصِ الخيانةِ حافرَه فى الطَّريق ٠ ؟
واجبرتُمونى على السَّير فى جمْرةِ القيظِ وحَـــدى
لخوِّض فى المنحدَرْ
حنانيكمُـــو
انا ما كنت يوماً ولا ســـاعةً
واحداً من رعاة البقرْ
ولم احترفْ مرة ان اخبِّىءَ ظِلِّى
وراءَ الشجَرْ !
واندسُّ تحتَ ستار المطَرْ
حنانيكمُـــو
انا ما كنتُ لصّـــا لقافلةٍ
غادرًا بالرفيقْ
ولا سارقاً حفنةً من قطيع
ولا قاطعاً للطريقْ
ولا معجَباً بلصوصِ البشَرْ !

• •

تساءلت وارتدَّ منى التساؤلُ
وانطفأ الزهْوُ ..
الغيت كل عقـــودَ المحبّـــةِ
حطمتُ تمثالَ فينوسَ ..
سرتُ وحيداً على لجةِ الاملِ الموجعِ
انتحرتْ نغمتى عبر موجِ الضجيجِ
وضاعتْ مع السفن الغارقة !

• •

وكنت بريئاً
فهانتمو هؤلاءِ
تبيعوننى
رهْنَ مذبح غدر المرابين والمستبدِّين والادعياءْ
شقَقْتُمْ قميصى ..
جرحتُمُ الحلْمَ الغضَّ
حطمتمُو كلَّ سهمٍ حواه وِفاضى
فها هى ذى جعبتى
افرغُ اليوم من ظُلَّةِ العنكبوتْ

• •

برغم الحصارِ
برغم انحسارِ المدى وانتحارِ النهار
برغم ارتهانِ حصانى
سأبقى انـــا
احاول ان استردَّ السَّـــنَا
ولكننى عدتُ ارجوكمو
ان تعيدوا الى حصانى
وسرجَ حصانى
وخلوا لديكم عِنـــانى
إذا شئتموا أن تغلوا زمانى
ولا تحـــــذروا
فارسُ الامس
لمَّا يعدْ مثلما كانَ
عادَ حطاماً كما شئتموهُ
لَقىً فى الدروبْ
وَهَى عزمةً وخبا بَصَراً ثاقباً
وذوى عـــودُه
فارسُ الامس
ماذا تخافونَ من حُزمةِ الحُزْنِ ؟
من كتلةِ الشوكِ ٠ ؟
من ومضةٍ فى المغيب ٠ ؟!

والشعراء الأسبان أيضاً يقفون على الأطلال

بقلم : عبداللطيف عبدالحليم

ليس للشعر موضوع يقف عنده ، وينحصر فيه ، وإلا حصرنا الحياة ذاتها فى هذا النطاق فلا تخرج عنه ولا تتعداه ، لان الشعر صورة الحياة يعبر عنها فى ضروبها المختلفة ، واشكالها المتباينة .

والوقوف بالطلول أحد الموضوعات الأثيرة فى الشعر العربى ، لان الطلول كانت تلابس البدوى فى تنقله واستقراره ، لذا لم يكن غريبة أن تجيش بها نفسه جيشانا عارماً فيفرد لها الأبيات الطوال ، وتاتى طواعية فى مستهل قصيدته «مقدمة طللية» كما يسميها صديقى وأستاذى الدكتور الطاهر مكى ، يبكى فيها الرسوم الدوائر فى الطبيعة امامه والشاخصة فى نفسه ذكرى آسية .

لم يكن الشاعر العربى انذاك يتقيل نموذجاً مرسوماً ، إنما كان شيئاً يجيش به صدره ، فيقذفه على لسانه ، لكن حين فسدت الملكات ، وغلبت الصنعة على الطبع ، صار الوقوف على الطلول «طللا مسجلا» احتذاء للاولين ، حتى ان الشاعر الحضرى راح يبكى الأطلال الدوارس وهو لم يرها ، وبات الأمر لدى صغار النقاد العرب واجباً مفروضاً أن تستهل القصيدة بالبكاء الطللى ، ثم بوصف المحبوبة متخلصاً منه الى غرض القصيدة الاصلى إن كان فى القصيدة غرض اصلى .

ثار ابو نواس ـ بشعوبيته ـ على الوقوف بالطلول مستبدلا إياه بوصف الخمر ، منددا بالعرب ، مزريا عليهم ، ساخراً بهم .

قل لمـــن يبكـــى على رســم درس
واقفـــا مـــا ضر لـــو كـــان جلس؟

والحق ان ابا نواس لم يصنع شيئا بتمرده ذاك ، جل امره انه استبدل شيئا بشىء اخر ، فهو تقليد فى كراهية التقليد .

ولعل «سينية» البحترى فى إيوان كسرى نمط نادر فى الشعر العربى ، صدق لهجة ومشاعر ، ونقاء فكر وتعبير ، يقل رصيفها فيما نظمه شعراؤنا إن إبداعا وإن تقليداً ، لان البحترى لابس الموضوع فيما هو انسانى فيه ، فهو عربى الوجه واليد واللسان ، والايوان كسروى ، لكن الشاعر استطاع ان يريق على الموضوع وهجا انسانيا خالداً ، يقول :

ذاك عنـــــدى ، وليســـت الدار دارى
باقتـــراب منها ، ولا الجنس جنسى

وقد عرف الشعر الأندلسى موضوعا أثيرا وحزينا ، هو الوقوف على المدن والممالك المسلوبة ، نعم سبق المشرقيون إخوانهم الاندلسيين فى هذا المضمار ، لكنه سبق البداية فحسب ، لأن هذا الموضوع اندلسى خالص ، أبدع فيه أهل الاندلس وبذوا المشارقة ، ربما لظاهرة المدن الضائعة التى تفرد بها الاندلس ، وكثرة الحزن تعلم المرء البكاء كما يقولون ، ولدراسة هذه الظاهرة يمكن الرجوع الى ما كتبه صديقى العلامة الدكتور الطاهر مكى فى كتابه «دراسات اندلسية» .

ويفيض المؤرخون العرب والأعاجم فى الحديث عن مدينة الزهراء ، وبنائها ، وعمارتها ، وكان مبلغ قول احد المؤرخين العجم عنها انها «فرساى» المسلمين ، بناها عبد الرحمن الناصر تخليدا لجاريته الزهراء فى سفح جبل العروس بينها وبين قرطبة ثلاثة اميال تقريباً ، وجعلها المقر الملكى ومقر الحاشية وارباب الدولة ، واستمر العمل فيها من عام خمسة وعشرين



كانت مدينة قرطبة وغيرها من مدن الاندلس الضائعة موضوعا للشعر الاندلسي الذي اتسم بالحزن والبكاء !

وثلاثمئة الى اخر دولة الناصر وابنه الحكم وذلك نحواً من اربعين سنة . غير أن هذه المدينة الجميلة لم تزدهر سوى ردح يسير من الزمن ، فقد زاحمتها مدينة «الزاهرة» التى ابتناها المنصور بن أبى عامر .

اتت على المدينة حوادث الزمن ، فانطمرت تحت الارض الى ان بدا الحفر للكشف عنها فى القرن الماضي او على التحديد عام ١٨٥٤ . وفى عام ١٩١٠ بدات الدولة الاسبانية الحفريات من جديد على نحو منتظم حتى يومنا .. كان «ريكاردو بلانكيت بوسكو» اول من اضطلع بهذه الحفريات عام ١٩١٠ ، واكتشف فى هذه الحفريات الاولى قصر الخلافة والمجلس الغربى .

وبعد ان توقفت الاعمال بسبب الحرب الأهلية عادت من جديد عام ١٩٤٤ وحققت نتائج باهرة فى زمن محدود ، إذ اكتشفت قاعة عبد الرحمن الناصر الى جانب مبانى ملحقة .

وفى عام ١٩٦٤ تلقت حفائر مدينة الزهراء دفعة قوية من الدولة ، وفى هذا العام نفسه تم تنظيف مسجد الزهراء تماما ونقوشه الادبية معروفة جيداً واوردها عدد من المؤرخين وكان يشرف على اعمال الحفر المهندس «هرناندث خمينيث» ، كما ان المهندس «باسيليو بابون ملدونادو» قام بالدراسات المعمارية (أقدت من مقال رفاييل كاستيخون عن حفائر مدينة الزهراء ، وترجمة الدكتور الطاهر مكى) .

القصائد التى تأتى مترجمة بعد هذه الكلمة هى لثلاثة من الشعراء ، يلقب اولهم بشاعر مدينة الزهراء ، لأنه قرطبى اولا ، وخصص ثانيا ديوانا كاملا عنوانه «مراثى مدينة الزهراء» . ويدعى باسم «ريكاردو مولينا» . وترجمت له قصائد «شاعر عربى – طلول – الصيف – اغنية اندلسية – الساقى» وترجمت للشاعرة «خوانا كاسترو» قصيدة «الزهراء من عند الزهراء» . وثالثهم ترجمت له قصيدة «الزهراء وردة» وهى للشاعر سياستيان كوبياس نابارو» . والقصائد كلها من كتاب خصصت صفحاته للحديث عن مدينة الزهراء اصدرته مديرية الثقافة فى مدينة قرطبة ، وعنوان الكتاب «حنين وحضور مدينة الزهراء» . وأرى فى القصائد هذه نفسا اندلسيا خلفه اسلافنا الاندلسيون فى أصحاب هذه القصائد وفى غيرهم ، وقد اتيح لهم أن يقرأوا الشعر العربى مترجما الى الاسبانية فى مطالع هذا القرن قام بترجمته بعض المستشرقين الاسبان وان كان من الملاحظ ان فيه ايضا نسيجا سيرياليا غامضا ، يتمثل فى تركيب الصور والعبارات ، وادع حضرات القراء فى النهاية مع هذه القصائد .

● من قصائد الشـــاعر « ريكاردو مولينـــا » :

شـــاعر عربى

الرجـال الذين يتغنون
بالياسمين والقمــر
اورثونى اساهم
وهواهم ، واوارهم ، ونارهم

● ●

الغرام المضنى
للشفاه المتاججـة
والعبودية
للجمال الذائب الرقـة

● ●

وحـــزن
الرغبـــة الخـــالدة
التى لا يستمر جوهر لذتها
سوى لحظة واحدة

طلـــول

عظيم مصنع المرمر
القصر النبيل بجدرانه ذات الشرفات
الابواب المعدنية ، من الارز والبرونز
بيد ان الأعظم من العظمة ذاتها
هو رغبـة القدرة التى تلهب
باجيجها اللاعج الضلوع العزلاء .

● ●

جميلة القاعة المانوسة المطرزة
من اجل الحب ،
النبع الصافي الموسيقى الذى ينتحب ،
ويغنى
فى زاوية خفية
بيد أن الاجمل من الجمال ذاته
هو ذاك الشوق المر الذى يستيقظ

● ●

ماذا بقى من المئذنة ، ؟ .
ماذا بقى من القصر ، ؟ .
ماذا بقى من السلطان ، ؟
ماذا بقى من الارادة ، ؟
بقى رنين الحجـــارة ،
بقى اسم شرير ، زائف ،
ريح حزينـــة .

● ●

والشعراء الأسبان أيضاً يقفون على الأطلال

تهوى الانجم من سمائها الرائعة
واحدة واحدة ، رمادا ،
استحال الحب ، والسلطان ، والارادة
رمادا ، رمادا تذروه الرياح ...

الســـاقى

ظماى ، ونعشق الظما ،
ضوء عميق يهدهد اعماقنـــا
ويعانى فوق شفاهنـــا

● ●

باطل ان نغنيها ، الاهم
ان نشعر بها ،
ان نهواها إذا عانت او
غنت حزينة ووحيدة

● ●

قل لى : لماذا تقدم لنـــا
الاقمار مرة والكئوس مرة اخرى
تحوم حول رغباتنا دائراً
فى لوذعيـــة ؟

آه !! ايها الساقى ،
شفاهك الوردية ، فى ظلال الشوق
الذى يؤرقنا .. تخجل الورد .؟

● ●

من الذى فى وسعه ان يطفىء الظما الذى يقتلنـــا .
لو كان القمر وفيا لذاته ،
قمراً ، وشرابا ، وثغراً .؟

أغنيـة اندلسية

سحب ، وطيور ، ونجـــوم ،
تمضى .. وابقى انـــا
قريباً ، وقريبا جــداً ،
فوق العمود المهشم ، وعلى
حاجز الشرفة المهشمة
مازال الحب يغنى

تسمع شدو العصفور
الذى بقى معى ،
هنا ، وقت الاصيل ،
تظل السماء متشحة باغصان المشاعر كلها

● ●

ســلام البقاء
حالة الروح تكاد تضرب فى الأسل
قريبا من ابريل ، قريبا منى
قريبا ، وقريبا جداً ، هنـــا .



الصيف

كان يجثم الصيف السعيد البطىء
فى البهو بين الازاهر
بينما تغفو الروح فى النسيان اللذيذ
مقعيا فى ركن قديم ، فى مملكة وادعة

● ●

الأصيل المتوهج فى اواخر اغسطس
كان يسترخى بين الازاهر
بينما كانت يد لدنه تهدهد فى الاحلام
قيثارة المساء الخفية

● ●

اللجين الخفى لهذه اللحظة الساجية
كان ينثر سلاما رطبا ،
وحياة القمر الغضـــة
والنسيم فوق البهو فى الظلال .

من قصائد الشاعرة « خوانـــا كاسترو » :

الزهراء من عند الزهراء

ا ـ الصـــباح :

يتقاطر الطل من النرجس
علامـــة النصر
يتباعد جنـــاح الضباب
مثـــل الغراب
لا مكان للنحيب حيث الازاهر
والزنابق والرتم ينزع منها معا
براعم حياتها الفانيـــة
ونحن معها الفانون الباقون ،
مع الضوء المبعوث من الغناء ،
فانها لا تموت وإن دمروها .

ب ـ الأصـــيل :

جبل العروس ملىء بالزهر تحت جذوة الشمس
ولدى قدميه تشهد الطلول بالعظمة .
وباسم الله الرحمن الرحيم
يسجع الحمـــام .
الذى مر فحسب هو الزمن ، جواده المخادع ،
واسراب النحل ـ فى يونيو القائظ ـ فى جيئـــة
وذهاب من الازاهر الى الخلية .
الاصيل مثل الجذوة ، وكذلك شقائق النعمان ،
والعبق مثل العقد يطوق لهب الرياح البـــاذخ
لقد مر الزمن فحسب .
وبقيت الذكرى .
ويجثم المجد فى التراب الحريرى .

وتنفث كف الريح الحمى فى أوراق اللوز
الصغيرة الواهنة ، حيث تكون المياه
مثل افعى حلوة ، رطبة الأنياب .
لا يمر سوى الزمن
لقد مر الزمن فحسب .
إن الشاعر يعيد برؤيته صياغة العالم ،
حجراً ، حجراً ،
كلمة تحت نار الايام ، ونظراته السعيدة
تصلح
خلل الاقواس ، ولغته هى الفجر ،
لقد مر الزمن فحسب .

جـ ـ الليـــل :

من الزهراء اتذكرك بشغف ،
وانت لا تدرين ، ياربة هذا الليل ـ
انك تملئين الليل ، فتشرب عيونى :
هاته الكاس من النبيذ التى تطفح زهراً
مثل كتفيك ، فتسحر عينى ،
تسحرنى كتفاك ، وضفيرتاك
وانت لا تدرين ـ ياربتى ـ حتى هذا ـ
انك تتوهجين مثل النجم بل اشـــد
وهجا منه
وانت لا تدرين ـ ياربتى ـ الآن ، حين يكون
الليل النطفة الباردة الكبرى للغمائم
العذبة
التى اشربها بخلايا عيونى الظامئة .
من الزهراء اتذكرك بشغف ،
وظما الملح يمزق حنجرتى ، فاملؤها بك ،
وبذكراك ، وبضفيرتيك الذهبيتين ،
وبكتفيك من الثرى العبق .
ياربتى التى لا تقبل إلا لماما ، تعرفين
مصاحبة المجد
ورؤيتك هنـــا :
هنا حيث الظلول تخلد النصر فوق
الضباب
العسلى الأسود ، على ظلال الزمان .

من قصائد الشاعر « سباســـتيان كويباس نابارو » :

الزهراء وردة

ـ ١ ـ

لقد ماتت الأزاهير ، والياسمين ، والزنابق ،
والسرو .
وذبلت الزهرة
وعبد الرحمن عبر الحبق يبحث فى الظلال
عن الياقوت البارد فى عمامته .
ورياح القرون الطويلة غبض الغدران فى
القاعة المذهبة .
ونبات الجهنمية يناوش القبيلة فى رقصته
الزنبقيـــة ،
وحول الجياد العربية تحتضر أعرافا
وشقائق نعمان .
وفضل المغنية تنهض مثل الشحرور الغض
فوق بساط اللهب .
والمباخر تتوهج ، والحكم يحلم بالكتب
وبقناديل البرونز
والمدينة الوردة تتبختر فوق سوريا
وبيزنطة وبغداد ، وفارس
والمدينة الدلفى ، واللبلاب وزهرة العسل
تزهر زهرة
من الجيد الى الثغر ،
والباز يلمحك منعطفة بالعوســـج
والكروم
مثل عنقود غنائى بين كهرمان الصهد
المشمس .
وآبنوس جبل العروس حيث تنتظر
العروس .

ـ ٢ ـ

الاظافر المفسدة تخلت المرمر
وخمشت الاقواس ، ووشى الدمقس
ولطخت شجر اللوز بالتراب ،
حمامة لؤلؤية تدمى فى الثرى ،
من الأزرق السماوى الى الوردى
ثمة قطاف من تيجان الاعمدة
والعشب الاخضر والعاج ...
وربوة بيضاء من الكافور تنساب من
اشبيلية الى المغرب
من فلورنسا إلى اللوفر ،
وزهرة إكليل الجبل تنتثر مثل مـــاء
الايمـــان
حينما تهوى الزهراء متناثرة .

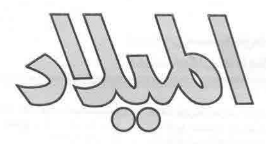
ـ ٣ ـ

لا أحد فى استطاعته ان يمحق الربيع
مادامت العصارة هاجعة فى الجذور
التى يتجدد شباب بذورها
وفى الجيل الكامل من نبات الغار
برغم النار ، والسيف ، يرضع نبـــات
الشوبان
والعوسج جذوره بين الجير والجص ،
والاعمدة تتنفس بين الجرشف ،
والطلع النباتى يخضوضر دواما
من شجرة تين الى اخرى ،
ليس فى استطاعة العقرب ان يلـــدغ
الاقواس
ولا أن يبدد خزامى الثمار ،
الخراج تحيط بالاسس ،
ولا يصل طعام الكسكسى بالعســـل
والقطلب (١) ،
وعقد من السوسن والخرشوف يتدلى
من الزليج والمخدع ،

فى الجو الفخارى تنبت بذرة الخصب
الخالدة ،
فان الزهراء الوردة دائما مخصبة .

(١) نوع من النبات من فصيلة الخلنجيات

عبد اللطيف عبد الحليم ـ مدريد



● قصـــــــة ●

بقلم : عبدالله الطـوخي

رايت نفسى حاملا نعشى وسائرا نحـــو القبور . كنا فى غبشة البكور ، ولا قدم إنسان او حيوان تدب على الأرض . الكل فى هجعة النوم الأخيرة . لم اكن اقصد الا يرانى احد بنعشى . إننى لا اتصرف فى الخفاء . لكنى قصدت أن انفذ قرارى بسهولة . الا يناقشنى احد فيما اتخذت من قرار !

كان سور المقابر يلوح من بعيد .. هناك على الضفة الاخرى من الترعة وســــط الحقول .. مضيت أغذى الخطو بثبات وهدوء !

لفت نظرى فجاة ، قرص الشمس الذهبى وهو يبزغ ويطل وليدا على الوجود ابتسمت فى نفسى وشددت من قبضتى على نعشى : اننى اموت مع ميلاد يوم جديد . تلك هو المغزى العميق !

كان ضوء الشمس حادا ، لكنه غير مؤلم والافق ممتدا ورحيبا وناعم الزرقة .. وحقول القمح المزروعة منـــذ وقت قريب ، ما رايتها ابدا بكل هذه الخضرة الصافيـة المترعـة ، وهذا التماوج الراقص لاعـــواد القمح مع النسيم ، وفكرت أن الطبيعة تودعنى بمنظر جميل ، قلت شكرا أيتها الحياة التى انطلقت فى رحابك كل هـذه السنين . شكرا .. وداعا .. فلكل رحلة نهاية .. هذا هو القانون .

كنت اود ان اقول كما يقول المحبون لحظة الفراق : « .. والى اللقاء ايها الاحبـاب » لكنه الفراق الأبدى هذه المرة ، والصمت العميق الهادىء المريح ..

وداعا إذن يا حقول القمح ، ويا اشعة الشمس ، ويابروتينات الارض ، ويا ذئاب البر ، ويا عرائس النهر ، وداعا يا كل شىء .. وداعا يا قانون الجاذبية الذى ينظم ويضم كل عناصر الكون ، فلقد حاولت ان ابقى جزءا من الدورة . حـــــاولت بكل ما منحتنى الحياة من قدرة . لكن القدرة نضبت مرة واحدة ولم اعد قادرا على الحصول حتى على شرف المحاولة . بل إن للماساة وصلت الى قمتها حين رايت الدورة نفسها فقدت حيويتها ومعناها .. اصبحت الحركة تاكيدا للثبات وللسكون . ليس الآن اعظم من شرف الموت . وداعا فقد سئمت واصبحت فى حاجة الى الراحة العميقة .. الراحة الابدية بجوارك ايتها الحقول ، ويا أيتها الأشجار الشاخصة الهاجعة . وتنبهت فجاة الى اننى واقف بنعشى واتكلم مع عناصر لا تنطق . ولاننى كنت قد تعودت الحديث مع النفس طويلا فى الايام الاخيرة فقد جذبت نفسا عميقا وقلت بحزم : هذا هو اخر الانفاس ، واخر الكلام مع النفس ..

لقد انتهت الرحلة !

وعدلت من وضع النعش على كتفى ، ومضيت مواصلا السير فى اتجاه القبر .

غير اننى فجاة وجدتنى أتوقف على صوت :

ـ دقيقة .. لوسمحت .

رحت انظر حولى باحثا عن مصدر الصوت . لكنى لم ار اثرا لانسان غيرى .

وهم إذن ما سمعت . واندفعت مواصلا السير ، غير ان نفس الصوت عاد .. بغضب وحسم : قلت لك انتظر . مثلما استمعنا إليك ، يجب ان تستمع الينا .. !

واذ ايقنت ان الصوت ليس وهما ، بل بالتاكيد حقيقة ، واذن فهى صادرة من عالم الخفاء .. تجمدت فى مكانى .. هاجمنى خوف كاسح غريزى اوقف حركة جسمى وعقلى . لكنى سرعان ما تنبهت لسخرية الموقف وخطورته وقلت لنفسى : انت سائر الى الموت . فلماذا .. ومن ماذا الخوف .؟!

ياله من تراث ثقيل وكريه ذلك الذى اسمه الخوف يظل يلاحقنا حتى ونحن سائرون إلى قبورنا . (وازدادت قبضتاى قوة على نعشى) هذه هى اللحظة التى يجب ان ارى فيها نفسى فوق الخوف . ان الذين اختاروا الموت ، لا يصح ان يخيفهم من الحياة اى شىء !

ـ نشكرك انك اســــتجبت ووقفت . (واحسست بابتسامة ود فى الصوت) ومادمت قد قررت الموت ، فهى ليست بكارثة أو جريمة لو اضفت الى عمرك بضع دقائق .. نتكلم فيها .

كان القمح هو الذى يتكلم . لم اتعجب . فقد كنت منذ قليل اكلمه واناجى خضرته واودعه :

ـ وفيم تريد ان نتكلم .؟!

ـ انزل نعشك أولا الى الارض .. كى تتكلم براحتك .؟

ازددت تشبثا بنعشى وقلت :

ـ لقد اصبحت لا اتكلم براحتى ، الا اذا كنت حاملا نعشى . واحب ان انبهك الى حقيقة هامة عنى ، وهى ان عهد المناقشات قد انتهى من حياتى .. وشىء اخر اكثر اهمية : لو كنت تفكر فى اقناعى بالعدول عما انا ذاهب اليه فالافضل ان توفر جهدك .. وشكرا على مشاعرك الرقيقة . لقد حسمت القضية .

قال ساخرا :

ـ حسمتها بالهروب .. أليس كذلك .؟ الحق كان يجب ان تكون خجلا من نفسك ! (استفزتنى العبارة .. واللهجة) .

ـ ومم أخجل .؟

ـ الهارب من الحياة يجب أن يخجل من نفسه .

انطلقت منى ضحكة مقهقهة ساخرة تردد صداها فى فضاء الحقول ووصلت الى سور القبور وقلت : قديمة .. قديمة .

قال بدهشة : ما هى القديمة هذه .؟ !

ـ نغمة الاتهام بالهروب . فلم اكن لحظة اتخاذ القرار بطلا أو حتى جنديا فى معركة ثم هربت منها . انما الحياة بالنسبة لى اصبحت دورة عقيمة ، والخجل الحقيقى كان هو ان ابقى مستمرا على قيد الحياة ، لا تسلنى أرجوك عن تفاصيل . لقد ناقشت قضيتى طويلا وحسمت امرى : الموت الآن بالنسبة لى هو الشجاعة .. وهو الشرف ..

وهو أعظم المواجهات !

(ندت عنه ضحكة ساخرة مستهزئة) .

ـ تتكلم عن المواجهة ثم تذهب الى الموت . إنك حقا لتضحكنى !

قلت مستهزئا باستهزائه :

ـ ذلك لانكم معشر النباتات قمة فرحتكم فى مجرد التواجد بالحياة . يزرعكم شخص ويخلعكم اخر ، ولا لوم عليـــكم فانتم لا تعرفون شيئا عظيما اسمه « إرادة الحياة » .. وحين تنعدم هذه الارادة يبقى لكم شىء اسمه « ارادة الموت » . ان نحيا باختيارنا وارادتنا .. فان لم .. فبارادتنا واختيارنا نموت . وهذا هو صميم موقفى . اظنه اتضح الآن .. ولن أزيد .. معذرة .. سلام ..

كنت قاطعا فى لهجتى فلم يعاود الحديث . داخلنى نوع من السرور . من المؤكد انه اقتنع بكلامى ، ولسوف يبارك ميتتى العظيمة ، ويكون من الشاهدين .

وعاودت الانطلاق بنعشى بثبات ويقين .

غير انى ماكدت اقترب من السور حتى فوجئت برجلين يظهـران بغتة ويعترضان طريقى ..

كانت هيئتهما غريبـــة ، واسنانهمـــا بالذات كريهة .. وتوجست من التارجح السريع لنظراتهما . كانا يريدان الاطمئنان لعدم وجود احد غيرنا فى المكان . وفكرت على الفور انهما لصان ، ولكن ماذا سيسرقان منى .؟ كل الاشياء تخليت عنها ، ولم يبق لى غير روحى .. وروحى هى الاخرى حالا ساتخلى عنها !

غير انى فوجئت بهما يمدان أذرعهما الاربعة نحو النعش ويقولان :

ـ عنك ايها الرجل الصالح . لابد انك تعبت من حمله . نريد ان نكسب ثواب مساعدتك !

ودون ان ينتظرا منى ردا ، امسكا بالنعش من حوافيه الأربع .. فقفزت متراجعا بالنعش الى الخلف وصرخت فيهما : لا . لا . ثوابكما ان تتركانى حاملا نعشى . لست متعبا . اشكركما .

بدا عليهما الضيق . تبادلا نظرة . قال احدهما :

ـ فلتسمح لنا اذن بثواب المشي فى جنازتك .

وأردف الآخر :

ـ إن جنازة بلا مشيعين شىء يثير الحزن والاسى .

لم تكن فى لهجتهما ذرة صدق .. بل وازدادت ريبتى . قلت ولهجتى يختلط فيها الغضب بالتوسل :

ـ لكنى ، ومعذرة ، لا اريد ان يمشي احد فى جنازتى . كل واحد منا يصنع جنازته كما يشاء . اتركانى وحدى لوسمحتما .

عاودا تبادل النظرات . قال احدهمـــا للآخر وقد كشر عن اسنانه الكريهة :

ـ هذا الاسلوب لا ينفع معه . فلننته من الامر بسرعة .

وبحركة خاطفة انحنى وجذبنى من اسفل ساقى ، فوقعت انا والنعش على الارض . صرخت وانا احتضن نعشى بقوة :

ـ لماذا تفعلان هذا .؟ ما الذى تريدانه منى .؟

ـ نريد هذا النعش !

تأكد احساسى . إنهما لصان . وعلى اشبع مستوى . يسرقان نعوش الموتى . وهاهما يريدان اغتصاب نعشى منى .. !

تعبأ صدرى بالكراهية . ورايت زحف المهانة يدب الى صدرى لو ان هذا حدث فعلا .. تختتم حياتى بهزيمة .. حتى نعشى لا أستطيع المحافظة عليه . صرخت : لا .. والف لا .

تحولت اسنانهما الى انياب .

ـ ايها الاحمق (وشهر واحد منهما مدية حادة فى وجهى وقال) يجب ان تدرك حقيقة وضعك . نحن اثنان .. وانت واحد .. واعزل .. يجب ان تسلم فورا .

إزددت احتضانا لنعشى : لا . لست وحدى . نعشى معى .. ولست بالاعزل . نعشى هو سلاحى . اتفهمان . نعشى هو سلاحى وساحاربكما به !

كشرا عن انيابهما البشعة . وفى لحظة كانت المعركة قد نشبت ، وثارت من الارض سحب التراب ، وانا ممسك بنعشى ، واذا بالنعش متين وراسخ بين قبضتى ويئز فى الجو محدثا ذبذبات كهربائية مخيفة . كان فى لحظة درعا يتلقى عنى الضربات ، وفى لحظة اخرى سلاحا .. عمودا .. جذعا .. يوجه الضربات .. اعنف الضربات ..

وإذ اصاب كل منهما من النعش ضربة دوختهما فتمايلا وراحا يترنحان ، زغرد قلبى بتباشير النصر ، وبدا لى النعش الذى كان منذ قليل دليلا للموت ، رمزاً للحياة ..

واحسست بشحنات تتفجر من داخلى وتتوالى .. كانت انفاسى تتدافع .

ـ اه .. لطالما استرخت عضلاتى ايها الكلاب حتى تشحمت ويبست .. الآن تندفع الدماء فى عروقى .

ولاحظت ان الزرع فى الحقول يرقب المعركة بلهفة ، فتضاعفت قوتى ، وعلت صيحات الحرب ، وانات الالم الوحشية .. ثم فى لحظة بدا لى ان قواى نفدت ، وانى على وشك السقوط الاخير بنعشى .. غير انى سمعت اعواد الزرع تصيح على .. تشجعنى .. ليست اعواد القمح فقط ، بل اعواد القطن والذرة وقصب السكر ... ليس فقط الزرع .. بل بشر ايضا ، فتيان وعرائس جاءوا ليشاهدوا رجلا يحارب بنعشه . لست بطلا فى مسرحية ، بل بطلا على مسرح الحياة . رجل كان يحمل نعشه ليودع الحياة فاذا بالنعش بين يديه سلاح يصرع به اللصوص والطغاة ..

ورأيت الكل يصفق لى ..

كان اللصان قد سقطا على الارض بلا حراك ..

وقفت التقط انفاسى .. واسترجـــع ما كان ..

كان سور المدافن قريبا منى .. والنعش ملقى على الارض ..

ـ لا .. ليس الآن ..

واعطيت ظهرى للقبور ..

ورحت اخترق الحقول .. متجها الى البيوت .

عبد الله الطوخى

ديجول والبحث عن العظمة

بقلم: محمد العزب موسى



صورة نادرة للجنرال ديجول اثناء التجائه إلى بريطانيا بعد هزيمة فرنسا سنة ١٩٤٠

قال عنه الكاتب الفرنسي اندريه مورياك « انه يشعر كما لو كان مبعوثاً من فرنسا التاريخية الى فرنسا المعاصرة كى تتذكر كم هى عظيمة تلك الدولة » !

وقال عنه الصحفى الامريكى جون جنتر « انه يتقمص شخصية فرنسا او ان روح فرنسا تتقمصه .. فالقائد والرسالة والامة لديه واحد » !

وقال عنه احد معارفه « ان مشكلة الجنرال الوحيدة هى انه ليس كائنا بشرياء!

هذا هو مفتاح شخصية ديجول .. الاحساس بالعظمة ، والبحث عنها والعمل من اجلها .. وهى حقيقة يعترف بها خصومه وانصاره على السواء وكانت مصدراً لما ناله فى حياته من قدح وثناء ..

ولم تكن هذه الحقيقة خافية عن الجنرال ، فقد كان يصل احيانا فى تقديره لنفسه الى حد العجرفة ، فعندما ساله بعض انصاره يوماً عما يفعلونه من بعده قال « عليكم ان تبحثوا عن ديجول اخر » ! وعندما اقترح عليه البعض ان يوجه شكرا الى الامة الفرنسية لتاييدها لسياسته فى الاستفتاء على مصير الجزائر رفض قائلا « كيف تشكر فرنسا نفسها ؟ » ! وكان احيانا يشير الى ذكرياته عندما كان زعيما لحركة فرنسا الحرة قائلا « اه .. هذا حدث عندما كنت انا فرنسا » !

ولكن ديجول كان يختلف عن لويس الرابع عشر الذى قال « انا الدولة » فالدولة فى حد ذاتها لم تكن تعنى ديجول كثيرا ، بل كان ما يعنيه هو اقالة فرنسا من عثرتها ويا لها من عثرة تاريخية كبرى ، بدات بانهيارها فى الحرب السبعينية فى القرن التاسع عشر ، وامتدت الى هزيمتها فى الحرب العظمى ، ثم الى مهانتها فى الحرب العالمية الثانية ، ثم الى ورطتها فى حروبها الاستعمارية بالهند الصينية وشمال افريقيا والجزائر فى الخمسينيات .

فديجول كان يغذى فرنسا من روحه وارادته وصموده ، اما لويس الرابع عشر فكان يتغذى على فرنسا ومجدها وترفها ، وهذا هو الفرق بين الرجلين .

ومن الغريب ان هذا الرجل الذى وصل فى كبريائه واحساسه بذاته الى هذا الحد كان يتميز فى الوقت نفسه بالبســاطة والتواضع ، وتروى عن رقة قلبه النوادر ، فعندما كان قائداً لقوات فرنسا الحــرة بالجزائر منعه الاطباء من تناول الطعام لمرض اصابه وسمحوا له فقط بشرب اللبن ولكن ديجول رفض ان يشرب اللبن قائلا انه لا يستطيع ان يشارك اطفال الحرب غذاءهم الوحيد . وعندما جاء الى الحكم عام ١٩٥٨ ابى رغم مشاغله الا ان يرد بخط يده على جميع رسائل التهنئة التى تلقاها .. وكانت تبلغ زهاء الخمسة الاف !

وفى قمة مجده كرئيس للجمهورية ، وزعيم للشعب ، وشخصية عالمية ، لم يغير

ديجول نمط حياته البسيطة مع زوجته « العمة ايفون » ـ كما كانوا يسمونها لطيبتها وبعدها عن الاضواء ـ وظلت دائما سهرته المفضلة ان يجلس مع زوجته للسمر امام التليفزيون بعد ان يتناولا عشاء منزليا بسيطا كاية اسرة متوسطة من ملايين الاسر فى فرنسا .

وعندما كانت سهام النقد تصوب على ديجول من كل مكان ، وعندما كان رسامو الكاريكاتير يصورونه كالديك الرومى المنتفخ الاوداج أو يلبسونه تاج شارلمان او طيلسان لويس الرابع عشر او قبعة نابليون .. كان هو يمضى فى طريقه غير عابىء بهذه الحملات ، فهدفه الوحيد هو تحقيق « المعجزات » لفرنسا . ولم يكن يدرى ـ ربما ـ أن معجزته الكبرى هى انه استطاع ان يقود بكفاءة شعبا من اكثر الشعوب استعصاء على الحكم والقيادة شعبا وصفه بيير دانينوس « مذكرات الرائد طومسون » التى ترجمها الدكتور ثروت عكاشة باقتدار بانه « ينقسم الى ثلاثة واربعين مليونا من الفرنسيين » !

فى مواجهة الالمان

ولد شارل جوزيف مارى ديجول فى نوفمبر ١٨٩٠ فى اسرة من الطبقة المتوسطة اشتهرت بعدد كبير من الاسماء اللامعة فى الادب والسياسة . كان والده استاذاً للفلسفة والادب الفرنسى فى احدى كليات الجيزويت الشهيرة بباريس ، وكانت مكتبته حافلة بامهات الكتب فى التاريخ والادب والاساطير وتراجم العظماء وسير القديسين . وتعود ديجول فى طفولته وصباه أن يقضى بها الساعات الطوال يعب من ذخائرها التى لا تنضب .

وكان مولد شارل بمدينة « ليـــــل » الصناعية باقليم الرور الذى رزح تحت الاحتلال البروسى زمنا وفيه قضى طفولته قبل أن ينتقل مع اسرته الى باريس ، وكثيرا ما كان الطفل يسمع والديه يحكيان ذكريات مريرة عن الغزو البروسى وكارثة «سيدان» فى الحرب السبعينية حين اجتاحت جحافل الالمان ارض الوطن كالطوفان ، واذاقوا فرنسا امر هزيمة فى تاريخها ، وظلت هذه الصورة الرهيبة عالقة فى ذهن الطفل تمده باحلام اليقظة فى ان ياتى يوم يكبر فيه ويثار لوطنه من ذل الهزيمة .

وما أن اتم ديجول دراسته الثانوية حتى التحق بكلية « سان سير » العســـــكرية العريقة تراوده احلام طفولته فى ان يصبح جنديا يدافع عن فرنسا . وهذه الاكاديمية أسسها نابليون بونابرت وظلت مركزاً متخصصا فى الدراسات النابليونية ، وفيها درس شارل ديجول بالتفصيل سيرة نابليون وعصره وخططه وحروبه ، واصبح من اشد المعجبين به وجعل منه مثله الأعلى ، وتخرج ديجول فى كلية « سان سير » عام ١٩١٢ برتبة ملازم ثان ، والتحق بسلاح المشاة وتنقل فى الخدمة العسكرية بمختلف انحاء فرنسا .

وفى سن الرابعة والعشرين اتيحت له الفرصة لتحقيق حلمه القديم ـ او هكذا تصور ـ اذ هبت رياح الحرب العظمى على فرنسا (١٩١٤) واشترك ديجول فى الحرب برتبة الملازم فى الكتيبة (٣٣ مشاة) تحت قيادة الكولونيل بيتان .. الرجل الذى شاءت المقادير ان يواجهه بعد ذلك فى اعنف صراع وطنى !

واثبت ديجول خلال السنتين الأوليتين للحرب شجاعة فائقة ومقدرة عسكرية كبيرة مما لفت اليه انظار بيتان فقربه منه ، وجرح ديجول اثناء الحرب مرتين ليعود الى ساحة القتال بمجرد شفائه ، واشترك الى جانب بيتان فى معركة « فردان » البائسة التى كانوا يطلقون عليها « المعركة المفقودة » ولكن بيتان بعبقريته العسكرية استطاع تحويل دفة النصر الى جانب الفرنسيين ، وكانت هذه المعركة اساس مجد بيتان وشهرته .

جرح ديجول فى معركة « فردان » وافاق ليجد نفسه فى اسر الالمـــــان حيث قضى السنتين الاخيرتين من الحرب ، وقام اثناء الاسر بخمس محاولات للفرار بهدف ان يعود لمواصلة القتال ، وفى كل مرة كان يقبض عليه بالقرب من المعتقل ويعاد من حيث اتى لتوقع عليه العقوبات . واخيراً عقدت الهدنة فى « نوفمبر ١٩١٨ » وعاد ديجول الى فرنسا محتفظا بروحه المعنوية العالية ، فتقدم رغم ضعف صحته الى الخدمة العسكرية العاملة من جديد .

وكانت تنتظره حرب اخرى مريرة ، ولكنها لم تكن دفاعا عن الوطن هذه المرة ، ففى عام ١٩٢١ ارسل ديجول الى البانيا ضمن حملة الدول الغربية ضد الثـــــورة البلشفية ، وكانت الحملة تحت قيادة الجنرال ويجان ، احد الاسماء اللامعة كذلك فى تاريخ العسكرية الفرنسية وقد لعب ايضا دوراً حاسما فى حياة ديجول فيما بعد ، وحققت القوات الفرنسية بقيادة ويجان انتصارات متفرقة على الجيش الاحمر ، ولكن ذلك لم يحل دون حملة الغرب العسكرية والفشل ، وعاد ديجول مع القوات المنسحبة يعانى ضعفا وارهاقا بالغين فحصل على اجازة طويلة من الجيش وخلد الى الراحة ليسترد صحته المفقودة .

عكف ديجول خلال فترة نقاهته الطويلة على قراءات متعمقة فى كتب التـــاريخ والفلسفة والادب والفنون العسكرية ، كما اخذ يجرب موهبته القديمة فى الكتابة ، تلك الموهبة التى ورثها عن ابيه واسرته ذات الميول الادبية والتى سوف تحقق له نفعا كبيرا فى المستقبل ، ولم يعد ديجول الى حياة المعسكرات بعد شفائه ، وانما تقلب فى فترة ما بين الحربين بين عديد من المناصب الاكاديمية والادارية والقيادية ، فعمل محاضراً فى مادة التاريخ العسكرى

ديجول فى قمة مجده .. عندما اصبح زعيما للشعب وشخصية عالمية





الجنرال ديجول اثناء اعلانه حكومة فرنسا الحرة

ديجـول والبحـث عن العظمة

فى اكاديمية « سان سير » ، وعين فترة ياورا عسكريا لبطل فردان ومعبود الجيش الجنرال بيتان وكان عندئذ قائدا عاما للقوات الفرنسية المسلحة ، وارسل فى مهمة خاصة لدراسة الأوضاع فى الشرق حيث مكث ثلاث سنوات متنقلا بين حلب ودمشق وبغداد ، ووضع فى هذه الفترة اول كتبه «جيش الشرق» ولقى رواجا كبيرا ، كما عين بعد عودته من الشرق فى عام ١٩٣٢ سكرتيرا عاما للمجلس الأعلى للدفاع الوطنى ، وظل يشغل هذا المنصب الهام لربع سنوات ، ثم عاود دراســـــاته فى الاستراتيجية العليا بكلية اركان الحرب ، وعين فى عام ١٩٣٧ قائدا لحامية « ميتز » المطلة على الجانب الالمانى ، وظل يشغل هذا المنصب حتى قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ .

وفى ميتز لمس ديجول بنفسه خطـــورة ما يجرى على الجانب الألمـــــانى من استعدادات جادة ولهفة مجنونة على التسلح ، وحاول ديجول ان ينبه مواطنيه الى مدى الخطر الالمانى ، وان يشحذ همتهم للاستعداد العسكرى ، فوضـــع كتابين هما ، « فرنسا وجيشها » و « جيش المستقبل » دعا فيهما الى انشاء قـــوات ميكانيكية حديثة تساير متطلبات العصر ، فلم تعد الحرب كما كانت فى الماضى تعتمد على شجاعة الجندى وقدرته على الخوض بالسلاح الأبيض او بالاسلحة النارية الصغيرة فى صفوف الاعداء ، وانقضى الزمن الذى كان يمكن فيه لفرنسا ان تضمن سلامتها بان تقبع وراء خط ماجينو الشهير فالحرب الحديثة اصبحت تعتمد كلية على الآلات والمحركات ، على الدبابات الثقيلة وقاذفات القنابل والمدافع البعيدة المدى ، وينبغى على فرنسا فى وجه الخطر الألمانى الداهم ان لا تتوانى فى تسليح نفسها باحدث الأسلحة وان تنتهج سياسة الهجوم كخير وسيلة للدفاع .

ولكن بنى وطنه اعاروه اذانا صماء ، فالقيادة العسكرية تحت سيطرة ضباط تقليديين صنعوا لانفسهم اسماء لامعة فى الحرب العالمية الأولى منذ عشرين سنة واستكانوا اليها وتخلفوا عن التطور ، والقيادة السياسية غير مدركة لحتمية الحرب التى يستعد لها الالمان وتمنى نفسها بان هتلر يجهز جيشه لبطلقه ضد الاتحاد السوفيتى فى الشرق بحثا عن مجاله الحيوى ، وكانت هذه فى الواقع هى نظرة الغرب كله فى ذلك الوقت بعد ان خرج لتوه من اتفاقية ميونيخ مكللا بالتخاذل والعار .

ولكن نظريات ديجول حازت اهتماما كبيرا من الجانب الآخر .. من الالمان ، فقد كان اهم ما يشغل المانيا الهتلرية فى ذلك الوقت تكوين جيش حديث قوى يستطيع ان يثار من هزيمة ١٩١٨ ، وكان الالمان مجنونين بصفة خاصة بسلاح الدبابات الذى تسبب فى هزيمتهم فى الحرب العالمية الأولى حين اخترع البريطانيون الدبابة فجاة قبيل انتهاء الحرب فقلبوا بها ميزان القتال ، كما كانوا مهتمين بانشاء سلاح جوى قوى تحت اشراف جورنج ، ومشحونين بافكار الحرب الخاطفة واكتساح الخصوم . وحين وقع كتابا ديجول « فرنسا وجيشها » و «جيش المستقبل» فى يد ضابط المانى يدعى الجنرال « جوديريان » ادرك على الفور اهميتهما وخطورتهما البالغة . وانصت جوديريان الى خصمه ديجول وهو يكاد يهمس فى اذنه وحـــــده باسرار الاستراتيجية الحديثة ، ضرورة التخلص من وسائل الحرب التقليدية .. من المدفعية الثابتة ، والخنادق ، والحصون ، والمعارك الصغيرة . والاعتماد بدلا من ذلك على الدبابات والطائرات والمصفحات والمدافع الثقيلة ، وانتهاج اسلوب الهجوم الكاسح المباغت الذى لا يترك للخصم فرصة للاستعداد . ووضع جوديريان كتابا بعنوان « احرصوا على التسلح » اودعه نظرياته فى الحرب الحديثة والتى لم تكن اكثر من صياغة المانية لنظريات ديجول ، بل ان كتاب جوديريان يضم صفحات مترجمة حرفيا عن كتاب ديجول «جيش المستقبل» ولم يلبث كتاب جوديريان ان اصبح انجيلا للقوات المسلحة الالمانية ، واهتم هتلر وكبار مساعديه كل الاهتمام بنظريات الجنرال جوديريان وكانوا يسمونه « جنرال المحركات » ، وفى اوائل الحرب بعـــد استيلاء هتلر على مصانع الأسلحة الشهيرة فى وايتر ـ نوشتات بالنمسا والتى تقع فى قلب مركز صناعى غنى بالحديد والصلب ثم استيلائه على مصانع « سكودا » التشيكية ، امدت هذه المصانع الفوهرر بالخامات والتكنولوجيا اللازمة لتجهيز ٤٠ فرقة مدرعة حديثة ، وهكذا تحقق حلم الجنرال جوديريان فى انشاء فرقة « البانزر » الالمانية الشهيرة التى وضع ديجول فكرتها الأصلية ، وهكذا ـ لسخرية القدر ـ كان ديجول ابا لفرقة البانزر النازية التى اكتسحت أراضى فرنسا ودكت مدنها ، ومرغت هامتها فى الرغام !

عندما سقط السيف

اجتاحت جيوش النازى النمســـــا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا بسرعة خاطفة ، وفى اوائل مايو ١٩٤٠ اخذت القوات الألمانية تتقدم عبر بلجيكا الى شـــمال فرنسا .. طوابير من الدبابات والمدافع والمصفحات وسيارات نقل الجنود والقطارات المحملة بالعتاد العسكرى تقتحم الأراضى الفرنسية من كل اتجاه ، الجو مشحون باناشيد القتال الألمانية والطرق مفتوحة امام قوات هتلر الغازية ، فلا خطوط دفاع فرنسية منيعة ، ولا روح معنوية عالية ، والفلاحون الفرنســـيون يهجرون قراهم امام تقدم فرق العاصفة ويتدفقون فى سيول لا تنقطع على باريس ليملاوا قلوب ابنائها وجلا بحديثهم عن الرعب النازى والجيش الذى لا يقهر .

فى هذه الأيام العصيبة برز وجـــه الجنرال ديجول صلبا مصمما على القتال حتى النصر ، كان عندئذ قائدا لاحدى فرق الدبابات فى شمال فرنسا ، واستطاع ان يصمد مؤقتا فى وجه الغزاة بل واوقع بالألمان المتقدمين على الأرض الفرنسية عدة هزائم تكتيكية ولكنها لم تؤثر كثيرا فى مجرى الأحداث ، اذ كان ديجول يامل ان يهب الى نجدته الجيش الفرنسى من الجنوب ليسد الثغرة بين امبين ـ بايوم فى وجه التقدم الألمانى ولكن جيش الجنوب لم يصل وركز الألمان من ضغطهم حتى اجتاحوا مقاومة ديجول وتمكنوا من احتلال شمال فرنسا ، واصبح الطريق مفتوحا امامهم الى باريس .

كان يراس وزراء فرنسا فى ذلك الوقت بول رينو وهو من انصار فكرة المقاومة ، واستدعى بول رينو الجنرال ديجول ـ وقد استيقظ القوم فجاة على صدق نبوءاته ! ـ وعينه مساعدا لوزير الدفاع الماريشال بيتـان ، ووافق ديجول على شرط واحد هو ان تستمر فرنسا فى القتال مهما حدث سواء على اراضيها او من افريقيـــــا والامبراطورية الفرنسية فيما وراء البحار

اذا استدعى الامر ، ووافق بول رينو على ذلك واعطاه المواثيق الكافية ، وطلب ديجول تكليفه بمهمة الدفاع عن باريس ، وكان من رأيه تكريس كل القوات الميكانيكية الفرنسية للدفاع عن العاصمة لان سقوط باريس وهى القلب العسكرى والسياسى والاقتصادى للبلاد معناه سقوط فرنسا باسرها . ولكن الجنرال ويجان قائد الجيش لم يأخذ بوجهة نظر ديجول . وبدلا من التركيز على الدفاع عن باريس قام بتقسيم الجيش الفرنسى الى شراذم متفرقة بحجة عدم المقامرة بضياع الجيش باكمله ، ولم تستطع هذه الشراذم الصمود فى القتال ، وانهارت الخطة الدفاعية ، ودخل الالمان باريس .

وارغم قادة الجيش بول رينو على تقديم استقالته فى محاولة منهم لتحميل السياسيين مسئولية الهزيمة ، وخلفه الماريشال بيتان ـ جندى فرنسا الاول ! ـ الذى طلب توقيع الهدنة مع الالمان «انقاذا لباريس من التدمير» وكانت شروط الهدنة قاسية للغاية ، ويقال ان هتلر شخصيا اصر على التشدد فى شروطه امعانا فى اذلال فرنسا ، ولكن الماريشال بيتان وقع هذه الشروط صاغرا ، وهذه هى الجريمة التى حوكم من اجلها فيما بعد بتهمة الخيانة العظمى على اساس ان شروط الهدنة كانت اهانة وطنية لا تغتفر .

كانت فرنسا حينئذ فى قمة اليأس والروح الانهزامية ، ولم تكن هزيمتها على هذا النحو المهين نتيجة لضعفها العسكرى بقدر ما تعود الى افتقارها للزعامة الوطنية القديرة ، فلم يكن هناك فوش ، ولا بوانكاريه ولا كليمنصو ، وها هو المارشال بيتان جندى فرنسا الاول ، بطل فردان قد ألقى السيف ..

كانت فرنسا تتطلع الى زعيم يستطيع أن يحمل من جديد ذلك السيف الذى ألقى فى الوحل ، ويغسل عنه العار . وتقدم شارل ديجول كى يلتقط السيف .

فرنسا الحـــرة

كان من رأى ديجول ، مساعد وزير الدفاع ، أن تواصل فرنسا الحرب من الامبراطورية ، وبحث الزعماء الفرنسيون بالفعل تحت الحاحه الشديد مشروعا بنقل القيادة العسكرية والحكومة الى الجزائر ومواصلة الحرب من هناك ، وسافر بعض القادة والزعماء العسكريين بالفعل الى الجزائر استطلاعا لهذه المهمة ، ولكن حكومة بيتان المستسلمة ، وكان مقرها فيشى ، حاربت الفكرة بلا هوادة اعتقادا منها بأن اية مقاومة فرنسية فيما وراء البحار من شأنها ان تجعل النازيين يشتطون فى معاملة الشعب الفرنسى ، وقد يدمرون باريس منارة العالم !

وهكذا لم يكن امام ديجول بدا من ان يخرج عن طاعة بيتان ويفر الى بريطانيا ليواصل القتال . ويحكى تشرشل فى مذكراته عن الحرب العالمية الثانية كيف استطاع ديجول الفرار من فرنسا رغم الرقابة المشددة التى فرضتها عليه حكومة بيتان ، فقد تظاهر ديجول بتوديع شخصية بريطانية كبيرة فى مطار باريس ، وعندما أوشكت الطائرة على التحرك قفز اليها ديجول فجاة واقلعت الطائرة امام اعين رجال المخابرات الفرنسية المذهولين .. وكان تشرشل هو واضع خطة تهريب ديجول !

ومن راديو لندن ارتفع صوت ديجول يدعو الى الثأر الوطنى ومواصلة القتال :

« ايها الضباط الفرنسيون ، والجنود الفرنسيون ، والطيارون الفرنسيون ، والمهندســـــون الفرنسيون .. اينما تكونوا ابذلوا جهودكم للحاق بهؤلاء الذين يصرون على مواصلة القتال » .

« انني اعدكم بانه سوف يأتي اليوم الذى نتمكن فيه بقواتنــا ، قوات النخبة الفرنسية ، قواتنا الميكانيكية فى البر والبحر والجو وبالاشتراك مع حلفائنا .. من اعادة الحرية للعالم ، والعظمة لبلادنا » ..

« ينبغى أن يكون هناك مثل اعلى . ينبغى أن يكون هناك امل .. ان شعلة المقاومة الفرنسية سوف تسطع وتلتهب فى مكان ما » .

« ان الوطن لم يمت ، والحرب لم تضع ، ولتحيا فرنسا » ..

وواصل ديجول دعوته للمستعمرات الفرنسية للانضمام الى حركة فرنسا الحرة التى جعل مقرها لندن ، فاستجاب له البعض ورفض البعض ولاء او خوفا من حكومة فيشى ، وحدث ان هاجمت البحرية البريطانية بعض وحدات الاسطول الفرنسى فى اعالى البحار واغرقتها لتمنع الالمان من الاستيلاء عليها ، وبالرغم من ان تشرشل لم يستشر ديجول ولم يبلغه بأمر هذا الهجوم مقدما إلا ان الحادث اساء الى صورة ديجول لدى الفرنسيين ، واستغلته حكومة بيتان لاظهار ديجول بمظهر الخائن الذى يتآمر ضد بلاده مع الانجليز خاصة وقد كان عليه ان يبرر الهجوم البريطانى فى اذاعاته من صوت فرنسا الحرة براديو لندن ، وأصدرت حكومة بيتان قرارا بتجريده من الجنسية الفرنسية ومصادرة املاكه ثم حاكمته غيابيا وحكمت عليه بالاعدام فى ٢٣ أغسطس ١٩٤٠ .

ولكن هذه الرياح المعاكســـة التى واجهت حركة فرنسا الحرة فى ايامها الاولى لم تلبث ان تحولت الى رياح مواتية فقد قرر قادة الاسطول الفرنسى فى ميناء طولون اغراق الاسطول حتى لا يقع فى ايدى الالمان ، وخلال ليلة واحدة نزلت الى اعماق البحر فى مياه طولون ٧٣ قطعة حربية فرنسية من احدث القطع البحرية فى العالم منها بارجة كبيرة ، وبارجتان صغيرتان ، و٧ طرادات ، و٢٩ مدمرة و ١٦ غواصة وعدد من زوارق الطوربيد .. لقد انتحر الاسطول الفرنسى غرقا ! واستشاط هتلر غضبا لهذا الحادث فأمر قواته باجتياح فرنسا كلها . واخضع البلاد للاحتلال العسكرى الالمانى السافر ، وهنا سقطت حجة حكومة فيشى فى ان التعاون مع الالمان يحمى فرنسا من الاحتلال ، وعادت المانيا هى العدو الوطنى اللدود للفرنسيين ، وبدأ الرأى العام الفرنسى يتجه الى تأييد حركة المقاومة السرية فى الداخل ، وحركة فرنسا الحرة فى الخارج ، وفى مارس ١٩٤٣ اختارت المقاومة السرية داخل فرنسا ديجول قائدا لحركتها فانتصر بذلك على منافسه جيرو الذى كان ينافسه على زعامة فرنسا الحرة من مقره بالجزائر

ولم يكن النضال ضد الالمان ، وحكومة فيشى ، ومنافسة جيرو هى كل ما يشغل ديجول فى هذه المرحلة العصيبة ، بل كان عليه ان يخوض صراعا آخر ضد حلفائه انفسهم ، وقد شعر ديجول اثناء الحرب بمرارة شديدة تجاه حليفيه القويين تشرشل وروزفلت فى حين بادله ستالين بعض الود ، وبالرغم من ان تشرشل كان اكثر حدبا عليه من روزفلت ، فهو الوحيد على الاقل الذى يمده بالمال والسلاح ، إلا انه كان يضع نفسه فى مركز الاخ الاكبر او بالادق فى مركز الوصى على ديجول وحركته وهو وضع لم يكن يرضى ديجول الذى يريد ان يزعم لفرنسا مركزا مساويا لحلفائها .

وازداد الخلاف بين الرجلين عندما أيد تشرشل فى أواخر شهور الحرب استقلال سوريا ولبنان ، فاتهمه ديجول بانه يسعى لتصفية الامبراطورية الفرنسية فى المشرق العربى ووراثتها ، وسافر الى الشام ليحول دون وقوعه فى أيدى القوات البريطانية . أما روزفلت فلم يكن يخفى استهانته بديجول وحركته ، وظل الى قرب انتهاء



ديجول والبحث عن العظمة

الحرب لا يعترف باللجنة الوطنية الفرنسية التى يراسها ديجول كحكومة شرعية فى المنفى ، وظل لفترة طويلة يفضل التعاون مع حكومة فيشى على امل ان تفتح له ثغرة وراء خطوط الألمان .

وقد صدر حديثا فى فرنسا كتاب بعنوان « تشرشل وديجول » لمؤلفه فرانسوا كير سودى يلقى مزيداً من الضوء على علاقة ديجول المتوترة بحلفائه فى الحرب ، فنقرا عن روزفلت يحكى عن قصة لقائه لأول مرة بديجول قائلا لمن حوله : « تقدم نحوى ديجول وهو يشد قامته الطويلة واعلن : انا جان دارك .. انا كليمنصو ! واخذ روزفلت ديجول بطرافة ، وكان يراه فاشيا او مغامرا او مشروع دكتاتور فى المستقبل ، وكان يردد ان ديجول سوف يسقط بجدارة فى اية انتخابات حرة تجرى فى فرنسا بعد التحرير ، وعلى احسن الأحوال كان يراه طفلا مدللا وينصح تشرشل قائلا : عليك ان تؤدبه بحرمانه من الطعام !

ولكن تشرشل لم ير فى ديجول شيئا مسليا على هذا النحو ، بل كان يقدر عزمه على مواصلة القتال تقديراً عاليا ويرى فيه « تجسيداً لرفض الهزيمة » ، ولكنه فى نفس الوقت يشك فى انه « مجنون بعض الشيء » ويعترف بان هذا الجنرال بنزواته الغريبة يسبب له من المتاعب اكثر مما يسببه جميع حلفائه الآخرين مجتمعين ، اما ديجول فبالرغم من حنقه على تشرشل كان يشيد باتساع افق الرؤية لدى مضيفه ، وقدرته على التخيل ، ونشاطه الذى لا يهدا وكثيرا ما كان يصفه قائلا : « ياله من فنان عظيم » !

وبالرغم من ان ديجول لم يكن يملك موارد كبيرة سواء من المال أو الرجال أو المعدات الا انه كان راغبا عن اتباع خطى حليفيه الكبيرين مصراً على تنفيذ خططه الخاصة ، وكثيراً ماكان ينتقد الانجليز فى مجالسه ويتهمهم بانهم « يعقدون صفقة حرْب مع هتلر » وانهم يخططون للاستيلاء على المستعمرات الفرنسية فيما وراء البحار بل كان يتحدث احيانا عن احتمال ان يصحب قواته ويذهب للحرب فى صفوف ستالين !

كان همه الاكبر ان يعقد لواء زعامته على كل المستعمرات الفرنسية فى الخارج والمقاومة الفرنسية فى الداخل ، ويرغم الحلفاء على الاعتراف بفرنسا الحرة التى يمثلها كشريك محارب لا قوة ملحقة ، وكان يتصرف باعتباره الممثل الوحيد للروح الفرنسية التى لم تهزم حتى لو تعارضت تصرفاته مع المصالح العليا للحلفاء . ولذا كان تشرشل يضيق به احيانا وصاح فى وجهه مرة : انت تزعم انك فرنسا ، انك لست فرنسا ، انا لا اعترف بك كفرنسا ! وقال فى وجهه مرة اخرى : عليك ان تعلم تماما اننى لو خيرت بينك وبين روزفلت لما ترددت فى اختيار روزفلت !

ويؤكد كيرسودى فى كتابه « تشرشل وديجول » ان تشرشل كان فى اعماقه شديد الكراهية لديجول ، ولا يثق فى نواياه ، وكثيرا ما كان يضيق بضيفه المرهق . وقد رفض ان يطلع ديجول على خطة غزو « نورماندى » لفتح الجبهة الغربية ضد المحور ، او ما يسمى فى تاريخ الحرب « دى ـ داى » ، وفى ليلة الغزو امر تشرشل بابعاد ديجول الى الجزائر ، واصدر تعليماته الى معاونيه : تحت اى ظرف من الظروف لا يجب السماح للجنرال بدخول فرنسا مع قوات الغزو . وكتب احد مساعدى تشرشل فى مذكراته يقول « ان رئيس الوزراء يبلغ احيانا فى كراهيته للجنرال حد الجنون » !

واثناء تقدم قوات الحلفاء فى الأراضى الفرنسية بعد النزول الكبير فى الاسبوع الأول من شهر يونيو ١٩٤٤ علم ديجول أن نية الجنرال ايزنهاور القائد الاعلى لقوات الحلفاء تتجه الى اقامة ادارة عسكرية امريكية فى المناطق الفرنسية التى يتم تحريرها ، ومعنى هذا ان فرنسا التى تتحرر من الاحتلال الألمانى ستخضع للاحتلال الامريكى ، وهنا تجلت عبقرية ديجول وسرعته فى التصرف ، إذ بعث فورا ببعض اعوانه حاملين معهم تفويضات منه بتولى الشئون الادارية فى فرنسا باسم حكومة فرنسا الحرة فى المنفى ، وهبط هؤلاء الرجال بالمظلات سرا فى شتى انحاء فرنسا حيث استولوا على دور المحافظات والبلديات فى الاقاليم الفرنسية ، وكانت كلما دخلت قوات الحلفاء مدينة فرنسية محررة وجدتها تحت سيطرة رجال ديجول المزودين بتفويضاته القانونية ، وبذلك حفظ ديجول فرنسا من ان تتحول الى مستعمرة امريكية يطول بشانها الخلاف بعد الحرب

وفى ٢٠ اغسطس ١٩٤٤ وصل الجنرال ديجول الى فرنسا ولم تكن المعركة قد حسمت بعد ، فلا تزال القوات الالمانية تحارب متقهقرة ، ولا تزال باريس تحت الاحتلال الالمانى ، وتولت قوات ديجول بقيادة القائد الفرنسى الشاب الجنرال « ليكير » دخول باريس وتحريرها من قبضة الالمان بعد معركة شرسة فى شوارع العاصمة شارك فيها الشعب بينما كان ديجول يدير المعركة من بلدة « رامبوبيه » القريبة من باريس .

وفى يوم ٢٦ اغسطس دخل الجنرال ديجول باريس وقصد الى نصب الجندى المجهول بميدان « ليتوال » حيث كانت جموع الفرنسيين قد خرجت عن بكرة ابيها منذ الليلة السابقة لتحية الجنرال المحرر والالتفاف حوله ، وحملته الجماهير الى كنيسة « نوتردام دى بارى » عبر شارع الشانزليزيه حيث عقدت له البيعة كرئيس مؤقت للجمهورية الفرنسية الجديدة .

ولم يكن أمام حلفائه سوى الاعتراف له بما اعترف به شعبه ..

اعاصير السياسة

خرجت فرنسا من الحرب العالمية الثانية دولة ضعيفة مفككة فقدت جيشها واسطولها كما فقدت كرامتها وكبرياءها ، وخسر ملايين الفرنسيين ارواحهم او صحتهم او اموالهم ، واصاب الدمار والانهيار الصناعة الفرنسية والمركز الاقتصادى للبلاد ، وبدأت فرنسا تواجه سلسلة من المتاعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخطيرة ، وكان عليها ان تعتمد كلية على المساعدات الامريكية التى يوفرها مشروع مارشال .

ولم يكن الانهيار الاقتصادى هو المأساة الوحيدة التى واجهتها فرنسا بعد الحرب بل كانت هناك ماساة اخرى لا تقل عنفا وخطراً هى عدم الاستقرار السياسى والاجتماعى ، اذ تمزقت البلاد شراذم متفرقة وضربت فيها المتناقضات والانقسامات والخلافات ، فالى جانب الاحزاب السياسية التى عدت بالعشرات كانت هناك انقسامات عميقة أخرى بين مختلف الفئات الاجتماعية .. الكاثوليك والعلمانيين .. البرجوازيين والشيوعيين .. الراسماليين والعمال .. سكان المدن واهل الريف ، وكل جماعة من هؤلاء تختلف مع الاخرى فى كل شىء ابتداء من سياسة

التعليم والخدمات الاجتماعية الى السياسة الخارجية .

اما المتاعب الخارجية الطاحنة فلم تكن مما يستهان به كذلك ، فقد ورثت فرنسا ما بعد الحرب العالمية الثانية امبراطورية حبلى بثورات التحرر الوطنى ، واخذت الثورات والحروب والقلاقل تندلع فى كل شبر من الامبراطورية الفرنسية المترنحة ابتداء من شمال افريقيا الى الهند الصينية ومن مدغشقر الى افريقيا الاستوائية ، وظلت فرنسا امام هذه المتغيرات جميعاً تتجاهل الواقع وتتصرف بوحى من اساطير عظمتها الآفلة ، فتزداد بالتالى الهوة اتساعاً بين الواقع الفرنسى والفكر الفرنسى ، وتزداد تبعاً لذلك حدة المشاكل التى تعانيها البلاد .

هذا هو المناخ العام الذى ساد فرنسا بعد الحرب ، والذى كان على ديجول ان يتلمس بين اعاصيره توجيه دفة السفينة الفرنسية ..

وعندما تولى ديجول الحكم كرئيس مؤقت لفرنسا فى مرحلة ما بعد التحرير ، بدءاً بصيف ١٩٤٤ ، كان المسرح السياسى يسيطر عليه تقريبا الشيوعيون بحكم انهم تحملوا العبء الاكبر فى حركة المقاومة السرية ضـــد الالمـــان فى حين كان البرجوازيون الفرنسيون اكثر تعاطفاً مع نظام الماريشال بيتان المنهار ، ولم تكن اى من هاتين القوتين تثق فى الجنرال ديجول او تعتبره ممثلا لها ، وهكذا وجد ديجول نفسه ــ رغم التاييد الشعبى الكاسح الذى لقيه عند دخوله باريس ظافراً ــ فى عزلة سياسية بين الشيوعيين من جانب والبرجوازيين من جانب اخر .

ولما كان الوقت مبكراً لاجراء انتخابات عامة ، فقد اكتفى ديجول بتكوين حكومة مؤقتة يشارك فيها الشيوعيون الى جانب القوى السياسية البارزة الاخرى وتعيين مجلس استشارى من ٢٤٨ عضواً ليقوم مقام البرلمان . وركز جهوده فى متابعة المجهود الحربى لاستكمال تحرير فرنسا ومواجهة مشاكل ما بعد الحرب ، واعترفت الدول العظمى بحكومته المؤقتة ، ومنحت فرنسا مقعداً دائما كدولة كبرى فى الامم المتحدة التى يجرى انشاؤها ، وزار ديجول موسكو فى ديسمبر ١٩٤٤ ووقع معاهدة صداقة مع ستالين .

ولكن ديجول لم يلبث ان اصطدم بشدة مع اليمين واليسار .. فقد اصدر خلال الشهور الاولى من عام ١٩٤٥ قرارات بتاميم عدد من المرافق والبنوك والصناعات الرئيسية بهدف احكام سيطرة الدولة على عملية التنمية الاقتصادية لازالة آثار الحرب مما اغضب البرجوازيين واتهموه بالشيوعية . ثم جرت عليه اجراءات التطهير التى قام بها ضد المتعاونين مع النازى غضبا مضاعفا من جانب قطاع آخر قوى من الراى العام يتركز اساساً فى الجيش والبوليس والادارة ، وبالرغم من ان هذه الاجراءات شملت عددا ضخما من الافراد قد يصل الى ١٣٠ الفا فى بعض التقديرات ــ وعلى راسهم المارشال بيتان الذى حكم عليه بالاعدام فى يوليو ١٩٤٥ ــ إلا أن اليسار الفرنسى بقيادة الشيوعيين اعتبروا ان هذه الاجراءات غير كافية واتهموا ديجول بالفاشية !

وفى اكتوبر ١٩٤٥ اجريت انتخابات المجلس التاسيسى الجديد وقدم ديجول استقالته كرئيس مؤقت ، واعاد المجلس انتخاب ديجـــول كـاول رئيس دائـم للجمهورية الجديدة . كان لا يزال هو القاسم المشترك الأعظم الذى يمكن ان تتفق عليه الاحزاب المتناحرة .

وهنا بدا الصدام العنيف بين ديجول والشيوعيين ، كان الحزب الشيوعى قد خرج من الانتخابات العامة كاقوى حزب على الساحة السياسية ، اذ حصل ــ اكثر من اى حزب اخر ــ على ١٥٠ مقعدا فى البرلمان ، وكان بذلك يمسك فى يده مفتاح الموقف السياسى ، وبالرغم من ان الشيوعيين لم يكونوا يعترضون على شخص ديجول بدليل انهم ساهموا فى انتخابه رئيسا للجمهورية إلا انهم كانوا يرون الحد من سلطاته ، او تحويله الى رئيس فخرى يراس ولا يحكم ، كما كانوا يطالبون باهم ثلاث وزارات فى حكومته الائتلافية وهى الخارجية والداخلية والدفاع وعلى هذه المطالب اعترض ديجول بشدة فهو اولا يريد سلطات واسعة تمكنه من اجراء الاصلاحات اللازمة بعد التحرير ، كما اعترض ثانيا على رغبة الشيوعيين فى الانفراد بالقوة الحقيقية فى فرنسا ما بعد الحرب . وعلى هذا اقدم ديجول على تقديم استقالته بعد ثلاثة ايام فقط من انتخابه رئيساً ، وقصد بنفسه الى دار الاذاعة حيث القى بيانا على الامة الفرنسية اعلن فيه انه لا يعترض على ان يساهم الشيوعيون على اوسع نطاق ممكن فى جهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية ولكنه يعترض ولا يمكن ان يسمح بان يســـيطر الشـــيوعيون على الاعصاب الأساسية لسياســـة فرنســـا وهى الدبلوماسية والجيش والبوليس . وبمجرد اذاعة البيان خرجت جماهير الشعب الفرنسى الى الشوارع تعلن تمسكها بالجنرال محرر البلاد ، ولم يقبل المجلس التاسيسى استقالته ، واضطر الشيوعيون الى التراجع عن موقفهم . وهكذا عاد ديجول رئيساً للجمهورية بما يشبه البيعة العامة او التفويض الشعبى لتنفيذ سياساته . وقد علمته هذه الواقعة مادرج عليه فيما بعد من اللجوء الى الجماهير مباشرة فى استفتاءات شعبية للحصول على ما يشاء من تفويضات .

ولكن ، استمرت مناورات الشيوعيين والقوى السياسية ضده فى الجمعيـــة الوطنية ، وفى يناير ١٩٤٦ لم توافق الجمعية الوطنية على الميزانية المقدمة من حكومته مما جعل ديجول يلوح باستقالته مرة اخرى اعتقاداً منه بان الشعب الفرنسى سيهب الى تاييده كالمعتاد ، ولكن الشعب لم يفعل هذه المرة ، وكانت صدمة كبرى لديجول ، فاكتفى بتوجيه بيان الى الامة اعلن فيه انه يرفض التناحر الحزبى المقيت ويرى من واجبه أن يتنحى .

وفى ٢٣ يناير ١٩٤٦ قـــرر المجلس التاسيسى تعيين رئيسه فليكس جوان رئيسا مؤقتا للجمهورية ، واختفى الجنرال ديجول من المسرح السياسى .

لجا ديجول الى العمل السياسى من خارج الحكومة ، فكان يصدر البيانات السياسية ويلقى الخطب يدعو فيها الى اقامة دولة قوية تحكم شعبا موحداً ، ويهاجم الانقسام الحزبى ، والتناحر الفئوى ، وبالرغم من أنه كان يمقت الحزبية ويريد أن يظل بعيداً عن الأحزاب ، وفوق الأحزاب ، إلا انه اضطر إزاء هذا المناخ السائد فى السياسة الفرنسية الى الاعلان عن تكوين حزب سياسى له باسم «تجمع الشعب الفرنسى» فى ابريل ١٩٤٧ ، وقفزت عضوية الحزب الى المليون خلال سنة واحدة ، وقدر عدد مؤيديه بثلث الشعب الفرنسى ، وكان الاديب الفرنسى الكبير اندريه مالرو يلازم ديجول فى نشاطه السياسى ، ويكتب له خطبه وينظم اجتماعاته . وشن ديجول حملة واسعة النطاق ضد الحكومة والبرلمان والأحزاب ، كما اسس صحيفة اسبوعية اسماها «الشرارة الفعالة» وتلاها باخرى اسماها «حرية الفكر» كان لها فضل كبير فى منع استقطاب الحركة الشيوعية للمثقفين الفرنسيين .

وفى انتخابات عامة اجريت فى شهر يونيو ١٩٥١ فاز حزب ديجول باكبر عدد من المقاعد فى البرلمان ، إذ حصل على ١١٨ مقعداً يليه الشيوعيون الذين حصلوا على ١٠٣ مقاعد ، ثم الأحزاب الاخرى باعداد متفاوتة . وكان من الممكن بسهولة ان يتولى حزب ديجول السلطة إذا آزرته احزاب الوسط ، ولكنها ضنت عليه بذلك ،

ديجول والبحث عن العظمة

واستمرت بالتالى سلسلة المناورات البرلمانية والأزمات التى اخذت بخناق البلاد فى الخمسينات ، ويكفى ان نذكر انه تعاقبت على فرنسا خلال عهد الجمهورية الرابعة الذى استمر ١٣ عاما (١٩٤٥ ـ ١٩٥٨) ١٨ وزارة ائتلافية اى بواقع وزارة واحدة كل تسعة اشهر تقريبا سقطت جميعا لأنها لم تحرز التأييد الكافى فى البرلمان .

ومرة اخرى تبين لديجول أن الحزبية ليست طريقا لاستعادة مجد فرنسا ، فنفض يده من حزبه ، وعاد الى موقفه المترفع عن المعترك الحزبى ، بينما اخذ الحزب يتفتت وتهجره عناصره وبقيت منه مجموعة من النواب لا يحملون من الديجولية سوى اسمها ويتورطون كغيرهم من الجماعات السياسية فى لعبة المناورات الحزبية والكراسى الموسيقية ، ويشتهرون بمعارضة كل شىء .. وهكذا فشل ديجول تماما فى انقاذ فرنسا سياسيا بعد ان انقذها عسكريا ، وكان لابد له ان ينسحب ، فانزوى فى قريته الصغيرة «كولومبى لى ديز ايجليز» بعيدا عن السياسة يقرا ، ويتامل ، وكان ذلك فى عام ١٩٥٥ ، ونسيه الناس أو كادوا ، وكاد هو نفسه بشرف على الفقر لولا ان ظهرت فى الأسواق مذكراته عن الحرب العالمية الثانية التى عكف على كتابتها اثناء عزلته ، فدرت عليه ثروة كبيرة .

على أكتاف الفاشية

وتاريخ الفاشية الفرنسية قديم يرجع الى ما قبل الحرب العالمية الثانية ، أو بالتحديد الى عام ١٩٣٤ عندما ظهرت حركة فاشية فرنسية تسمى «وكات» حاولت القفز الى الحكم باساليب موسولينى فى ايطاليا ، وقد اثارت هذه الحركة الذعر فى صفوف اليساريين والديمقراطيين فتجمعوا تحت راية «الجبهة الشعبية» التى تولدت عنها حكومة ليون بلوم عام ١٩٣٦ ، ولكن هذه الحكومة اثارت بدورها مخاف اليمينيين والمحافظين فاتحدوا فى جبهة تسمى «اتحاد لجان العمل الدفاعى» وكانت حركة شرعية يعترف بها القانون ولكنها تخفى وراءها منظمة ارهابية سرية اشتهرت باسم «لاكانمول» ، وحصلت على تاييد رجال الصناعة والبنوك ومساعداتهم السخية ، وتمكنت هذه الحركة من شراء الأسلحة وتنظيم الخلايا السرية بل وحاولت القيام بانقلاب مسلح فى فرنسا قبيل الحرب العالمية الثانية بمساعدة فرانكو ، ولكن المحاولة احبطت وزج بزعماء الحركة فى السجن ، وعندما احتل النازيون فرنسا اطلقوا سراح المعتقلين الفاشيين الذين اصبحوا من اشد انصار حكومة بيتان ، وبعد الحرب القى القبض على الكثيرين من هذه العناصر الفاشية ومعظمهم ممن كانوا يعملون فى اجهزة الادارة والشرطة ، وتمكن البعض منهم من الفرار الى الخارج وبالذات الى الجزائر وشمال افريقيا . وفى عام ١٩٤٧ تمكنت هذه العناصر الفاشية من انشاء ما يسمى «برابطة قدامى رجال البوليس» التى سجلت كجمعية قانونية تحمى مصالح جماعة فئوية ولكنها كانت فى الواقع منظمة فاشية ارهابية هدفها عرقلة عمليات التطهير ضد بقايا المتعاونين مع النازية . وفى عام ١٩٥٣ توسعت الرابطة واصبح اسمها «جمعية قدامى رجال البوليس الوطنى والادارة البلدية فى فرنسا واقطار ما وراء البحار» ، وضاعفت من نشاطها ونفوذها حتى اصبح انصارها يسيطرون على المراكز الحساسة فى اجهزة الأمن الفرنسية بما فيها الجمارك والحدود ، ويركزون جهودهم فى اوساط المستوطنين الفرنسيين فى الجزائر انتظارا للحظة مواتية ينقضون فيها على اجهزة الحكم .

ولم تلبث أن اخذت قوى أخرى تصب فى النهر الفاشى ، وعلى راس هذه القوى عدد كبير من ضباط الجيش الفرنسى ذوى الأصول الارستقراطية والخبرة الاستعمارية والذين آلمتهم وأذلتهم هزائمهم فى الحرب العالمية الثانية ، ثم فى الهند الصينية ، واخيرا فى شمال افريقيا خاصة بعد اندلاع حرب الجزائر .

واتسع معسكر الفاشية بانضمام عنصر ثالث هو المستوطنون الفرنسيون فى الجزائر ، هؤلاء الذين يسمون باصحاب الأقدام السوداء ويتميزون بعقلية سطحية وغباء سياسى عنيد وربوا منذ نعومة اظافرهم على احتقار الجنس العربى ، وقد شعروا بالانزعاج البالغ من الثورة الجزائرية واخذوا يطالبون حكام باريس بسحقها بدون هوادة ، وهم الذين تجمعوا بعد ذلك مع عناصر عسكرية فى منظمة الجيش السرى .

هذه القوى تكتلت جميعا فى معسكر واحد يلقى التاييد والتعاطف من جهات قوية كثيرة ، من الكنيسة الكاثوليكية ، وحلف الأطلنطى ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وخيل اليها مع احتدام ازمة الجزائر الطاحنة ان الخلاص يتوقف على الاطاحة بنظام الحكم المهترىء فى باريس ، والاتيان برجل قوى يستطيع ان يثبت اقدام اليمين الفرنسى ويسحق ثورة مسلمى الجزائر . ومن يكون هذا الرجل سوى ديجول بماضيه الوطنى ، وايمانه بالامبراطورية الفرنسية ، ومعارضته لنظام الجمهورية الرابعة ؟

واخيرا سنحت الفرصة يوم ١٣ مايو ١٩٥٨ عقب ازمة وزارية مستحكمة ، إذ قام بعض جنرالات الجيش بانقلاب عسكرى فى فرنسا والجزائر ، وحمل الجنرالات المتمردون زميلهم القديم شارل ديجول من بيته الريفى فى «كولومبى لى ديز ايجليز» الى قصر الاليزيه بباريس .

وبينما كانت سيارته تقطع الطريق الى قصر الاليزيه بعد انقلاب «١٣ مايو» كان الشعب الفرنسى يفترش الطريق امام السيارة هاتفا «لن تمر الفاشية» . وهكذا جاء الجنرال ديجول الى الحكم مرة اخرى . فى المرة الأولى على اكتاف خير ما فى فرنسا .. حركة المقاومة الشعبية والعسكرية ضد الاحتلال النازى ، وفى المرة الثانية على اكتاف اسوا ما فى فرنسا .. الحركة الفاشية المعادية للتقدم ، والتحرر الوطنى ، واستقلال الجزائر .

ولكن ديجول ـ وهنا تكمن عظمته ـ لم يبق لحظة واحدة اسيرا للفاشيين . بل رغم محافظته على خطه اليمينى الوطنى الواضح سرعان ما عاد معبودا للشعب الفرنسى ومنقذه من الفوضى والحرب الأهلية ، وبدلا من ان يقضى على الديموقراطية اصبح صمام الأمن للحرية ، وبدلا من ان يسحق ثورة الجزائريين منحهم الاستقلال ، وبدلا من أن يبقى على الامبراطورية بالحديد والنار حولها الى كومنولث يتبادل المصالح ، وبدلا من ان يمكن لحلف شمال الاطلنطى انسحب من الحلف ، وبدلا من ان يصبح تابعا للأمريكيين وقف ندا لهم ، وبدلا من ان يخضع للحركة الصهيونية ادان اسرائيل فى عدوان ١٩٦٧ وحرمها من الأسلحة ، وبدلا من أن يرضى باعتبارات التوازن الدولى القائم ثار عليه ورفض توازن القوتين وعمل على تحويل أوربا الى قوة فعالة ثالثة .

ولكن كيف فعل ديجول ذلك .. هذه هى عظمته الحقيقية ، ولم يكن كل ما سبق سوى مقدمة !

محمد العزب موسى

المقال التالى والأخير : ديجول والجمهورية الخامسة

وجهان لعملة واحدة!

شعر: عبد المنعم عواد يوسف

١ ـ « النكـــــران »

تسال : هل تعرفُه حقا ؟
ـ حقا ..؟! إسمَعْ هذا .
كان صبياً من أبنائى
كان نباتاً يطلعُ رخْواً ذاتَ زَمَانْ ..
كم اسْبَغْتُ عليه ظِلالى ساعَةَ كان صَغِيراً يحبُو
فى بُسْتانِى
كم ذا اغدَقْتُ عليه الصافىَ من ينبوعِ حنانى
امنَعُ عنه الحَرّ ، واحْجُبُ عنه الريحَ ، واحميهِ
اعاصيرَ الأيّامْ
يملأ قلبَكَ زَهْواً ان يحضِنَ بستانك نبْتا غضاً ،
يشربُ ماءَ الحكمَةِ من ينبوعِكَ صفْواً ،
يكبُرُ ، يُزْهِرُ ، يتمدّد ساقا وفروعا
ـ اما الآن ؟
ـ حقا حقا .. اما الآن ..
يالتصاريفِ الازمان !
ماذا تصنع حين ترى الاشوَاكَ محلَّ الزَّهْرِ ،
تجرحُ اولَ من غرَسَ النبْتَةَ ذاتَ زمان ،
ماذا تملكُ إلاَّ ان ياكلَكَ القهر ؟
ان تَغْرِسَ فى يوم نبتا .. أمَلاً حُلْواً ،
تُودِعُ غرْسَكَ رَحِمَ الارضِ ، وتَبْقَى ترقبُ ما يُطْلِعُه غرْسُك
يُطلِعُ زَهْرا ،
يثمرُ خيْراً ،
يَنْشُرُ عِطراً ،
يُبْهِجُ نَفْسا ،
يُسْعِدُ قَلْبا ..
لكن ان يفْجَأكَ الشـــوك
يبْرز من بين الاوراق
يجرحُ كفا ذات زمان ،
منحت هذا الغرسَ حياتَه ،
شىءٌ مُرّ ،
مثل مرارة هذا الثمرِ الطالع من بين الاشوَاكْ
وتجىءُ لتسالَنى الآن : هل تعرفه ؟
انا لا اعرف إلا ان مرارةَ كل الصّبّارات تُعَلْقِمُ حَلْقى .

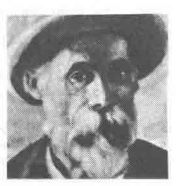
٢ ـ التنـــاسى

تسال : هل تعرفُه حقا ؟
اعرف ؟! إسمَعْ هذا
كان صديقى يوما من ذَاتِ الأيامْ
كانت تجمعنـــا الصحبةُ ، تتوحّدُ فينا إشراقا
احلى افاقِ الاحْلام
كنا اكثَرَ من اخوَيْن
ولكم كنا نتقاسَمُ خبزَ الاخلاَصِ وملْحَ الوُدّ ..
نتساقى اكوابَ الفرْحَةِ فى ايام ادبَرَ عنها الفرْح
نغرسُ بَذْرَ وَدادٍ فى بستانِ القلب
نسقى الشجَرَ الطالِعَ ماءَ الصّفو
يُزهِر ودا ، يثمِرُ حبا ..
ما اروَعَ عِطْرَ الاحبَاب !
حين يضمِّخُ نفْسَ المرْءِ ، فتنتعشُ الاعمَاق ..
تسبَحُ فى نور الإشرَاقْ
تثِبُ الفرْحَةُ مِن عُمْقِ الاحْدَاقْ
هذا كانْ ..
ـ كانْ ..؟! ماذا تقصِدُ ؟ ..
أوَ مَا عادَ الوُدُّ الآن ؟
ـ اسْمَعْ قولى : نحنُ نعيشُ بزمَنِ الجدْب ..
ابْخَلُ من ان ينْبتَ يوما نبتَةَ حب ..
ابخلُ من ان يثمِرَ يوما حبةَ صفْو ..
ابخلُ من ان يطلِعَ يوما زهرةَ وُدّ
هذا الصاحبُ نسلٌ صالحْ
من اصلابِ زمان طَالِحْ
لا تنبتُ أشجار العلقم إلا العلقم
هل يخرج فرد من جلده ؟
تسال : كيف إذَنْ تبكيه ؟
لا ، وإبائى
لا ، معذرةً ، ابدا ابدا ما ابكيهْ
لا ابكى فيه الانسانْ
لكن ابكى عهدا كانْ
حبا اينَعَ ذات زمانْ
ـ اما الآن ؟
ـ هذا زمنُ الجدْبِ ، اجَلْ ، زمنُ النسيانْ ..



من روائع الفن العالمي

تقديم : جمال قطب



الفنان الفرنسي رينوار

الفنان الفرنسي رينوار

جمال المرأة في عصر هذا الفنان



كان رينوار يؤمن بان الجمال والسعادة صنوان لا يفترقان .

وقد قيل لرينوار يوما : عندما تنقب عيناك عن مكامن الجمال وتعثر عليه فهذا يعني انه مقدمة لابداع جديد وأمل في سعادة قادمة ستتحقق .

ورد رينوار قائلا وكأنه يسطر دستور العمل الفني رسالته الخالدة : يكفي أن يكون الجمال موجوداً يعطر الأجواء من حولنا ، كالورود والرياحين ، يكفي أن تنظر اليها في أوج جمالها وازدهارها ، وليس من الضروري أن تقطفها وتستحوذ عليها وحدك ! المهم ان أرى الجمال فحسب !

كانت لمساته العبقرية تتدفق بالعطاء الآمل الملهم ، وهو واحد من فناني التاريخ العظام الذين جسدوا فتنة المرأة في شاعرية سامية توحي باحترام وتمجيد هذا الجمال في غير ابتذال أو إثارة تنحرف بالمشاعر أو تنحدر بالقيم الوجدانية النبيلة .

وهذه اللوحة هي نموذج مجسم للجمال الانثوى فى عصر رينوار (النصف الثاني من القرن التاسع عشر) : الاشراق والثقة والصحة والتانق والبداخة والتفتح والترف ... تلك المعنويات التي كانت تميز (العصر الجميل) هذا العصر الذي عاشته الحياة الأوروبية عامة والفرنسية بخاصة في تلك الحقبة الوردية ،حتى عصفت بها الحرب العالمية الأولى في أوائل القرن العشرين!

● وقد ركز رينوار على المراة في اللوحة وجعلها مركز الضوء ومحور اهتمام المشاهد ، فوجهها الساحر وجسدها المشوق وملابسها المترفة ، تبدو جميعها كباقة من الورود اليانعة الندية .. ولكي يعمق هذا الاحساس عند الناظر لهذه اللوحة الخالدة ، اتى بالورود لكى يزين بها المراة فى شعرها وصدرها ، وجعل الوجه الواثق الحالم ، يبدو كاجمل وردة تتوسط الباقة الرائعة وهذه الفاتنة هي (نيني لوبيز) المراة التى كانت صديقة رينـــوار ونمـوذجه المفضل في ذلك الوقت . وقد هجرته بعد أن احبت ممثلا ناشئا وتزوجته .

اما الرجل في خلفية اللوحة ، فهو شقيق رينوار الأصغر (إدموند) الذي كان يعتبر رينوار مثله الأعلى ويكن له الحب العميق .

● اللون الأسود عند رينوار هو ملك الالوان جميعاً ، والدارس لفنه يجد أن الأسود يقوم بدور (التعريف بالتضاد) ، فهو يحصر النظر لتاكيد معنى حسي يريد الفنان أن يبرزه ، وفي هذه اللوحة ، يقوم اللون الأسود مع الأبيض بتناغم موسيقي مثير ، ولذلك وصف النقاد هذه اللوحة بانها معزوفة لموزار تتكون الحانها وانغامها من الوان راقصة على سطح اللوحة الخالدة !

● أما قيمة الفنان ودوره القيادي في الفن الحديث ، فلهذا مجال رحب آخر ، ويكفي انه كان نقطة التحول التاريخية فاطلق الابداع من عقال التقاليد المتوارثة ونقطة البدء للحركات التحريرية فى الفن الحديث !

ومن أقواله الشهيرة التي تنم عن نظرته الآملة وشاعريته المرهفة :

مهما كان الموضوع الذى يصوره الفنان، يجب أن تكون الصورة شيئاً جميلا ومبهجاً !

جمال قطب



في المسرح .. للفنان الفرنسي رينوار (١٨٤١ ـ ١٩١٩) .

مجموعة احجار شبه كريمة : اليشم والجزع

فص خاتم من المرجان الوردى

حجر خام الكهرمان (الكهرب)

قسم من عقد مكون من الزمرد والياقوت الوردى النادر



بقلم : نجلاء العزي

هل تصدق أن فى الطبيعة أكثر من ألفى نوع من المعادن ، من بينها مائتا نوع فقط تابعة للأحجار الكريمة ؟ إن هذه الأنواع النادرة من الحجارة المعدنية لها خواص فيزيائية تميزها عن غيرها من الأحجار ، وهذه المميزات هى التى أعطتها قيمة كبيرة دفعت الانسان منذ القدم لاستخدامها كحلية أو لترصيع الحلى بها ! ولكن ترى ما هى أهم المميزات التى تجعل للأحجار الكريمة جاذبية خاصة عند الناس وسحرا يفوق الوصف ؟



زوج اقراط من اللؤلؤ الطبيعي الرمادي اللون (النادر) والماس

عقد من الزمرد (الاخضر) والياقوت (الاحمر) والالماس (ابيض)

إن أهم ما يميز الأحجار الكريمة عن غيرها : لونها الجذاب ، وبريقها اللامع ، ولمعانها واشعاعها ، وصلابتها العالية ، وخفة وسهولة حملها ، واخيرا - بالطبع - ندرتها !

وليس ضروريا أن تتوفر كافة هذه المميزات فى حجر واحد ، ولكن يكفى أن تكون هناك خاصية واحدة او اثنتان من هذه المميزات حتى نطلق على المعدن اسم : الأحجار الكريمـة !

والمعروف أن الماس يتصدر قائمة الأحجار الكريمة ، ويليه الياقوت والزمرد ، فهذه المعادن - بالذات - تحتوى على معظم خواص الحجر الكريم !

جواهر البحـــر

وقبل أن نتحدث عن حكاية الاحجار الكريمة وتاريخها عبر القرون والأزمان ، لابد أن نتوقف قليلا عند اصـــطلاح « الأحجار الكريمة » ، ففى اللغة العربية تسمى الأحجار الكريمة بالجواهر ، ومفردها جوهر ، وهى كما تذكر معاجم اللغة العربية ، لفظة فارسية معربة ، اطلقها العرب على ما يستخرج من البحر حلية كاللؤلؤ والمرجان وما يوازيه فى النفاسة من الحجارة كالياقوت والزمرد .. اما فى اللغة الانجليزية فان مصطلح جوهر GEMS مشتق من الكلمة اللاتينية GEMMA التى تعنى النقش على الحجارة الكريمة او الحجارة المنقوشة بختم او بنقش غائر او بارز ، ثم صارت اصطلاحا يطلق على الحجارة المعدنية المقطوعة والمشطوفة والمصقولة ، ثم توسع وصار يشمل بعض المواد ذات الاصل العضوى كاللؤلؤ والمرجان والعنبر !

الحكايات القديمة

وقد استخدم الانسان الحجارة لصنع الاته وادواته واسلحته منذ فجر التاريخ واليها ينسب عصره ، المسمى بالعصر الحجرى ، وكان حجر الصوان اكثرها شيوعا إلى جانب مواد اخرى كالعظام

سر جاذبية الأحجار الكريمة

والقواقع اضافة إلى المعادن .

وفي الألف الرابع قبل الميلاد عند بزوغ الحضارات القديمة ، حصل تطور كبير على استخدام الحجارة بسبب اكتشاف بعض الاحجار الغير عادية ، حيث استخدمت الحجارة للزينة اضافة للاغراض الاخرى ، وذلك واضح في حضارة وادى الرافدين والهند والصين ومصر ، حيث طعمت بالحلي وصنعت منها الأختام او الادعية والقلائد الدينية ، كما تميزت كل حضارة باسلوب معين في استخدام الاحجار الكريمة . فمثلا تميزت الحضارة السومرية (العراق القديم ، وادى الرافدين) بالحفر على الحجارة والمعادن واستخدام الحجارة الكريمة لتطعيم التماثيل والحلي خاصة اللازورد ، بينما امتازت الصين بالحفر على الحجارة الكريمة خاصة اليشم ، اما الهند فقد امتازت بقطع وشطف وصقل مختلف الحجارة الكريمة اضافة الى استخدامها بوفرة في تطعيم الحلي التي كانت وافرة في حضارة وادى السند القديمة ، كما بلغت صناعة الحلي والتطعيم بالأحجار الكريمة في الحضارة المصرية القديمة ، القمـــة ، فقد استـــخدمت بوفرة ، حتى دخلت مختلف أوجه الحياة اليومية ، اضافة الى البلاط الملكي ومعابد الكهنة . وكذلك كانت الحضـــارة الاغريقيـــة والرومانية التي تلتها قد امتـــازت بالنقش بطريقة الحفر او النقش البارز على الحجارة الكريمة ، واستمر هذا الاسلوب حتى العصور الوسطى ، خاصة فيما يتعلق باسلوب وصناعة قطع الحجارة الكريمة حيث مرت بفترة ركود ثم عاد التهافت على استخدام واقتناء الاحجار الكريمة في نهاية العصور الوسطى خاصة النادرة والنفيسة منها كالماس والزمرد والسفير بسبب التنافس الشديد بين رجال بلاطات ملوك اوروبا لاظهار ايات البذخ والترف الذى عم مختلف نواحي الحياة .

وكانت الأحجار الكريمة منذ القدم تؤدى غرضين أولهما تجميلي وثانيهما اقتصادى حيث تعتبر رصيدا ماديا لمختلف الأغراض في الحرب او في السلم ، كما كانت مظهرا من مظاهر القوة . اما في العصر الحديث اضافة إلى الزينة فقد دخلت الأحجار الكريمة في مجال الصناعات خاصة الذرة والالكترونيات والكومبيـــوتر والادوات الكهربائية والمغناطيسية وذلك بسبب الخواص الفيزيائية الفائقة التي تملكها .

اما الأحجار الكريمة القديمة التي كانت منتشرة في العالم فقد أصبحت تحفا تمثل ماضيا عريقا وثروة لا تقدر بثمن فقد وضعت داخل خزانات في متاحف يشاهدها الناس فيها رمزا لمجد وثراء البلد كما انها تعرض اسلوب صناعة وفن التطعيم والتزيين بها . والبعض منها مازال يستخدم في مناسبات خاصة كمجوهرات التاج البريطاني .

وكلنا نعرف أن هناك مجموعات كبيرة استخدمت فيها اكبر قدر من الأحجار الكريمة النفيسة وهي :

● مجوهرات التاج البريطاني .
● المجوهرات الملكية الايرانية .
● مجموعة الالماس الوافرة في مجوهرات روسيا القيصرية .
● مجوهرات سلاطين آل عثمان في اسطنبول ، تركيا .
● مجموعات متناثرة بين المتاحف العالميـــة للآثار والتـــاريخ الطبيعي والجيولوجيا في بريطانيـــا (المتحف البريطاني ومتحف فكتوريـــا والبرت) ، والولايات المتحدة الامريكية (في متاحف نيويورك وشيكاغو وواشنطن) .

المعتقدات والأساطير

ومنذ أقدم العصور ارتبطت الاحجـــار الكريمة بمعتقدات واساطير نسجت حولها بسبب خواصها الفيزيائية كاللمعان والندرة واللون ، فمنها ما استخدم كطلسم أو تعويذة لدفع الخطر او لجلب الحظ او الثروة او النصر ، وقد ورثنا في العصر الحديث بعض هذه المعتقدات والتي اشاعها تجار الحلي والمجوهرات ، ومن هذه المعتقدات التي ذكرتها التوراة من أن لكل شهر حجرا كريما معينا وان كل مولود في ذلك الشهر له حجره الذي يرتبط بحياته والذي اذا ما اقتناه فانه يجلب له الثروة والحظ السعيد .

والاشهر الميلادية هي :

يناير ـ الجارنيت .
فبراير ـ الجمشت .
مارس ـ حجر الدم .
ابريل ـ الماس
مايو ـ الزمرد .
يونيو ـ اللؤلؤ ـ حجر القمر .
يوليو ـ الياقوت .
اغسطس الساردونيكس .
سبتمبر ـ السفير .
اكتوبر ـ المرو . اوبال .
نوفمبر ـ توباز .
ديسمبر ـ الفيروز .

جواهر صناعية

ونظرا للميزات الفيزيائية التي امتازت بها الاحجار الكريمة فقد ادى ذلك الى ارتفاع اثمانها وكثرة الطلب عليها وندرتها لذلك حاول الانسان ومنذ القدم على تقليدها ، ولكن لم ينجح الا في العصر الحديث بسبب الثورة الصناعية الحديثة حيث نجح في صنع جواهر نفيسة في المعامل والمختبرات بطريقتين :

● جواهر اصطناعية :

وهي حجارة كريمة مصنعة ، اي ان الانسان قام بصنعها وهي غير موجودة في الطبيعة تقليدا للحجارة الكريمة الطبيعية وهي تحمل كل صفات الحجر الكـــريم الكيماوية وبعض الصفات الفيزيائية التي صنعتها الطبيعـة خاصة الالماس والسفير والياقوت والزمرد وهي الجواهر النفيسة العالية القيمة مما يسر للطبقات المتوسطة اقتناءها، هذا ولم تصنع احجار كريمة مقلدة للاحجار الكريمة الشائعة كالعقيق لانه تجاريا لا يعد مربحا .

● الاحجار الكريمة المقلدة :

وهي حجارة لها الشكل العام للاحجار الكريمة لكنها لا تحمـــل الخواص الفيزيائية (الطبيعية) للحجر الكريم الطبيعي والاصطناعي منه . فمثلا يصنع من الخزف أو الزجاج او البلاستيك انواع كثيرة من الاحجار الكريمة الشائعة مثل العقيق والمرجان والفيروز والكهرمان .. الخ

تصنيف الأحجار الكريمة

هذا وتقسم دائرة المعارف البريطانية الاحجار الكريمة الى :

- احجار ثمينة او جواهر نبيلة .
- احجار شبه كريمة .

ولكن يمكن تقسيم الاحجـــار الكريمـــة بالتخصيص الى :

- الجواهر النفيسة :

وهي الاحجار الكريمة التى تحمل كل صفات الحجر الكريم او معظمها مما يجعلها اعلى بقية الأحجار الكريمة قيمة وندرة وتشمل :

الالماس والزمرد ،الياقوت واللؤلؤ (تجاوزا لانه من اصل عضوى حيوانى) .

- الاحجار الكريمة الثمينة :

وتاتى بالدرجة الثانية فى قيمتها وخواصها الفيزيائية وهى اوسع انتشارا واكثر استخداما وتشمل العقيق ، ومنه الجزع .. والبلور ، ومنه البلور الصخرى واليشب .. والجمشت ، وفيه عين الهر .. والفيروز واللازورد والزبرجد .

- الاحجار الكريمة ذات الأصل العضوى :

وهي الاحجار الكريمة التى تتكون من اصل حيوانى عضوى وتكون قيمتها متراوحة بين الجواهر والاحجار الكريمة الثمينة وهى : اللؤلؤ والمرجان والعنبر (الكهرمان) والعاج واليشم .

- الاحجار شبه الكريمة :

وهى الحجارة التى تحتوى على اقل الخواص الفيزيائية التى يحملها الحجر الكريم وتستخدم لمختلف الاغراض اضافة الى الحلى ، كالادوية والصناعة او الاوانى او تحف الزينة

اما الاحجار الكريمة ذات الأصل العضوى ، فيقصد بها الاحجار والجواهر المتكونة من اصل حيوانى وليس ترابياً صخرياً ، وياتى اللؤلؤ على راس قائمة الأحجار الكريمة ذات الأصل العضوى.

استخراج المرجان

والمرجان – بالذات – كما عرفنا من الاحجار الكريمة ذات الأصل العضوى ، ولفظة المرجان عند العرب كانت تطلق على اللآلىء اى اللؤلؤ الدق ، ثم صار يطلق اسم المرجان فيما بعد على العروق الحمر التى تطلع من البحر وتتخذ منها الحلى .

اما علماء الاحجار الكريمة من القـــدماء فيسمونه «البسذ» على وزن السكر او البسر وهو باليونانية فادليون وبالهندية دوحم ويذكر ان اسمه اليونانى مرليون وان من اسمائه (القورال) . وقد عرفه الأوربيون باسم كورال .

وتقول المصادر الحديثة ان المرجان هياكل لحيوانات بحـــرية صغيرة وتركيبـــه الكيميـــاوى لا يختلف عن تركيب اللؤلؤ وهو حجر الكلس (كاربونات الكالسيوم) . وبعض المواد البروتينية ويسمى المرجان الأسود منه باليسر ويكون شفافا اما الشائع منه فهو الأحمر والوردى والابيض ويستخرج من البحر الابيض المتوسط من تونس والجزائر ومراكش وساردينيا وكورسيكا وفرنسا ونابولى ومن الخليج العربى يستخرج الأسود الشفاف (اليسر) ويستخرج كذلك من استراليا .

وتبلغ صلادته ٣,٥ ووزنه النوعى يتراوح ما بين ٢,٦ – ٢,٧ .

ويوجد فى المياه المتوسطة العمق ويوجد غاصة لاستخراجه حيث يتخذون لهم شباكاً من قنب مثقلة بالرصاص يدلونها على شجر المرجان ويديرون الشبكة حول الشجرة حتى تلتف بها فيجذبونها حتى تنقلع ، ثم يخرج من الماء ابيض لينا فاذا ما جف احمر وازيلت اصوله وهى (البسذ) وتفصل اغصانه قطعا كبارا وصغارا على قدر العقد ثم تحك على رخامة فيظهر لونه ويحسن ويثقب بالحديد الفولاذ .

ومن خواص المرجان :

– اجوده ، ما عظم جرمه واستوت قصبته واشتدت حمرته وسلم من السوس .

– رديئه ، ما مال الى البياض .

– اذا القى فى الخل لان وابيض .

مجموعة فصوص من الاحجار الكريمة الثمينة : الزمرد والياقوت والسفير (الأزرق) والالماس

– اذا القى فى الدهن اظهر حمرته واشرق لونه .

– واذا اريد الكتابة عليه جعل على جميع الفص شمع واخذ مواضع النقش فقط ويكتب عليه بابرة حتى ينكشف الشمع عن موضع الكتابة لا غير ، ثم يلقى فى خل حاذق لمدة يوم وليلة ثم يرفع ويزال عنه الشمع فيصبح موضع الكتابة وقد استحال الى لون ابيض وبقية الفص على حاله لم يتغير .

العنبر واليشم

ومن بين الاحجار الكريمة ذات الاصل العضوى هناك ايضا الكهرب (العنبر) .

واسمه بالرومية (القطرون) اوالكترون وتعنى الكهربا او الكهرمان ، ويسمى بالسريانية (دقنا). اما كلمة أمبر الانكليزية فماخوذة من الكلمة العربية «عنبر» وإنما هو صمغ الكهربا (حجر صمغى) . وتذكر الموسوعة البريطانية ان الكهرب او الكهرمان صمغ لأشجار صنوبرية وجدت منذ عصور ما قبل التاريخ ، وهو أصفر اللون يغمق بمرور الزمن فيتحول الى بنى وقد يحتوى داخله حشرات ذات ملمس دهنى تتجمع داخله شحنة كهربائية اذا ماذلك ، واجوده الرومى صاف يجذب التبن والريش والتراب بعد حكه بالشعر وهو من شجر السندروس .

وينصهر العنبر عند درجة ٢٨٠ م ويلين عند تسخينه . وتبلغ صلادته ٢ – ٢,٥ اما وزنه النوعى فيبلغ ١,١ ومواطنه الساحل الجنوبى لبحر البلطيق مدينة كوينز بيرك بالمانيا الديمقراطية ، ورومانيا وصقلية وبورما .

اما اليشم فان معظم قدماء محترفى مهنة تجارة الجواهر لم يعرفوه ، وقد سمي (حجر الغلبة) واعتبره الصينيون من انفس الأحجار وبنحت على هيئة تماثيل جميلة لكنه يستعمل للحلى وصنعت منه فؤوس ورؤوس سهام وحراب لانه حليف النصر .

وتذكر المصادر الحديثة انه يتكون من معدنين متقاربين فى المظهر هما النفرايت والجيديت ، ويؤلف النفرايت معظمه وتتراوح الوانه ما بين الخضرة الفاقعة والصفاة والحمرة او الزرقة وهو نصف شفاف او معتم ، ويتكون من سيلكات الصوديوم والالمنيوم او المغنسيوم والحديد مع سيلكات الصوديوم .

اما مواطنه فهى الصين والتركستان والاسكا ونيوزيلينده وشمال بورما والتبت والمكسيك وامريكا الجنوبية .

وهنا لابد ان ننتقل الى الحديث عن الاحجار الثمينة التى تاتى بالدرجة الثانية بعد الجواهر الثمينة ، وهذا يحتاج الى بحث اخر ، موعدنا معه فى الأعداد القادمة .

نجلاء العزى

عالم الزواحف الخفي

زواحف تعالج المرضى.. وأخرى تعطي الحيوية للعجائز

بقلم: د. محمد الغباشي ربيع

مع مسيرة كائنات حية بدات المشوار منذ مئات الملايين من الاعوام زاحفة عبر التاريخ ، وقبل ان يجيء الانسان ويعرف للقرون عددا ، وبهداية الخالق سبحانه وتعالى علم الانسان ما لم يعلم ، استطاع علمـــاء الطبيعـــة والجيولوجيا والحفريات والوراثة والتاريخ الطبيعى ان يرسموا للتاريخ خطوطا عريضة للحياة ، كيف بدات ، وكيف سارت قبل ان يطا الانسان بقدمه سطح الارض ، ذلك بفضـــل ما تركته اسلاف الكائنات الحية من حفريات هى صفحات للتاريخ نفسه قبل ان يبدا .

وشد انتباه الجميع تلك الكائنات الحية من الزواحف التى استطاعت بالرغم من بساطة تكوينها وبفضل ما وهبها الله من مميزات لكل نوع على حده وبما يتلاءم مع وجودها فى كل زمان ومكان ، ان ترحف عبر مئات الملايين من السنين محافظة على انواعها ، تنتشر هنا وهناك ، منها الضار ومنها النافع ، منها السام وغير السام ، وحتى السام منها ربما كانت من سمومه الناقعة نفعا !

ومن الزواحف ايضا من يعيش بضع سنين ، ومنها من يبلغ سنا عمره عمر البشر ، ومنها من يشهد ميلاد اجيال واجيال ، ليبلغ من العمر قرونا عدة وهو ثابت لا يتغير والعالم من حوله يشهد حضارات وتطورات ، بل وحروب وسلام وليس له من هذه الدنيا وما فيها إلا النذر اليسير من الطعام والشراب ، الذى هو فى غالبه قليل من اعشاب برية كانت او بحرية واحيانا حشرات صغيرة ضارة تتناولها تلك الزواحف كغذاء لها فتجنب الزرع والضرع شرورها ، وهى ايضا لا تخلو من النفع فبعضها طيب اللحم شهى المذاق ، وهى بذلك لا تسلم منا نحن البشر ، فقد تفننا فى البحث عما لذ وطاب بين ما خلق الله من كائنات ، حتى تلك السلاحف والسحالى التى هى موضوعنا فى هذا اللقاء !



نوع من السحالى الافريقية الصحراوية التى تستخدم بروزا خاصا فوق ذيلهـا فى الدفاع عن نفسها !



السلحفاة الصحراوية التى تعيش فى شمال امريكا وهى تختفى تحت صندوقها الذى تستظل به من الشمس ويقيها من الأعداء !

هذا النوع من الزواحف ، صحراوى المعيشة ، وجدوه فى منطقتين مختلفتين من العالم

الأنواع الباقية

وقد استطاعت السلاحف ان تحتفظ بكثير من الصفات التى كانت عليها اسلافها منذ ظهورها على سطح الارض وعلى مر العصور الجيولوجية بالرغم من انها حبيسة داخل أغلفة عظمية !

واستطاع عدد كبير منها ان يشق طريقه دون أن يتعرض للانقراض ، حتى الآن إلا ان البعض منها قد شارف على الانتهاء !

ويوجد من جنس السلاحف ٢٢٥ نوعا تعيش فى مناطق متباينة من العالم ، منها السلاحف الأرضية والسلاحف التى تعيش فى الماء العذب واخرى تعيش فى البحار ..

وأهم ما تتميز به السلاحف هو أجسامها القصيرة العريضة ، فعدد فقرات العنق ثمانى فقرات والجذع عشر فقرات يليه عدد من الفقرات المختزلة هى فقرات الذيل ، لذا فانها تعتبر من الناحية المرفولوجية اقصر أجسام الفقاريات فيما عدا أجسام الضفادع !

السحالى ذات القرون فوق الراس والذيل

ومن أهم ما يميز أجسام السلاحف أيضا وجود صفائح عظمية تكون علبة تحيط بمنطقة الجذع بها ست فتحات ، تخرج منها الراس والذنب والطرفان الأماميان والطرفان الخلفيان ويمكن للحيوان أن يسحب اطرافه او راسه أو ذنبه الى داخل العلبة عندما يكون فى حالة سكون أو عندما يشعر بعدم الأمان فالأعداء كثيرون كالغربان وحيوان ابو منتن والجرذان وحتى الانسان !

أخطار الحياة

وتضع جميع انواع السلاحف البرية منها والبحرية بيضها اليابس ،ويدل ذلك على ان السلاحف نشأت اصلا على اليابس ثم تحور البعض منها ليكون مائى المعيشة !

والسلاحف اكثر ما تكون عرضة للمخاطر اثناء وجودها داخل البيض أو بعد فقسها مباشرة ، إذ أن العلبة العظمية فى بدء حياتها تكون لينة وضعيفة وتزداد صلابة فى السنين الأولى من العمر لتصبح بعد ذلك قادرة على حماية الحيوان ، حتى أن السلحفاة اذا اجتازت السنين الأولى من حياتها استطاعت ان تعيش من العمر ما لا يستطيع غيرها من الطيور أو الثدييات أن يعيشه !

ومن مميزات بعض أنواع السلاحف أن لها القدرة على وضع بيض مخصب لمدة ثلاثة أو اربع سنوات بعد « سفاد » واحد كما هو الحال فى سلحفاة الصندوق !

والسلاحف الأرضية تعيش على اليابس ولها صدفة مقوسة ورجلان خلفيتان قويتان ، والنوع الافريقى منها له صدفة مرنة تمكنها من أن تدخل بجسمها تحت الصخور !

ويوجد من السلاحف الأرضية اربعون نوعا تعيش فى المناطق الدافئة من العالم ، وبعض هذا النوع اصبح نادرا الآن ، وذلك لأن الانسان يأكل لحومها ولأن الماشية قضت على النباتات التى تعيش عليها ، ويوجد أنواع صغيرة منها يهواها البعض ويقومون بتربيتها داخل المنازل كحيوانات زينة !

أشهر السلاحف

ومن السلاحف الشهيرة سلحفاة جوفر التى تعيش فى جنوب الولايات المتحدة الأمريكية .. والسلحفاة الأرضية العملاقة التى تقطن جزر المحيط الهندى وهى فى طريقها للانقراض ، ذلك لانها تعتبر طعاما طازجا دائما ومفضلا لمن يرتادون البحار ، فيحتفظون بها فى سفنهم فترات طويلة بلا غذاء دون أن تموت لتكون طعاما طازجا لهم ، وهى تبلغ احيانا المتر



سحالى صحارى تكساس ، وهى تمتاز بأرجل خلفية قوية

عالم الزواحف الخفي

إنها من ضمن الزواحف التى تعيش فى الرمال الاردنية .. وهى من نوع السحالى الصحراوية

ونصف المتر طولا ، وزنها يصل الى ٣٠٠ رطل ، وهى تعيش ١٥٠ عاما على الأقل !

والسلاحف بصفة عامة تعتبر من اكثر الحيوانات المعمرة فبعضها يعيش ما بين قرنين الى ثلاثة قرون من الزمن ، وهى حيوانات مسالمة بطيئة الحركة يضرب بها المثل فى البطء الشديد !

ساكنات البحار

وسلاحف الماء العذب أعرض جسما من السلاحف البرية ، ولها أصابع عريضة تساعدها على العوم ، ويوجد منها سلحفاة الطين أو السلحفاة النهرية ، ومنها نوع طيب اللحم وتسمى السلحفاة النفيسة ويربيها المواطنون فى امريكا لجودة لحومها ، ومن هذه الأنواع ايضا السلحفاة النهرية ذات الصدفة الرخوة ..

والسلحفاة النيلية تعيش فى نهر النيل ، لكنها اختفت تماما الآن بعد بناء خزان اسوان وهى موجودة عند منابع النيل وجسمها مغطى بصندوق رخو ، ولها زوجان من الأطراف المتحورة على شكل عوامات تسبح بهما فى الماء ولون صندوقها بنى زيتونى به بقع داكنة ويصل طولها الى المتر ، وتسمى ايضا بالترسة النيلية وهى تتغذى على النباتات وتضع البيض فى حفرة تعدها بنفسها قرب الشاطىء ليفقس وتخرج الصغار لتتجه مباشرة الى النهر بالغريزة !

والسلاحف البحرية تعيش فى البحار الدافئة من العالم ، وتذهب بانتظام لوضع البيض فى اماكن معينة خاصة فوق تلك الجزر القريبة منها ، مثلما يحدث لتلك الأنواع التى تعيش بالقرب من الجزر الصغيرة القريبة من مدغشقر ، وهذه السلاحف ليس لها اقدام بل زعانف ، ومن انواعها السلحفاة المتراكبة والسلحفاة الحرة والحنفاء والسلحفاة ذات الصدفة الرخوة والتى يصل وزنها الى ٥٠٠ كيلوجرام ويعتبر لحمهـا من أجود اللحـوم التى يتغذى عليها الانسان فى تلك المناطق !

بين الحذر والافتراس

اما السحالى فهى زواحف تختلف عن السلاحف ، وهى تشمل ٢٨٠٠ نوع ذات طباع مختلفة واشكال متباينة معظمها يمشى على اربعة أطراف ، وقليل منها يشبه الثعابين لعدم وجود الأطراف مثل حية الزجاج والامفيسبينا !

وللسحالى فم متوسط الحجم بالنسبة لجسمها ولها أسنان وجفون متحركة وجلد مغطى بقشور قرنية ، والكثير منها له القدرة على بتر الذيل ذاتيا كلما دعته الظروف القهرية لذلك للفرار بجلده من الأعداء .

ومن السحالى ما يضع البيض لتفقس الصغار ومنها من يلد الصغار مباشرة ..

والسحالى تنقسم الى عشرين فصيلة ، على مجموعتين ، تشمل الأولى منها الأبراص والايجوانا والاجاما والحرابى وتلك هى المجموعة التى تسير دون تموج الجسم ولها عضو ذكرى بسيط ولسان غض ..

والمجموعة الثانية تضم اللاسرتيدات والسقنقور والورل والهيلودرما ، وجميعهـــا تتميز بتموج الجسم عند السير ولها عضو ذكرى متفرج ولسان غير لحمى ..

والسحالى تكثر عددا وتنوعا فى الأجزاء الدافئة من الكرة الأرضية وهى أكثر عددا من الثعابين او الزواحف الأخرى ، وهى على عكس الثعابين لها جفون متحركة !

وتتغذى معظم السحالى على الحشرات والقليل منها على النباتات . والكثير من السحالى يضع البيض الجلدى الملمس وبعضها يلد صغارا وان كانت الولادة هنا لا تعنى مفهومها لدينا فالبيض يفقس داخليا ثم تولد الصغار ، وجميع انواع السحالى غير سام إلا نوع واحد منها هو الجيلا العملاقة فهو سام .

ومعظم انواعها حذر للغاية ، ويصعب حتى على الانسان أن يمسك بها رغم ضعف بنيتها والتى لا يتعدى طول معظمهـــا عـــدة سنتيمترات الا تنين كومودو فى الهند الشرقية والذى يصل طوله ٣٣٠ سنتيمترا !!

وفصيلة اللاسرتيديات والسحالى الليلية من فصيلة الزانتوسيديات هى من السحالى النموذجية ، ولهذه الأنواع اجسام نحيلة وذيول طويلة واقدام ذات خمسة اصابع متقدمة التكوين ، وهى سحالى سريعة العدو وبعضها له القدرة على العوم او التسلق او الحفر بينما يعد التنين الطائر سحلية منزلقة !

وتتميز السحالى المفترسة ذات الأصابع بان اصابعها حرشفية تمكنها من العدو فوق الرمال

وأكبر فصائل السحالى هى الايجوانات والاجاما ، وتشمل الفصائل الأخرى المعروفة على الحرباء والسقنقور والورل والبرص !

وبمرور الزمن فقدت السحالى الحفارة أرجلها ، فانواع السقنقور لها ارجل صغيرة وتتحرك عادة على بطونها مثل الثعابين بينما للثعابين الدودية والزجاجية لا توجد لها أطراف وان وجدت فهى اثار أطراف صغيرة جدا !

الدفاع السلبى

وذيل السحالى يستخدم فى حفظ التوازن واختزان الدهون التى تعتمد عليها اثناء بياتها ، ويوجد عند قاعدة الذيل رباط ضعيف يرجع إليه السر فى التخلص من الذيل عند محاولة الامساك بها ، ولحسن حظها أن أكثر المحاولات امساكا بها يكون من منطقة الذيل ، وعند انفصال الأخير فانها لا تتعرض لنزيف أو التهابات تكلفها حياتها ، فقد زودت بقدرة عظيمة على التئام تلك المنطقة بعد فصل الذيل اليا ، وعندما ينفصل الذيل فانه يستمر فى حركة تموجية سريعة بعض الوقت ، وهى نوع من انواع الدفاع السلبى لهذه الحيوانات ، وربما كان ذلك مناورة خبيثة منه لجذب انظار العدو ، حتى تفر السحلية من منطقة الخطر مخلفة ورائها هذا الذيل ، الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع ، فسرعان ما ينمو غيره من جديد فى كثير من انواعها !

المخلوق الطبى

والسقنقور أو سمكة الرمل يعتبر من أكبر أجناس السحالى انتشارا فى صحراء مصر العربية ، وجسمه مستطيل والرأس صغير مدبب عند الطرف الامامى ، مما يساعده على الحركة السريعة فوق الرمال ، ومن هنا جاءت تسميته بسمكة الرمل ..

وينشط السقنقور فى جميع فصول السنة ، عدا فصل الشتاء ، فانه يختفى تماما ويكثر نشاطه اثناء النهار ، لكنه يختفى فى فترات الظهيرة عندما تشتد حرارة الشمس فى طبقات الرمل البعيدة عن السطح وذلك فى جحور يعدها لنفسه ، ويلجأ السقنقور الى الاختفاء فى الرمال عند شعوره بالخطر ، يساعده على تلك لونه الذى يشبهها ، وهو يتغذى على

الحشرات الصغيرة ، وكان السقنقور يستعمل فى تحضير بعض العقاقير الطبية الهامة التى افادت البشرية فى زمن انتشر فيه الداء وقل الدواء لذلك اطلق عليه السقنقور الطبى ، وعلينا ان نتصور كم من اعداد هائلة من البشر كتب لها الشفاء على حساب حياة هذا المخلوق الضعيف ، وربما كان جدك او جدى واحدا من هؤلاء !

الضعيف الذاكرة

والضب واحد من فصيلة الاجاما ، وينتشر فى الصحارى المصرية وصحارى شبه الجزيرة العربية وصحارى شبه جزيرة قطر ، ورأسه قصير ومثلث الشكل ، وجسمه طويل واطرافه قوية مزودة بمخالب حادة تساعده على حفر الجحور التى يعيش فيها فى الصحراء ، وذيله طويل ومدبب عند نهايته وتوجد عليه حلقات منتظمة من الحراشيف المسننة ـ ويصل طوله الى ٣٥ سنتيمترا وطول ذيله ٢٥ سنتيمترا ولونه اصفر او زيتونى اخضر فوق الظهر ، اما السطح البطنى فابيض مائل الى الصفرة !

والضب من اكلات العشب والنباتات الصحراوية وعلى الاخص النبات المعروف باسم هالوكسيلون !

والضب بطىء الحركة وهو لا يبتعد كثيرا عن المنطقة التى يعيش فيها ، واذا ابتعد عنها تعذر عليه العودة الى جحره فهو ضعيف الذاكرة ، ومن السهل القبض عليه ، واذا هوجم فانه يدافع عن نفسه باسنانه القوية الحادة ، وهو ينشط نهارا ويختفى ليلا ، ومن الاعتقادات القديمة ان اكل لحم الضب او اكل بيضه يساعد على النشاط والقوة عند المسنين من الرجال ، وعلى اية حال فان لحمه طيب المذاق غنى بالعناصر الغذائية !

انواع سامة

وسحلية الجيلا او الهيلودرما تعتبر السحلية الوحيدة السامة فى العالم ، وهى تعيش فى جنوب غرب الولايات المتحدة الامريكية وامريكا الوسطى ، وهى نوعان : النوع الأول هو الجيلا البشعة او سحلية اريزونا السامة والنوع الثانى هو الهيلو درما المحبية ، وفى كلاهما تتصل أسنان الفك السفلى بغدة سامة يختلط افرازها مع اللعاب وقد يصل طول هذا النوع السام الى ٨٠ سنتيمترا ، وذيلها قصير وغليظ يحتوى على مواد دهنية مختزنة ، ويتغذى هذا النوع من السحالى السامة على البيض وصغار الثدييات ولكنها تفضل تناول النمل الأبيض الضار الا انه بالرغم من ان هذا النوع السام فانه سهل الاستئناس بعد خلع اسنانه وغدته !

انواع متعددة

اما الورل فهو نوع من السحالى متباينة فى الحجم ، بعضها صغير والبعض الآخر كبير بدرجة ملفتة للنظر ، واضخمها حجما هو تنين كومودو ، والذى يصل طوله ثلاثة امتار ووزنه ٧٥ كيلوجراما وهو شديد الشبه بالثعابين فى ابتلاع الفريسة الا انه غير سام !

والورل يتواجد فى افريقيا واسيا وخاصة جزر الهند الشرقية كما يتواجد فى استراليا ، وبالرغم من ان انواع الورل تشبه بعضها البعض فانها تقطن بيئات متباينة ، فبعضها يعيش فى المناطق الصحراوية بشمال افريقيا ويطلق عليه الورل الصحراوى بينما الورل النيلى يجوب الأنهار ، اما ورل البراسينوس فيعيش على الأشجار فى الغابات الاستوائية فى غينيا .

وجميع انواع الورل مفترسة ، تتغذى الانواع الصغيرة منها على الحشرات اما الكبيرة فانها تفترس انواع اخرى من السحالى والثدييات والطيور الصغيرة ، والبعض منها يتغذى على البيض .. وورل النيل له القدرة على اكتشاف بيض التماسيح والتهامها !

وتضع انثى الورل البيض فى حفرة تغطيها بالرمال والنباتات ثم تتركها لتفقس بتأثير درجة حرارة الجو المحيط بها ، وانثى الورل إذا ما عثرت على عش النمل الأبيض سارعت دون تردد بوضع البيض فيه ثم يقوم النمل الأبيض بدفن البيض لها اثناء قيامه بالعمل فى ترميم جدار العش ، وتمر الايام ويفقس بيض الورل لتخرج الصغار غالبا فى فصل الأمطار لتصادف قوافل النمل الموجودة فتحيا هى وتموت النمل الأبيض على موائدها !

ـ والايجوانا نوع اخر من السحالى ينتشر فى كندا وجنوب شيلى وفى جزر المحيط الهادى ويوجد منها ٧٠٠ نوع ، وتعتبر الايجوانا الخضراء اكبر الأنواع ، وتوجد فى وسط وشمال امريكا الجنوبية ، ويصل طولها مع الذيل الى ١٨٠ سنتيمترا ، ويوجد لها عرف على ظهرها وكيس منتفخ اسفل الحلق ، ومنها انواع تعيش على الأشجار لا يتعدى طولها ١٢ سنتيمترا ، والبعض منها بحرى يعيش فى جزر جلاباجوس ، ولها طباع خاصة اذ انها تفضل الشواطىء الصخرية وتتجمع فوقها باعداد كبيرة تصطلى الشمس وتغوص فى المياه بحثا عن الاعشاب البحرية !

وابو بريص من السحالى المعروفة وهو من زوار المنازل ، ويروق له التردد عليها والعيش فيها إذا سمحت له الظروف سعيا وراء الحشرات ، وهو يتسلق الجدران وحتى تلك الجدران والأعمدة الملساء لا تعوق مقدرته على التسلق حيث ان اصابعه العريضة المزودة بصفوف من زوائد صغيرة تمكنه من ان يتعلق حتى بادق النتوءات على تلك الأسطح ، ولديه القدرة على تغيير لونه ليلائم تلك الأسطح التى يتسلقها ، واحيانا يظل ساكنا ساعات طويلة فى انتظار فريسته من الحشرات ، ويعيش ابو بريص خارج المنازل على الأشجار وبين افرع النباتات الصغيرة وهو قليل العدد فى المناطق الصحراوية ، ومن انواعه ابو كف وينتشر فى مصر وشبه الجزيرة العربية والجزائر وسوريا والعراق والاردن ، وهو يتغذى على الحشرات ويخرج ليلا فى البحث عنها وقليلا ما يخرج نهارا !

ويعتقد الكثير من اهالى تلك المناطق ان الانسان إذا ما اكل طعاما لمسه هذا النوع من السحالى فانه يصاب بداء البرص ولذلك اطلقوا عليه اسم ابو بريص !

انواع غريبة

ومن السحالى غريبة الشكل سحلية الشيطان وهى تعيش فى المناطق الصحراوية الجافة فى استراليا وهى مزودة باسلحة عبارة عن اشواك حارة تحميها عند محاولة الاعتداء عليها !

والحرباء تتبع فصيلة شاذة من السحالى ، ذات صفات غير عادية ، فعيناها محمولتان على مخروطين وكل عين مستقلة الحركة عن العين الاخرى ، وهى ذات اقدام كلابية تساعدها فى التعلق بالأغصان وحتى الصغير منها ، وهى فى استطاعتها ان تغير لون جلدها فى لحظات لتحاكى الوسط الذى تعيش فيه واحيانا يكون تغيير اللون نتيجة انفعالها فرحا او خوفا او استجابة لتغير درجة الحرارة ـ ومن هنا جاء تشبيه الانسان المتغير بالحرباء فيقال ان فلانا يشبه الحرباء لأن فى استطاعته تغيير لونه حسب ما تقتضى الظروف وهو تشبيه للسخرية وليس صفة من صفات البراعة ، ويتأثر تغيير اللون بالهرمونات او الاعصاب التى تتحكم فى المواد الملونة الصفراء والحمراء والبنية القاتمة الموجودة فى الجلد !

وقفة تامل

ويوجد من الحرابى ثمانون نوعا تعيش معظمها فى افريقيا ، والقليل منها يعيش فى اسيا واوربا ، ويتروح طولها من خمسة سنتيمترات الى ستين سنتيمترا ، وهى تعيش على الأشجار ، وحركتها بطيئة ، وهى دائبة البحث عن الغذاء الذى هو فى معظمه الحشرات الضارة ، وهى تصطادها بلسانها الطويل اللزج

فهل لنا من وقفة تامل فى هذه المخلوقات التى لم تخلق عبثا فربما وجدنا فى حياتها وسلوكها عظات وعبر ؟! .

بالقطع سوف نتذكر ...... قول الله تعالى فى كتابه العزيز : « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » ..

د . محمد القباشى ربيع

احدى الحاسبات الاليكترونية القديمة نسبيا ، ومنها نرى ذاكرة التخزين التى تبدو على هيئة مكتبة قائمة بذاتها



بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

بينما كان كاتب هذا المقال فى مهمة علمية بانجلترا منذ ١٤ عاما ، جاءته دعوة لحضور الحصيلة العلمية السنوية التى تمخضت عنها البحوث العميقة والمتشعبة فى احد المعامل الفيزيائية المتقدمة (المعمل الفيزيائى القومى بمقاطعة ميد لسكس) ، وفى احد الاقسام المتخصصة فى تطوير وصناعة الحاسبات او « العقول » الالكترونية ، وقفت امام حاسب كبير ، واشار الى مرافقى ان اجرب حظى بسؤال قد اتلقى عليه ردا قبل ان يرتد الى طرفى ، وبدات اكتب سؤالى على الة كاتبة متصلة بالحاسب ، وكان السؤال المحدد هو : ان تاريخ ميلادى ٣٠/٢/١٩٢٨ ، فما هو اسم اليوم من الاسبوع الذى يوافق مثل هذا التاريخ ؟

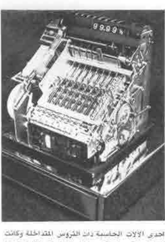
وبمجرد ان انتهيت من كتابة سؤالى ، ظهرت الاجابة هكذا : اسف .. هذا سؤال سخيف ، وجرب غيره من فضلك !

وجربت السؤال الصحيح ، فقدم لى الجواب الصحيح !

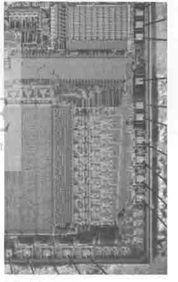
وربما تكون انت قد اكتشفت اصول الخدعة التى اردت ان امزح بها مع « العقل » الاليكترونى ، فلم يجز عليه ذلك المزاح ، بل اعتبر السؤال سخيفا وخادعا ، اذ ان فبراير لا يمكن ان يكون ٣٠ يوما ، ولا هو ايضا وارد فى حساباتنا ومواقيتنا ، ومن اجل هذا كان الرد الذى اسعدنى واعجبنى .



صورة فنية رسمها عقل اليكتروني حسب برنامج محدد في ذاكرته .. وهي كما ترى خطوط متعرجة كونت راس انسان



احدى الآلات الحاسبة ذات التروس المتداخلة وكانت النواة التي انبثقت منها الحاسبة الاليكترونية الصغيرة :



نسيج غريب متداخل من دائرة اليكترونية معقدة على رقاقة او شريحة تحتوي على ملايين الشفرات التي تتحول إلى حسابات ولغات

الاساس عقل الانسان

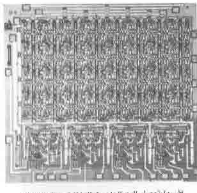
وطبيعي أن الحـــاسب او العقـــل الاليكتروني لا عقل له ، رغم انه قد احدث ثورة من الثورات العلمية والتكنولوجيـــة الكبرى التي نشهدها في زماننا هذا ، ولا يعلم الكثيرون منا الا اقل القليل عنها ، رغم انه يحسب أسرع منا ، ويفند الاجابات الصحيحة من الخاطئة ، ويدير مصانع باكملها ، ويكتشف حلولا للمسائل العويصة التي تجابه العلماء ، ويسعفهم بالحلول الفورية في مجالات غزو الفضاء ، وتحديد بعض الأمراض التي قد يستعصى تشخيصها على كثير من الأطبـــاء ، او اكتشاف ادلة اجرامية تدين المذنبين في ساحات القضاء ، او الكشف عن الثروات الكامنة في باطن الأرض واعماق البحار ، او التنبؤ بحالات الطقس ، او استنباط وسائل جديدة في البحوث العلمية ، وغير ذلك من مئات الأنشطة العقلية المعقدة التي قد لا يقدر على انجازها البشر ، حتى ولو اجتمعوا لها !

لكن ذلك كله لا يعني أن « العقـــل » الاليكتروني يفكر كما نفكر ، او يشعر كما نشعر ، او يتعاطف ويحب ويكره ويغضب ويرضى ، إلى اخر هذه الاحاسيس التي يعرفها البشر في حياتهم ، لكن من الممكن تقليد هذه الأحاسيس ، ووضعها في برامج خاصة داخل « ذاكرة » هـــذة العقـول الصناعية ، وبحيث تتصرف معنا بطريقـة مهذبة ، أو قد تكون وقحة السلوك ، فتسب وتلعن .. كل هذا يتوقف على ما وضعه الانسان فيها من بروجرامات مضحكة او مسلية او مازحة مزاحا لطيفا او سخفيا .. الى اخر هذه الامور التي قـــد توحى للكثيرين ان « العقل » الاليكتروني ذكي جدا ، وانه يفكر فعلا ، او ينفعل ، فتخرج منه الضحكات او الشتائم او « تطييبه » الخواطر .. الخ .

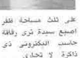
والواقع ان سلوك العقول الاليكترونية هو انعكاس لما يدور في العقول البشرية من افكار وانفعالات ، اضف الى ذلك ان لهذه الحاسبات درجات تتوقف قيمتهـــا على ما تحتويه برامجهـــا من « خـــبرات » ومعلومات فبقدر ما تعطيها من بروجرامات ، بقدر ما تقدم لك من حلول مختلفة وسريعة ومتقنة .

تطور مذهل

ومما لاشك فيه ان كل شيء يتطور الى الأحسن والاكفا والادق ، بفضل تطور خبرة الانسان وعلومه وتكنولوجياته ، فلقد جاء





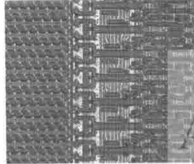


بين عقول بشرية وعقول إليكترونية

على ثلث مساحة ظفر اصبع سيدة ترى رقاقة حاسب اليكتروني ذي ذاكرة لا تجارى

اخر ما توصل اليه العلم يتمثل لنا في هذه الرقاقة التي لا يزيد طول احد اضلاعها عن ملليمترين لاغير ومع ذلك فهي تحتوي على ملايين المعلومات التي توجد في مجلد ضخم .





الصورة الاولى لرقاقة من السيليكون ذات ذاكرة اليكترونية ، ومكبرة عدة مرات والصورة الثانية جزء مكبر عشرات المرات .

على الحاسبات القديمة زمن كانت فيه ضخمة وثقيلة وبطيئة ومجهدة ، اذ ان بدايتها كانت يدوية ، اى عن طريق ذراع او ازرار تدير تروسا ، وتحرك اجزاء ، وتعطيك الاجابات بعد جلبة وضوضاء ، ولهـــذا اصبحت هذه الالات البدائية في ذمـــة التاريخ ، وكان مثواها الاخير على الرفوف وفي المتاحف ، لتكون شاهدة على زمن ولى وادبر !

ثم يجيء على هذه الحاسبات حين من الدهر لتدخل ضمن ثورة تكنولوجيـــة ، فحلت الدوائر الكهربية محل التروس ، واعطتها بذلك دفعة هائلة ، ثم انطلقت في خطوات تطورية سريعة ، وكان الهدف دائما ضالة في الحجم ، وخفة في الوزن ، وغزارة في المعلومات ، وسرعة في الاداء ، وزهدا في الاسعار ، وسعة في الانتشار ، وليس ادل على ذلك من حاسبات الجيب الاليكترونية التي اصبحت اضال من علبة السجائر وزنا وحجما ، ومع ذلك تقوم باجراء الكثير من العمليات الحسابيـــة المعقدة ، ولقد ساعد على بلوغ هـــذه الطفرة الفجائية دخول الانسان عصر الفضاء ، فجاءت الحاسبات الاليكترونيـة في سفن الفضاء ، لتشغل فيها اضال فراغ مع خفة في الوزن ، وسرعة في الاداء .

على ان مثالا واحدا نقدمه هنا ، سـوف يوضح لنا ذلك ابسط توضيح .. ففي عام ١٩٤٦ ظهر اول حاسب اليكتروني ليشغل صالة واسعة ، ويستهلك تيارا كهربيا تصل قوته الى ١٤٠ الف واط ، ليدخل في تشغيل ١٨ الف صمام اليكتروني ، تتصل بشبكة هائلة من الاسلاك التي تبلغ اطوالها اكثر من مائتي كيلومتر ، ولابد من عمليات تكييف او تبريد ، نتيجة لانطلاق كميات كبيرة من الحرارة ، ولقد تكلف انتاجه وقتذاك عدة ملايين من الدولارات ، وكان يعتبر في عصره احـــدى معجزات التكنولوجيا الحديثة ، لكنه الآن — وبمعايير هذا الزمان — يعتبر شيئا بدائيا ، اذ حلت محله رقاقة او لوحة صغيرة من السيليكون قد لا يزيد حجمها عن حجم ظفر الاصبع .. أى كأنما التطور المذهل في صناعة العقول الاليكترونية قد اختصر كل شيء الى حدود لا يمكن تصورها ، فصار الكبير جدا ، صغيرا جدا ، مع عـــدم المساس بكفاءته نوعا وكما ، وطبيعي ان هذا الاختصار الهائل في المساحة والحجم والخامات والطاقة الدافعة .. الخ ، قد انعكس بدوره على اختصـــار هائل في التكاليف ، مما جعل اسعار الحاسبات الصغيرة الحالية لا تقارن مثلا باسعار الحاسبات التي ظهرت في منتصف القرن العشرين .

ولكي يمكن استيعاب ذلك ، فقد قـــدم لنا كريستوفر ايفانز في كتابه القيم عن العقول الاليكترونية مقارنة بعالم السيارات فلو ان صناعة السيارات قد سارت على نفس المنوال الذي سارت فيه الحاسبات الاليكترونية ، وفي نفس الفترة الزمنية ، لكان معنى ذلك ان سيارة « الرولزرويس » يمكن شراؤها بثلاثة دولارات الا ربعا ، وتستطيع هذه السيارة ان تستهلك جالونا واحدا من الوقود لتقطع به مسافة تصل الى ٤ر٨ مليون كيلو متر ، وتنتج طاقة كافية لدفع بارجة ضخمة مثل كوين اليزابيث .. الخ .

وطبيعي ان هذه الارقام تبدو خيالية الى ابعد الحدود ، ولا يمكن بحال من الاحوال تحقيقها ، لكنها مع ذلك قد تحققت في صناعة العقول الاليكترونية .. لان كل شيء فيها قد اختصر اختصارا مذهلا .. الحجم والوزن والطاقة وبساطة التصنيع ، وانخفاض الاسعار .. الخ ، مع الحفاظ على الكفاءة ، او زيادتها باستمرار .



ان هذه المتاهات من التوصيلات المتداخلة فى احدى العقول الاليكترونية هى تطبيق بسيط وبدائى لفكرة الخلايا العصبية فى امخاخنا هذا ويبلغ مجموع اطوال هذه التوصيلات اكثر من مائة كيلومتر لتربط بين ٧٧٠٠٠ دائرة اليكترونية تتداخل فى تشغيل حوالى مليونين من خلايا الذاكرة التى تكون هذا الحاسب الاليكترونى .

مقارنة مجحفة

لكن ذلك كله سوف يتضح لنا اكثر واكثر كلما توغلنا قليلا فى الموضوع ، فالذى احدث هذه الطفرة الفجائية هو توصل العلماء الى فكرة الرقاقة التى تزخر بدوائر كهربية دقيقة غاية الدقة ، وهى التى تراها فى بعض الأشكال المقدمة على هذه الصفحات ، وكانما هى نسيج متداخل ، ولا يمكن رؤيته الا اذا كبرناه عشرات او مئات المرات ، وكانما ذلك يذكرنا ايضا بنسيج امخاخنا ، فنحن لا نستطيع ان نرى وحدات النسيج ، الا اذا كبرناه مئات المرات ، وعندئذ تبدو لنا خلاياه وكانما هى اشبه بغابة غريبة متداخلة الاغصان ، فالمخ ذاته يحتوى على حوالى ١٢ الف مليون خلية عصبية ، ومن كل خلية تمتد عشرات ومئات الوصلات او الالياف العصبية الدقيقة ، لتتصل بما حولها من آلاف الالياف (انظر الشكل الدال على ذلك) ، وبحيث يؤدى ذلك الى ما يشبه الدوائر الاليكترونية التى تتوه فيها العقول ومن التالف المتقن ، والتفاهم المتقن ، والتناغم المذهل ، يحدث التفاعل الكهروكيميائى المنظم ، فيسرى على هيئة نبضات عصبية ، ويمكن ترجمتها الى معلومات توضح لنا طبيعة عالمنا المحيط بنا ، فنراه بتجسيده والوانه ، او نسمعه ونتذوقه ونشمه ونحسه من خلال اعضاء الحواس التى تنقل ما يحدث فى عالمها الخارجى ، لتصبه فى عالم داخلى ـ هو عالم امخاخنا الذى ينطوى على متاهات لم نعرف منها الا القليل ، ومع ذلك فان المخ البشرى ـ رغم صغر حجمه ، وبساطة مظهره ـ يستطيع ان يستوعب ما يقدر بمليون بليون معلومة (تكتب هكذا ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر١) ، وكانما هو كون صغير ينطوى على كون جد كبير ، ولله در الشاعر محيي الدين بن عربى يقول :

اتحسب انك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

ولقدبدأ الانسان فى تقليد هذا النظام المذهل فى رقاقات دقيقة ، تشتغل بشفرة بسيطة (تباديل وتوافيق بين ١ ، ٠ ـ اى واحد وصفر) ، فمن خلال دوائر اليكترونية تتداخل وتستقبل وتوصل وتترجم الشفرة الى لغات تناسب الانسان ، تراها تكتب له وتحسب له ، وتتحدث معه ، وتيسر حياته وتترجم لغاته ، وتؤدى مهاما صعبة ، وبسرعة فائقة ، وكانما هى اكفا انتاجا من البشر ، واسرع فهما وادراكا .

ومع ذلك ، فان المقارنة بين الدوائر الكهروكيميائية التى تسرى فى خلايا امخاخنا ، وبين الدوائر الكهربية فى العقول الاليكترونية ـ لاشك ـ مقارنة مجحفة ، اذ لا فرق بين ما خلق الله فابدع واتقن ، وما قلد الانسان ، فجاء تقليده خاليا من العاطفة والاحساس والوجدان والارادة والشعور بالذات ، او غير ذلك من الصفات التى حازها الانسان دون سائر المخلوقات !

ورغم ذلك ، فلا يجب علينا ايضا ان نغمط الانسان حقه وقدره من التقدم والابداع والابتكار ، اذ انه وصل بتلك الحاسبات او العقول الاليكترونية فى زمن وجيز الى حدود تبدو خيالا او احلاما ، وبحيث يستطيع العقل الاليكترونى منها ان ينجز فى ثوان ، مالا يستطيع الانسان انجازه فى عشرات او ربما مئات السنوات !

احجام أصغر

ولقد بدأت فكرة رقاقة او شريحة السيليكون ـ التى تختزن المعلومات فى دوائر اليكترونية دقيقة ـ فى الظهور والتطور فى نهاية الستينات وبداية السبعينات من هذا القرن ، ومرت بمراحل كانت فيها الرقاقة اكبر ، والذاكرة اضال ، ثم حدث العكس ، اى جاءت الرقاقة اصغر فاصغر ، ومع ذلك تحتوى على معلومات اضخم ، وذاكرة اكبر !

منذ سنوات لا تزيد عن عدد أصابع اليدين ، كانت الرقاقة فى مساحة ورقة « الفولسكاب » ثم فى حجم اليد ، ثم فى حجم عقلة الأصبع ، ثم فى حجم الظفر ، ثم اقل من الظفر ، ثم فى حجم رأس الدبوس ، الى ان تصل احيانا الى احجام لا ترى الا بعدسات مكبرة ، او ان رأس



جزء ضئيل من الخلايا العصبية التى تكون أمخاخنا وفيها ترى الوصلات الحية الكثيرة والمتداخلة التى تتبادل المعلومات الواصلة اليها وكانما الانسان قد قلد فكرتها المذهلة فى العقول أو الحاسبات الاليكترونية



الدبوس يستطيع ان يحمل فوقه ست أو عشر رقاقات متجاورة ، وبحيث إذا سقطت منها رقاقة على الأرض ، فمن الصعب ان تكتشفها بالعين المجردة !

إن هذا الاعجاز العلمى والتكنولوجى سيؤدى الى تطبيقات كثيرة جدا ، ومتنوعة جدا ، ورخيصة جدا ، وبحيث أصبحت الرقاقة أو الشريحة التى فى مساحة كف اليد كبيرة وبدائية بالمقارنة لما تحقق بعد ذلك .. فرقاقة لا تزيد مساحتها مثلا عن سنتيمتر مربع واحد يمكن ان تستوعب المعلومات المكتوبة فى صحيفة يومية متوسطة ، لكن ذلك ليس غاية المراد ، ولا منتهى المنى ، بل ستتطور الأمور الى إنتاج رقاقات لها نفس المساحة (اى سنتيمتر مربع واحد) ، لكنها تختزن محتويات مجلد كبير به حوالى مائة الف كلمة ، ومع ذلك ، فالتطوير الى الأصغر والأدق والأكفا لا يزال قائما ، فالولايات المتحدة واليابان فى طريقهما بالفعل الى تخزين مليون كلمة على نفس المساحة ، اى ما يشغل دائرة معارف كاملة من الحجم المتوسط ، واذا استمرت الأمور على هذا المنوال ، فسوف يصبح بالامكان تخزين كل المعلومات الموجودة فى مجلدات مكتبة كبيرة فى رقائق لا تتعدى حجم كتاب صغير يمكن وضعه فى جيب سترة دون ادنى عناء .. والى مثل هذه الأهداف المذهلة يسعى العلماء .

ومما يساعد على تحقيق ذلك ، أو أكبر وأعظم من ذلك ، هو توصل العلماء الى فكرة أخرى جديدة وبديلة لفكرة الشرائح أو الرقاقات .. هذه الفكرة تتمثل فى ابتـكار ما يسمى « بالذاكرة الفقاعة » .. اى تخزين المعلومات وتكديسها فى تصميمات تشبه الغبارات (مفردها غبارة) أو الفقاعات الدقيقة التى يمكن تشبيهها ببسـاطة بالفقاعات التى نراها تنطلق من المياه الغازية ، لكن هذه الفقاعات الاليكترونية ممغنطة وموجهة فى مجالات محددة داخل الشريحة التى تحتويها ، وكانما هى تتآلف وتتناغم مع بعضها ، بحيث يؤدى ذلك الى ترتيب المعلومات وهضمها واخراجها على هيئة مكتوبة أو مقروءة لتناسب ادراك الانسان ، ولاشك ان هذه الذاكرة « الفقاعة » الممغنطة سوف تستوعب أكبر قـدر من المعلومات فى اضال مساحة ممكنة ، ويامل العلماء ان ذلك سوف يمكنهم من وضع كل المعلومات الكائنة فى دائرة المعـارف البريطانية فى تصميم لا تزيد مساحته عن بوصة واحدة مربعة ، مما يبشر بثـورة تكنولوجية جديدة قبل نهاية الثمانينات !

أسرع من لمح البصر

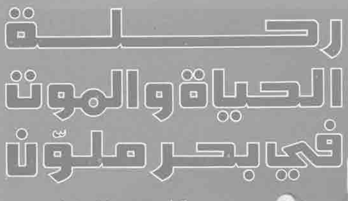
وأما عن السرعة التى تحل بها الحاسبات الاليكترونية العمليات الرياضية ، فحدث عن ذلك ولا حرج .. فاسرع حاسـبة اليكترونية تعطى الاجابة فى ١٢٫٥ « نانو » ثانية ، هذا ، والنانو » وحدة من الوحدات العلمية التى تقاس بها حدود العوالم التى تقع فيما وراء حدود العقل البشري ، و « النانو » ثانية جزء من بليون جزء من الثانية !

وتمتلك مؤسسة « ناسا » للعـلوم الفضائية حاسبا اليكترونيا يستطيع ان يجرى ١٢٫٨٠٠ مليون عملية رياضية معقدة فى الثانية الواحدة ، ولهذا الحاسب ذاكرة اليكترونية تستوعب ٨٫٣٨٨٫٦٠٨ شفرة (اوكود) .. ويمكن ان تزيد هذه الذاكرة لتستوعب ٧٧٫٥٦٨٫٠٠٠ شفرة (او وحدة معلومة) اذا زودت بـ ٣٢ قرصا او لوحة من اللوحات او الرقائق المكدسة بالمعلومات المخزونة (بالتحديد تعرف باسم كراى ـ دد ـ ١٩) ، هذا ويحتوى كل قرص على اكثر من الف مليون معلومة !

والموضوع بعد ذلك طويل ومتشعب ومثير ، لكن فيما قدمنا فاوجزنا ما يشير الى اقبال العالم على ثورة كبرى سوف تلعب فيها العقول الاليكترونية الدور الأساسى ، فتؤدى إلى تغييرات جذرية فى انماط حياة الناس ، فحيث تزيد اجورهم ومطالبهم وتكاليفهم بالنسبة للأعمال او الخدمات التى يؤدونها نحو مجتمعاتهم ، نرى الحاسبات او العقول الاليكترونية ، قد بدات تغزو هذه التخصصات ، وتحل محل الناس ، وبحيث قد تجابهنا مشكلة تكدس العقـول الاليكترونية ، لتصبح اخطر من مشاكل التكدس فى البشر ، ومما ينذر بالخطر ،ان انتاج الحاسبات الاليكترونية ـ على حسب تقرير حديث ـ قد تضاعف عشرة آلاف مرة فى الخمسة عشرة سنة الماضية ، وانه فى الفترة ذاتها قد انخفضت تكلفتها إلى حوالى مائة الف مرة !!

إن هذا « الغزو الفكرى » ـ ان صح ذاك التعبير ـ الذى ستسيطر به العقـول الاليكترونية على انماط افكار وحيـاة المجتمعات البشرية ، قد يصبح سلاحا ذا حدين ، فى حد منه تكمن رفاهية البشرية ، وفى الحد الآخر يكمن شقاؤها ، ولاشك ان ذلك يحتاج الى بيان وتوضيح ، وليس له هنا مجال ، ولنؤجله ـ اذن ـ الى دراسة اخرى قادمة ، لنتعرف على اى عصر غريب نحن مقبلون ، خاصة وان الأمور تتغير وتتطور ، وباسرع مما نتوقع ونتصور !

د. عبد المحسن صالح



رحلة الحياة والموت في بحر ملوّن

بقلم: صنع الله إبراهيم



- ثروات نادرة مهددة بالضياع ان لم نتحرك لانقاذها .
- أليس من المؤسف الا يكون هناك مرجع عربى شامل عن احياء البحر الأحمر والخليج العربى . ؟ !
- هل تعجز الامكانيات والمواهب العربية عن حماية وتسجيل واستثمار عدد من اندر الشعاب المرجانية فى العالم . ؟
- فى انتظار جامعة عربية رائدة



صورة جديرة بالفوز بالميدالية الذهبية فى فن التصوير ..وهى لشعب مرجانية برتقالية اللون فى شاطىء سواكن

رحلة الحياة والموت في بحر ملون

●● نشرت « الدوحة » موخرا سلسلة من الموضوعات المصورة التى تناولت بشكل قصصى ، لاول مرة أسرار الحياة فى أعماق البحر الأحمر ، وعالمه العجيب .

وفى هذا المقال يعرض الكاتب للمشاكل التى اعترضته اثناء الكتابة ، والتى يواجهها اغلب الباحثين فى هذا المجال ، ويعدد الاخطار التى تتهدد ثروات البحر العربى العتيق ، والخطوات الضرورية لحمايتها واستغلالها على أكمل وجه .

رغم كل التوقعات ، التى يستند بعضها الى حقائق ثابتة تتحدث عنهـــا الكتب والمجلات والبرامج التليفزيونية ، وتمتد جذور بعضها الاخر الى مخاوف واوهام سحيقة ، وخيالات مبهمة ، فان كل ما وقعت عليه عيناى ولمسته يداى ، كان يحمل طعم الاكتشاف البكر والمفاجاة الصاعقة .

وبادىء ذى بدء ، كان الشاطىء الواعد بمياه صافية ، يتالف من بساط طينى قبيح المنظر ، يمتد بعيدا فى عرض البحر .

وكان على ، كى اصل الى المياه ، ان اخوض فى هذه البركة لمسافة تتجاوز نصف كيلومتر .

ولم أكد اخطو عدة خطوات حتى شعرت بالم حاد فى باطن قدمى العاريتين ، فتوقفت عن الحركة ، وتطلعت الى اسفل .

هكذا تبينت ـ لاول مرة ـ تلك الكائنات الغريبة التى اندست فى ثنايا الطين ، وتسلح بعضها باشواك ابرية على الجوانب ، او ببروزات حادة فى الأطراف .

ومن الطبيعى انه قد سبقت لى رؤية انواع من الاصداف والقواقع ، لكنى لم ارها ـ قبل الآن ـ فى بيئتها الطبيعية ولا فى الاشكال والالوان الفريدة التى تناثرت تحت قدمى .

مضيت انقل قدمى فى حذر دون ان ارفع عينى عن الطين ، وتتابعت أمامى أصداف مضلعة حمراء اللون ، واخرى رمادية على شكل الكمثرى وحجمها ، وثالثة فى حجم اليد ورابعة فى حجم البندق .

وهنا وهناك انتشرت أجسام سوداء غريبة ، فى شكل وحجم حبات الباذنجان الأسود ، ظننتها كتل من المخلفات البترولية التى تحملها المياه عادة الى الشواطىء .

وكان ثمة نباتات كثيرة متناثرة ، منها ما هو اقرب الى الزهور ، تتناقل المياه بعضها ، بينما بدا البعض الاخر ثابتا فى مكانه . لكنى ما ان مددت اليه يدى حتى تحرك مبتعدا بسرعة خاطفة .

مطفاة السجائر التى مشت !

والتقانى السابحون العائدون من عرض البحر ، يحمل أغلبهم فى يديه شجيرات حجرية برتقالية وبيضاء ، انتزعوها من الاعماق .

وفجاة بدا المد واخذت المياه ترتفع بسرعة . ولما كنت لا اجيد السباحة فقد عدت ادراجى بعد ان ملات يدى بعدد من القواقع الصغيرة الكروية والمخروطية .

ولم اكد اتقدم قليلا حتى شعرت بغزوات صغيرة فى يدى مثل عضات

الناموس . وعندما فتحت قبضتيهما وجدتنى اواجه كائنات غريبة مشعرة اطلت من فتحات القواقع التى ظننتها خالية .

نفضت يدى فى تقزز ، فتســـاقطت القواقع فى الماء . ولمحت احدى حبات الباذنجان السوداء . فانحنيت وتناولتها بيدى .

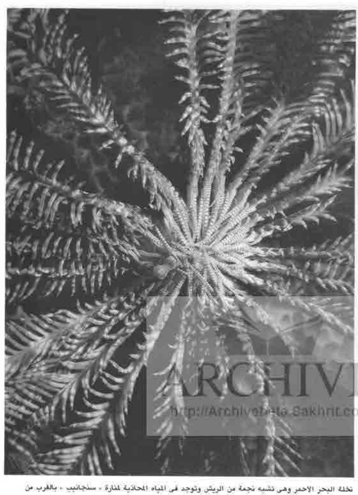
كان ملمسها ناعما ، وجسدها رخوا . ادرتها بين اصابعى متاملا الثقب الدقيق فى كل من طرفيها ، واذا برشاش من المياه ينطلق من احدهما ويصيبنى فى وجهى .

حملتها الى الشاطىء ، وضعتها فى اناء صغير من البلاستيك ريثما جففت جسدى واستبدلت ملابسى . وعندما القيت عليها نظرة اخرى وجدت حجمها قد انكمش الى النصف ، وتكومت الى جوارها شبكة من الامعاء الوردية اللون .

واوشكت على الانصراف فاذا بى أرى مطفاة سجائر تمشى !

وكنت قد لمحت من قبل القوقعـــــة الكبيرة ذات الأطراف الستة القصيرة ، التى ألفت أن أراها ــ فى طفولتى ــ تستخدم مطفاة للسجائر ، فلم اعبا بها .

اسرعت اليها ورفعتها فى الهواء ، فلمحت زائدة مثل القدم تتراجع بسرعة داخل الشق الذى يمتد بطول السطح السفلى للقوقعة . وتمكنت من الامساك بهذه الزائدة قبل ان تختفى تماما وحاولت ان اجذبها لكنها كانت اقوى منى ، فافلتت من يدى وتوارت . وعندما مددت اصبعى داخل الشق وجدته قد احكم اغلاقه بباب من حديد .



نخلة البحر الاحمر وهى تشبه نجمة من الريش وتوجد فى المياه المحاذية لمنارة « سنجانيب » بالقرب من بورسودان

ولقاء تحت الماء

هكذا بدا اول لقاء بينى وبين شاطىء البحر الاحمر وهو فى نفس الوقت اول لقاء مباشر باحياء البحر .

فانا اساسا من ابناء المدينة ، وعلاقتى بالبحر علاقة موسمية تتمثل فى التردد على الشواطىء المأهولة التى تطل على البحر الأبيض والتى اختفت منها اغلب أشكال الحياة البحرية ، هربا من الزحام البشرى .

اما شاطىء البحر الاحمر فهو لأسباب كثيرة ليس مطروقا من احد ســـوى السائحين الأجانب الذين يجدون فى دفئه فرصة رائعة لقضاء الشتاء . ولهذا السبب يحتفظ ببكارة عالمه الحى .

وكان لقائى الثانى بالبحر الاحمر تحت الماء .

فقد وضعت على عينى النظـــارة البلاستيكية المعروفة ، المزودة بانبوب مرتفع لاتنفس ، وغصت فى مياه اكثر المناطق ضحالة .

وكاننى هبطت الى الاعماق السحيقة للمحيط .

فقد القيت نفسى وسط فوج من أسماك فضية صغيرة ابتعدت مسرعة وهى ترمقنى بعيونها الدقيقة فى حذر . وانسابت امامى سمكة ما على شكل القرص المفلطح ، ازدانت بألوان الفراشات . وعندما تقدمت من عرض البحر انتشرت تحت قدمى الزهور البنفسجية والارجوانية المتموجة .

ولمحت سمكة بديعة الشكل ، احاطت بها مجموعة من الزعانف الملونة على هيئة ريش الطاووس او اجنحة الديكة ، وكانت تعوم فى بطء ، فاتجهت نحوها املا فى امساكها من احدى هذه الزعانف . ولحسن حظى انها شعرت بى فاسرعت بالابتعاد . وبذلك نجوت من خطر التسمم .

فقد عرفت فيما بعد اننى كنت فى حضرة واحدة من أخطر أسماك البحر وهى سمكة « الجنخ » الشهيرة التى تحمل الســم فى أشواك زعانفها .

ذلك أن اللقائين المذكورين ، كانا كافيين لارسالى فى رحلة بحث طويلة خلف أسرار البحر الاحمر وسكانه المتنوعين من اسفنج ومرجان ، وقنافذ ، ونجوم ، وسراطين ، واخطبوطات ، وقواقع فضلا عن الأسماك .

وطوال العامين اللذين استغرقتهما رحلتى بين المراجع المختلفة ، كانت ذكرى هذا اللقاء تشحذ عزيمتى فى مواجهة



شمعدان البحر الاحمر .. وهو نوع من الاسفنج فى مياه « توارتيت » بالقرب من سواكن القديمة فى السودان

الصعاب التى قابلتنى .

وتتمثل اهم هذه الصعاب فى غياب المرجع الذى يحتوى على توصيف وحصر ـ باللغة العربية ـ لأنواع احياء البحر الاحمر واسمائها .

ويكفى كى نتصور الصعوبة الناشئة عن هذا الوضع ان نعرف ان العلماء قد تمكنوا من تمييز ٢٥٠٠ نوع من الاسفنج ، و ٤٥٠٠ نوع من المرجانيات والشقائق البحرية والحيوانات الهلامية (مثل قناديل البحر) ، و ١٦٠٠٠ من القشريات مثل السراطين والجمبريات ، و ٦٠٫٠٠٠ من القواقع والبزاقات وغيرهما من الرخويات و ٤٠٠٠ من قنافذ البحر والنجوم وخيار البحر (الذى تنتمى اليه الباذنجانة السوداء التى تتخلص من امعائها عند اول بادرة للخطر) و ٣٠٫٠٠٠ نوعا من الاسماك وتتوزع هذه الانواع على بحار العالم ومحيطاته .

واعطى العلماء هذه الانواع اسماء معروفة ومقبولة عالميا منذ القرن الثامن عشر ، وفقا لقواعد وضعتها لجنة دولية لتصنيف وتسمية الحيوانات والنباتات . وطبقا لهذه القواعد تشتق الاسماء من اللغة اللاتينية وتشير الى احدى الصفات المميزة للنوع ، او من الاسم الذى يعرف به محليا . ويتبع الاسم العلمى عادة باسم المؤلف ، وهو الشخص الذى قام بوصف النوع .

هذا ما فعله العالم الفنلندى الشهير فورسكال عندما طاف بشواطىء البحر الاحمر عام ١٧٦٩ فى اول محاولة لتصنيف اسماكه . فعندما ميز فى اسواق جدة سمكة من جنس ، استخدم الاسم الذى تعرف به السمكة بين السكان المحليين ـ وهو البهار ـ علما على النوع الجديد ، فاصبحت تعرف علميا بهذا الاسم : Lutjanus Bohar Forskal

لكن فورسكال لم يصف غير اقل من مائة من اسماك البحر الاحمر . وتتابعت المحاولات المماثلة بعد ذلك . فوصف « روبل » ٣٥١ نوعا من اسماك البحر الاحمر عام ١٨٣٥ ، منها ما سبق ان وصفه فورسكال .

وتكررت هذه الظاهرة اكثر من مرة . واصبح من المالوف ان يقوم باحثان او اكثر كل على حدة ، بوصف نفس النوع او الجنس ، الامر الذى يتمخض عن وجود اكثر من اسم لنفس النوع او المجموعة .

وساعد على ذلك ان بعض الاسماك تتمتع بالقدرة على تغيير الوانها والزخارف التى تغطيها ، حسب السن ، والجنس والموسم ، بل و « الحالة النفسية » ، بحيث يظنها الرائى نوعا جديدا تماما .

وضاعف من هذه المشكلة اتساع اهتمام غير المتخصصين ـ من صحفيين وكتاب وغواصين وسائحين ـ بشئون البحر . فقد مارس هؤلاء حريتهم فى تسمية الاسماك على اساس بعض الصفات الجسدية البارزة او العادات التى اتيح لهم ملاحظتها . وواقع الامر ان العلماء يتبعون نفس النهج فى التسمية ، لكنهم يراعون عندما يفعلون الفروق البيولوجية والفسيولوجية الدقيقة بين الانواع والمجموعات وهو مالا يملك صنعه غير المتخصصين .

تسميات متعددة ومزيد من الارتباك

ومن الطبيعى ان الاسماء التى توصل اليها هؤلاء كانت سهلة ، مجردة من التعقيد والغموض اللذين يميزان الاسماء العلمية . ولهذا انتشرت بسرعة ، وشقت طريقها الى الكتب العلمية المبسطة ، والمقالات الصحفية ، رغم عدم دقتها فى اغلب الاحيان ، والارتباك الناشىء عن اختلاف لغات مبتكريها .

هكذا تحولت سمكة « البهار » فى الكتابات العربية من :

Lutjanus Bohar

الى Two-Spot Snapper اى « النهاش ذى النقطتين » . وما لبث الاسم الجديد ان شق طريقه الى الكتابات العربية المترجمة بسبب عدم وجود ذلك المرجع الشامل الذى يمكن الاعتماد عليه .

ونالت اسماك البحر الأحمر اكبر نصيب من هذه التسميات العشوائية ، لما تتميز به من الوان صارخة وانمطة زخرفية جذابة . فاطلق اسم « الببغاء » على عدة انواع من الاسماك التى تاكل المرجان و تشبه الطائر المعروف فى الوانها واشكالها .

كما اطلق اسم « الملائكية » على عدة انواع تنتمى الى اربع عائلات مختلفة ، لا يجمع بينها سوى الملامح الوادعة لرؤوسها وحدث نفس الشىء بالنسبة لأنواع عديدة اخرى من الأسماك التى تتميز بالوانها الصارخة وبالتكوين المفلطح المستدير لاجسادها ، اذ اصبحت تعرف جميعا باسم « سمكة الفراشة » . ونالت انواع اخرى متباينة اسما مشتركا هو « الزناد » لانها تشترك فى امتلاك شوكتين على الظهر تعملان بنفس الطريقة التى يعمل بها جهاز التامين فى البندقية .

وتعددت التسميات الشائعة بالنسبة للسمكة الواحدة فى بعض الاحيان كما فى حالة سمكة « الجنج » الجميلة السامة التى اكسبتها زعانفها المتعددة وشرائطها البديعة اسماء التنين والأسد والديك الرومى وزبرا .

وزاد من تعقيد الأمر بالنسبة لى ، ان النماذج المعروضة من احياء البحر الأحمر فى متحفى الغردقة والاسكندرية ، تحمل الاسماء العربية المحلية فقط او الاسماء العلمية اللاتينية وحدها ، أو لا تحمل اية اسماء على الاطلاق !

وبالاضافة الى هذا فان المراجع العربية المساعدة تكاد معدومة ، وما وقعت عليه اما كان متخصصا ذا طابع عام ، او كتب لغير المتخصصين فاقتصر على استخدام التسميات الشائعة فى الكتب الأجنبية حينا لأنه اصلا لم يحفل بمعالجة البيئة المحليـة او اكتفى باستخدام الاسـماء المتداولة دون ان يفرق بين ما هو دارج منها وما هو فصيح مستقر فى الدراسات الاكاديمية ، حينا اخر .

وممـا زاد الطين بلة ، ان بعض المترجمين يقوم باجتهادات عشوائيـة تتمخض عن مزيد من الاسماء الجديدة .



رائعة البحر الاحمر .. صورة مقربة للشعب المرجانية الناعمة ذات اللونين الاحمر والبرتقالى

محاولات رائدة ومتباينة

وقد اطلعت على ثلاث محاولات رائدة متباينة لحصر احياء المياه العربية بصورة متكاملة . واولى هذه المحاولات تقتصر على اسماك الانهار فى المغرب ، وقام بها معهد الدراسات والابحاث للتعريب بالتعاون مع ادارة المياه والغابات والمعهد العلمى الشريف ومعهد الصيد البحرى . ونشرت سنة ١٩٧٥ بالرباط بعنوان : « وحيش المغرب : اسماك المياه العذبة المغربية » ، متضمنة وصفا لكل عينة ومميزاتهـا الرئيسية ثم اسمها بالفرنسية والانجليزية والعربية الفصحى بالاضافة الى الأسماء المحلية عربية وبربرية .

والمحاولة الثانية خاصة بالبحر الأحمر ، وجرت فى اطار مشروع سواكن الثانى الذى قامت به وحدة الابحاث السودانية التابعة لكلية الاداب بجامعة الخرطوم ونشرت عام ١٩٧٠ بعنوان

Fauna of the Red Sea By: C. Amirthalingam والدراسة عبارة عن حصر تصنيفى مقتضب على استخدام الاسماء اللاتينية .

اما المحاولة الثالثة فقامت بها شركة ارامكو للبترول فى الظهران ، لتوصيف البيئات البحرية المختلفة فى منطقة الخليج العربى . وقد نشرت نتائج هذه المحاولة عام ١٩٧٧ تحت عنوان

Biotopes of the Western Arabian Gulf



باقة من المرجان الأبيض تشبه ازهار الديزى

رحلــــــة الحياة والموت في بحـــر ملون

وتلجا هذه الدراسة عند تسميةالاحياء المائية فى الخليج الى الأسماء العلمية اللاتينية ومقابلاتها الشائعة بالانجليزية فى بعض الاحيان .

ومما يبعث على الاسى الا ينشر هــذا المرجع الهام باللغة العربية . وان تعجز المواهب والامكانات العربية عن وضع مرجع مماثل عن البحر الأحمر ، رغم مرور اكثر من قرنين على المحــاولة الرائــــدة للعالم الفنلندى فورسكال . ورغم ظهور اجيال من العلماء العرب فى هذا الميدان .

وكان فى وسع الكتاب الذى اصدرته باللغة العربية المؤسسة المصرية العامة للثروة المائية فى الستينات بعنــــوان « مصايد البحر الاحمر » للدكتـــورين عبد الرحمن الخولى ومحمد أحمد عيسوى ان يسد هذا الفراغ ، لولا انه يقتصر على الأسماك والرخويات الاقتصادية ، وان التصنيف الذى اتبعه يثير اعتراضات عديدة من جانب المتخصصين .

ولا ينفى ذلك وجود عدد من الدراسات المستفيضة لمجموعات معينة من اسماك البحر الاحمر وحيواناته المرجانيـــــة والرخوية . كانت مصدر عون كبير لى وفى مقدمتها دراسة عن « الاسماك المغفوفة الفكين » اعدها الدكتور حامد جوهر بالتعاون مع العالمة الامريكية يوجينى كلارك ونشرت بالعدد الثامن من « نشرة محطة الاحياء البحرية بالغردقة » سنة ١٩٥٣ . بالاضافة الى الدراسات المستفيضة الأخرى للدكتور جوهر وتلامذته حول الحيوانات المرجانية والتى نشرت بهذه النشرة .

واغلب هذه الدراســـــات باللغـــــة الانجليزية ، لكنها ارفقت بملخصات وافية باللغة العربية . وفى الحالتين ذكرت المترادفات الشائعة ، الأجنبية والمحلية ، للاسماء اللاتينية .

والواقع ان نشرة محطة الغردقة التى صدر أول عدد منها عام ١٩٣٨ ، حاملا نتائج اول رحلة علمية مصرية لاستكشاف البحر الأحمر على الباخرة الشــــــهيرة « مباحث » سنة ١٩٣٤ ، اشتركت بها المجموعة الرائدة من شباب العلماء وبينهم « الماجستر حامد جوهر افندي » و « الماجستر عبد الحليم نصر افندى » ، تحت اشراف العالم الانجليزى كروسلاند ، تعتبر سجلا قيما للمجهودات الوطنية الاولى فى علوم البحار ، ولاجيال العلماء التى تتابعت عليه ، والتغيرات التى طرأت على البلاد نفسها وعلى اهداف البحث العلمى .

ومن الطبيعى ان امتـــــد اثر هــذه التغيرات الى « اسم » الجهة المصدرة للنشرة . فبينما صدرت الاعداد الأولى عن « محطة الأحياء بالغردقة التابعة لجامعة فؤاد الأول » . فان الاعـــــداد الأخيرة الصادرة فى أواخر السبعينات تحمل اسم « معهد علوم البحار والمصايد التابع لاكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا » ، الذى تتبعه محطات الغردقة والسويس والاسكندرية .

وللاسف فان الابهة التى ينطق بها اللقب الأخير ، لا تنطبق على ما طالعنى من تخلف واهمال عندما سعيت الى محطة الغردقة فى صيف عام ١٩٨٠ ، لرؤية مجموعتها من الأسماك والأصداف . التى بدا تكوينها على يد الدكتور جوهر فى منتصف الثلاثينيات .

وكانت زيارتى للمحطة . التى يطلق عليهاالاهالى اسم « محطة ابو دقن » ــ نسبة الى لحية الدكتور جوهر الشهيرة ــ قبل سنة من احتفالها بمرور نصف قرن على انشائها . وقد خرجت بانطباع اسوا من زياراتى المتعددة للمكتبة والمتحف الملحقين بمحطة الاسكندرية .

وتطلب الأمر شهورا طويلة من المقارنة بين المراجع المختلفة ، من اجل تمييز بعض انواع الاسماك والمرجانيات والاحياء الأخرى ، وتجميع التفاصيل اللازمة عن حياتها وعاداتها . وتلقيت عونا كبيرا فى هذا الصدد من مجلدين بديعين ، يتالفان اساسا من صور فوتوغرافيـــــة ملــــونة وبياناتها .

والمجلد الاول بعنوان Colourful Saudia Red Sea يتالف من ١٢٩ صورة

ملونة جيدة للانواع المختلفة من الأحياء المائية المتوفرة فى الجزء السعودى من البحر الأحمر . واشترك فى اعداده مصور المانى يدير مركز الغوص فى جدة وعالم أحياء يعمل فى برنامج تنمية المصـــايد السعودية . ولا تحمل النسخة التى حصلت عليها اشارة الى تاريخ النشر أو اسم الناشر . وفى اعتقادى أنه نشر فى السبعينات بواسطة الحكومة السعودية .

اما المجلد الثانى فبعنوان Coral Gardens ويتالف من ٩٦ صورة فنية بديعة ، التقطتها تحت الماء احدى المصورات العظيمات لعصرنا وهى الالمانية Leni Riefenstahl بعد ان تعلمت الغوص خصيصا فى سن الواحدة والسبعين !

وتغطى صور المجلد المذكور الوان الحياة فى الشعاب المرجانية لثلاث مناطق مختلفة هى المياه السودانية من البحر الأحمر ، الجزء الكينى والتنزانى من المحيط الهندى ، والبحر الكاريبى . وقام بتحرير الكتاب اثنان من علماء الأحياء الالمان وصدر لأول مرة بالالمانية عام ١٩٧٨ ثم ترجم الى الانجليزية .

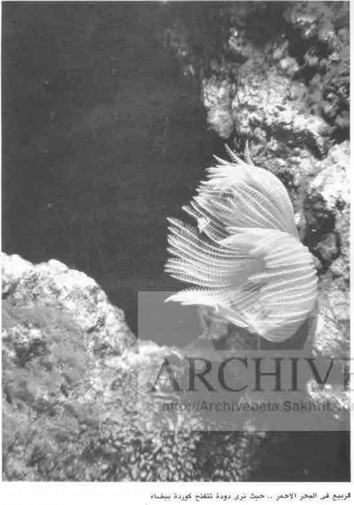
الأسماء مرة اخرى !

وخيل الى اخيرا انى قد تغلبت على مشكلة الاسماء ، لكنها لم تلبث ان برزت لى من جديد عندما بدأت مرحلة الكتابة .

فأى الاسماء أستخدم ؟ الاسم العلمى اللاتينى ، أم الاسم الشائع فى المراجع الأجنبية والمراجعات الصحفية والذى يمكن ان يكون ذا جاذبية للقارىء ، خاصة وانى لا أكتب لمتخصصين . أو أقتصر على الاسم العربى المتداول فى الأسواق وفى حياة الناس اليومية حتى ولو كان محدود الانتشار ببيئته الضيقة ، ويفتقـــــد الجاذبية ؟ وفى هذه الحالة يتعين على ان اقول « المشيط » بدلا من « الفراشـــة » ، و « الحدية » و « الحريد » بدلا من « الببغاء » ، وهكذا .

وكان الاستاذ الدكتور حامد جوهر هو الذى حسم ترددى عندما سعيت اليه فى ربيع ١٩٨١ فى شقته المطلة على النيل من فوق ٢٧ طابقا ، استرشد برأيه . فلمـــاذا لا ندعوه بعلى أو أى اسم غير اسمه ؟ » .

والواقع انه مما لا يتفق مع المنطق ان نتحدث عن السمكة المعروفة فى البحر الأحمر باسم سمكة « العزازى » بالاســـم الذى يطلق عليها فى الكتب الأجنبيـــة ـ مهما كانت طرافته ـ وهو « ســمكة بيكاسو » . أو ندعو سمكة القرش المعروفة



الربيع فى البحر الاحمر .. حيث نرى دودة تتفتح كوردة بيضاء

بالقرنة » ، « راس المطرقة » أو « الشاكوش » ، كما فعل الدكتور فيليب رفلة فى كتـــابه « جغرافية المحيطات والبحار » .

ولن يخلو الامر من المشاكل . فبعض الأحياء أسماء متباينة من مكان لآخر مثل سمكة الكشر التى تعرف فى مياه جدة باللوطى ـ وهو نفس الاسم الذى عمدها به فورسكال ـ بسبب الوانها الساطعة وسلوكها عندما تعلق بالشص ، بينما يطلق عليها أهالى الشاطىء المصرى المقابل اسما عكسيا تماما هو « كشر شريف » !

لكن كافة المشاكل يمكن ان تحـــل اذا ما توفر الحصر الشامل باللغة العربية على النهج الذى حققته المغرب بالنسبة لأسماك الأنهار .

وهى مهمة عاجلة يجب ان تتصدى لها على الفور الدول العربية الواقعة على البحر الأحمر ، والهيئات المعنية فى الجامعة العربية واليونسكو .

كى لا تنقرض هذه الثروات النادرة !

ويتصل بهذه المهمة مهمة اخرى لا تقل اهمية وهى حماية احياء البحر الأحمر من الأخطار التى تتهددها .

وهى ـ أيضا ـ مهمة عاجلة .

ووجه العجلة فى الأمر ان هذه الأحياء تمثل ثروة علمية واقتصادية بالغة الأهمية وانها مهددة الآن بالضياع والانقراض .

فالأحياء التي تسكن مياه البحر الأحمر تمثل كافة درجات سلم التطور الحيواني ، منذ بدأ قبل مئات الملايين من السنين ، رغم ان البحر نفسه لم يبرز الى الوجود الا منذ ٥٠ مليون سنة فقط ، عندما انفصلت الكتلة الافريقية عن الجزيرة العربية .

وعلى مدى ملايين السنين تراكمت على جانبيه الهياكل الجيرية لعدد من الحيوانات ـ يتصدرها المرجان ـ التي تتمتع بالقدرة على امتصاص أملاح الكالسيوم من الماء ، واعادة افرازها من جديد في هياكل متنوعة السمك والشكل تحيط بها نفسها .

ومن هذه التراكمات تكونت جدران هائلة سميكة هي المعروفة بالشعاب المرجانية ، اوت الى ثناياها اعداد غفيرة من الاف الانواع من الكائنات .

وأمثال هذه الشعاب توجد في أماكن كثيرة من عالمنا : حول استراليا ، وفي البحر الكاريبي . وعلى شواطيء المحيط الهندي ، بل والبحر الابيض المتوسط .

لكن الطبيعة خصت البحر الأحمر وشاطئيه اللذين يمتدان اكثر من الفي كيلومتر ، بعدد من اقدم هذه الشعاب واكثرها تنوعا في الألوان واشكال الحياة وذلك بسبب ما تتمتع به مياهه من خصائص فريدة على راسها الدفء وثبات درجة الحرارة ، وزيادة درجة الملوحة وانعدام الأمطار .

بل إن جامعة ميريلاند الامريكية اعلنت اخيرا ان منطقة راس محمد ـ على الشاطيء المصري ـ تضم اندر مجموعة من الشعاب المرجانية في العالم كله !

ومع ذلك فان شعاب راس محمد وبقية شواطيء البحر الاحمر بل والخليج العربي ايضا تتعرض للدمار اليومي بسبب عمليات الصيد غير المشروعة التي قضت ـ بالفعل ـ على شعاب منطقة الغردقة .

واليابان لا تملك شعابا مرجانية يعتد بها لكنها حظرت الصيد في ستين منطقة حول شواطئها تنتشر فيها هذه الشعاب ، وخصصت هذه المناطق لهواة الغوص وعلماء البحار .

اما البحر الاحمر والخليج العربي فلا توجد بهما منطقة واحدة من هذا النوع .

على ان الخطر الأكبر على الشعاب ياتي من مصدر اخر .

فمحور الحياة في الشعاب هو حيوان ضئيل للغاية ، ولا يزيد قطره احيانا عن ملليمترات قليلة ، ولا يتجاوز ارتفاعه عدة سنتيمترات ، ويتواجد غالبا في مستعمرات من عدة مئات او الاف ، هو البوليب المرجاني الذي يقوم بالدور الرئيسي في بناء الشعاب بفضل افرازاته الجيرية .

وهذا الحيوان الجميل الذي يتجلى في الوان زاهية ، شديد الضعف والحساسية بحيث تكفي لمسة من انسان او حفنة من رمال للقضاء عليه .

ولنا ان نتصور ما يمكن ان تحدثه في هذا الحيوان النفايات التي تتخلص منها السفن في عرض البحر ، او التي يلقى بها سكان الشواطيء ، من قاذورات وفوارغ وزجاج واكياس بلاستيكية .

والاخطر من ذلك هو البترول الذي يتسرب من الناقلات او مناطق الانتاج .

وقد اثبتت الابحاث التي اجرتها محطة السويس لعلوم البحار في السنوات الاخيرة ارتفاع درجة تركيز البترول الذائب في مياه البحر الاحمر ، وخاصة في المناطق التي توجد بها ابار منتجة . كما اثبتت خطورة ذلك على الاسماك والاحياء المائية اذ تؤدي الى وفاة نسبة تتراوح بين ٤٠ و ١٠٠ في المائة من الاحياء الدقيقة وخاصة البيض ، كما تؤدي في النهاية الى دمار الشعاب المرجانية النادرة .

وتؤكد هذه الابحاث ان بعض انواع الرخويات والمحار تمتص جزيئات عضوية من المواد البترولية ، فتتركز في اجسادها هذه المادة مع ميكروبات ضارة يمكن ان تكون مصدر خطر للانسان .

ورغم ان العلماء الذين اعدوا كتاب شركة « ارامكو » السابق الاشارة اليه قد وضعوا لانفسهم مهمة دراسة تاثير البترول على البيئات البحرية ، الا انهم تجاهلوا الحديث عن هذه الاضرار ، واكتفوا بتسجيل الاشكال الجديدة من الكائنات المائية التي نمت حول هذه المادة .

والخلاصة ان الوقت قد حان لاتخاذ الاجراءات الكفيلة بالحد من تلوث البيئة على الشواطيء العربية وخاصة شاطيء البحر الأحمر .

في انتظار « اكسفورد » و « كوستو » عربيين !

والغريب ان الدول العربية جميعا دول بحرية ، لكنها لا تكاد تتذكر هذه الحقيقة الا عندما تفكر في منح بعض القواعد الحربية لدول اخرى !

حقا انه توجد بعض مشروعات للصيد او السياحة هنا وهناك ، لكن هذه المشروعات نفسها لا تتناسب مع حجم الامكانيات الهائلة للمياه العربية .

وفيما يتعلق بالبحر الأحمر ، فان ثرواته الضخمة من الاسماك وزيوتها والاسفنج والقشريات والاصداف ومحار اللؤلؤ والنباتات المائية والطحالب والاملاح المعدنية لم تستغل بعد كما يجب .

والأدهى من ذلك ان المواطن العربي العادي لا يكاد يعرف شيئا عن بيئته البحرية لان احدا لم يعن بتعريفه بها .

وبالمقابل فان المواطن في الدول الغربية مثلا تقدم له كافة المعلومات عن بيئته الطبيعية ، في المراحل العمرية المختلفة ، بواسطة الدولة والمؤسسات الخاصة .

ومن النماذج الفريدة التي اطلعت عليها في هذا الصدد ، كتاب ينتمي الى نوع الكتب العلمية المبسطة صدر سنة ١٩٧٦ عن دار Hamlyn الانجليزية ، اسمه Underwater Life كتب مادته والتقط صوره عالم احياء انجليزي هوى التصوير السينمائي لعوالم الطبيعة والحيوان ويدعى Peter Parks .

ويقوم الكتاب برحلة استكشاف من داخل قطرة الماء الى اعماق المحيط ، بواسطة قرابة ٣٠٠ صورة ملونة بديعة ، وسرد مشوق لاكثر الحقائق والظواهر العلمية تعقيدا . وهو احد المجلدات في سلسلة بعنوان

The World You Never See

تركز على تلك الجوانب من الطبيعة التي لم يسبق رؤيتها الا نادرا ، وربما لم يسبق تصويرها على الاطلاق . وقد اعدته مؤسسة فريدة بدورها هي مؤسسة Oxford Scientific Films التي تخصصت في انتاج الافلام عن الطبيعة ، ووصفتها التايمس اللندنية بانها : « اكثر الوحدات السينمائية في مجال علم الاحياء تقدما من الناحية التكنيكية في العالم » .



حدائق البحر الاحمر الغناء مليئة بالشعب المرجانية البرتقالية

وتستغل المؤسسة المذكورة المـــــادة العلمية القلمية المجمعة بصورة ناجحة ، سواء على صعيد نشر المعرفـــــة على مستويات مختلفة ، او على صعيد الربحية ومضاعفة العائد المادى لنشاطها .

فالى جانب ٥٠ برنامج تليفزيونى ومائة فيلم تعليمى ، حتى الان ، وسلسلة المجلدات الثمينة الصـــــادرة عن دار Hamlyn ، والتى تخاطب البالغين من القراء والمشاهدين ، تقدم المؤسسة نفس المادة مجمعة بطريقة مختلفة فى سلسلة اخرى تخاطب الشبان والفتيات بعنوان Nautre in Action تصدر عن دار Purnell الانجليزية فى مجلدات صغيرة يتناول كل منها احدى ظواهر الحياة النباتية والحيوانيـــــة (التكاثر ، الحياة الاجتماعية ، النمو ، البحث عن الغذاء) .

وتعود لتقدم نفس المادة بشكل مبسط للغاية للاطفال الصغار فى سلسلة اخرى بعنوان Nature's Way صادر عن دار André Deutsch ، يقتصر كل مجلد منها على احدى الظواهر الشائعة فى البيئة مثل دورة حياة الفراشة ، والنحل والعسل ، وحياة سمكة نهرية .

وفى نفس الوقت تبيع المؤسسة لمن يشاء شرائح ملونة للقطات الفيلمية الاصلية .

ويعجب المرء ـ امام نموذج كهذا ـ كيف ان الاموال والمواهب العربية تعجز عن انشاء مؤسسة مماثلة ، ولو بدافع الربح الخالص .

ومثل هذه المؤسسة يمكن ان تقوم على اكتاف وحدة سينمائية صغيرة تتالف من مصور وعالم احياء ، ولدينا منهما المئات ، ويمكن مضاعفة عدد الوحدات بحيث تتخصص كل واحدة فى جانب من البيئة : البحار ، والانهار ، الصحارى ، الوديان ، الغابات ، الغلاف الجوى .

وثمة نموذج اخر مثير يتمثل فى غواص فرنسى عجوز اسمه Jacques-Yves Cousteau

وقد تعلم كوستو (ولد سنة ١٩١٠) الغوص وهـــو فى العاشرة من عمـــــره وفيما بعد استطاع ان يستغل غرامه بالبحر فى مجموعة متشعبة من النشاطات المفيدة والمربحة فى الوقت نفسه .

فقد كون فريقا لابحاث الاعماق فى طولون ، وتوصل لنتائج هامة فى مجال التنقيب عن الاثار المدفونة فى اعماق البحار ، واخترع جهاز الغوص المائى المعروف باسم الرئة البحرية سنة ١٩٤٣ الذى احدث ثورة فى مجال البحوث البحرية ، وقاد سفينة Calypso للاستكشافات البحرية منذ عام ١٩٥٠ ، وابتكر طريقة لاستخدام التليفزيون تحت الماء ، ثم كتب وانتج عدة افلام عن اعماق المحيطات . وسجل مشاهداته وتجاربه فى عدة مجلدات .

ورغم ان كوستو لا يمل فى كتبه الحديث عن نفسه والدعاية للاجهزة التى ابتكرها ، فانها كانت مصدر عون كبير لى وخاصة الكتاب الذى خصصه للشعاب المرجانية فى البحر الاحمر والمحيط الهندى .

وفى الثانية والسبعين من عمره ، يدير كوستو الان متحف علوم الاحياء المائية بموناكو (منذ سنة ١٩٥٧) ويراس جمعية دولية تحمل اسمه . وهو يقوم هذه الايام ـ رغم ماساة فقدانه لابنه فيليب الذى كان ساعده الايمن فى كل اعماله ـ بحملة لجمع عدة ملايين من الدولارات من اجل انشاء مركز جديد لابحاث المحيطات فى الولايات المتحدة .

ولست اعرف كم يبلغ طول الشواطىء البحرية العربية .

لكن المؤكد انها يمكن ان تتيح مجالا كافيا لالاف الغواصين العرب .

فما اجدرنا بعربى مثل كوستو !

وما اشد حاجتنا الى مؤسسة عربية كاكسفورد !

صنع الله ابراهيم

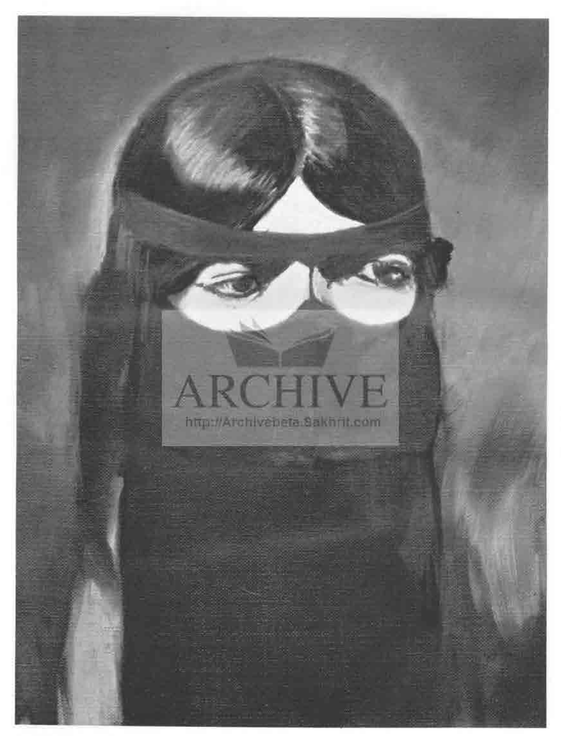


عندما تنزل الكتلة : للفنان سلمان المالكى

ألوان البيئة والتراث
في لوحات الفنانين القطريين

بقلم : حسن الملا

يأتى المعرض الثانى للجمعية القطرية التشكيلية مكملا للمعارض السابقة التى أقامها الفنانون التشكيليون القطريون ، تأكيداً لاستمرار الحركة التشكيلية فى قطر التى نشطت منذ البداية نتيجة لاهتمام الدولة ودعمها المادى والمعنوى للحركة الفنية حتى تشق طريقها الذى يرضى طموح الفنانين ويحقق الأهداف الرامية إلى ابراز الوجه الفنى المتألق فى دولة قطر .



بدوية : عيسى الغانم

المحاولات الابداعية

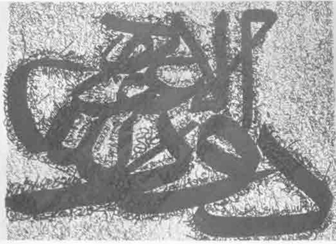
وقد افتتح هذا المعرض سعادة الاستاذ عيسى غانم الكواري وزير الاعلام ، وحضر حفل الافتتاح عدد كبير من المسئولين وأعضاء البعثات الدبلوماسية والمهتمون بالفنون التشكيلية ..

والواقع ان اهتمام الدولة بالفنان القطري يأخذ اكثر من اتجاه ، فهناك المراسم الحرة التي تفتح ابوابها للفنانين المحترفين والهواة على حد سواء ، وايضا لكل الراغبين في تنمية مواهبهم الفنية . وهناك أيام محددة للمرأة في المرسم الحر لتنمية هواياتها الفنية واكتساب الخبرات الفنية اللازمة ..

وبخلاف المراسم الحرة ، نجد ان كافة الأبواب مفتوحة امام الشباب القطري لدراسة الفن في الخارج ، ولاقامة المعارض الفنية في الداخل والخارج من اجل تحقيق هدف التعرف على مصادر الابداع في المنطقة ..

والملاحظ ان المحاولات الابداعية عند الفنان القطري تجدها دائما تلقائية وذاتية فهو يستلهم موضوعات لوحاته والوانها وبناءها الفني من واقع المشاهدات البيئية التي يحياها ومن الحرف التقليدية التي وضـع فيها الأجداد كافة فنونهم البسـيطة الرائعة ، وهو لا يميل في معالجته للموضوع إلى أي افتعال ، وتشعر دائما بتعمقه الوجداني وميله إلى تقديم كافة التفاصيل عن إنسان المنطقة والطبيعة والعادات والتقاليد الأصيلة بدون اية مبالغة او تزويق او ميل إلى الغربة والبعد عن المحلية.

ولعل هذا الأسلوب ـ الذي وضعه الفنان القطري نصب عينيه ـ هو احد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى ترسيخ المفاهيم التراثية في اعمال الفنانين التشكيليين القطريين .. وان هناك عددا قليلا من الفنانين القطريين قد انتهجوا تيارات التجديد كمعالجة شكلية فقط ، في نفس الوقت الذي جاءت فيه موضوعات لوحاتهم معتمدة على التراث ، ورأينا في ألوانهم ذلك الزخم الذي تزخر به الوان البيئة والذي يميز الفنان القطري عن غيره في معظم الأعمال التي يقدمها :



خط عربي : يوسف احمد



انطلاقة : فرج الدهام

الدار الحزينة : جاسم زيني

اعماق الخليج : ماجد هلال



منظر بحرى فى قطر : احمد زينى

الفنانون المشاركون

وقد شارك في المعرض الثاني للجمعية القطرية عدد من اهم الفنانين القطريين ، في مقدمتهم جاسم زيني وهو من مواليد عام ١٩٤٢ ، ودرس الفن في بغداد ، وكان ومازال التراث والتقاليد والعادات القطرية هي محوره الذي يرتكز عليها انتاجه ، فهو يعالج باستمرار البيئة باسلوب اقرب إلى التاثيرية المتحررة كما راينا في لوحته « للنساء فقط » التي شارك بها في المعرض ضمن أربع لوحات .. أما لوحاته الثلاث الاخرى فقد لجا فيها الى التكعيب والرمزية وقد بدا ذلك واضحا في لوحة « الدار الحزينة » التي ادخل على موضوعها بعض الحروف العربية بغرض خدمة الفكرة ، وايضا في لوحة « من وحي السماء » التي استخدم فيها الأدوات الشعبية كالخيش ، وكان من قبل قد استخدم المسامير والقماش في بعض لوحاته حتى يعمق صدق البيئة التي يعبر عنها ..

البراءة .. والخط العربي

وإلى جوار الفنان جاسم زيني شارك هؤلاء الفنانون في المعرض الثاني للجمعية القطرية للفنون التشكيلية :

● علي الشريف .. وهو فنان متمكن ، يهتم بالطبيعة ، ويضيف إليها من احساسه والوانه المتميزة ، ويميل احيانا إلى التاثيرية كما في لوحاته « بورتريه » التي قدم فيها طفلة صغيرة تشعر وانت تراها بالعالم الخاص البريء للطفولة التي لم تواجه بعد مشاكل الحياة المستعصية .. وقد اشترك الفنان في المعرض بهذه اللوحة وثلاث لوحات اخرى هى : منظر من الصحراء ، في الخامسة عشرة ، منظر في الليل ..

● يوسف الشريف .. الذي نلاحظ من تتبع أعماله مدى التطور الذي حققه في لوحاته الاخيرة ، وهذا نتيجةجهوده الذاتية التي لا تتوقف في معايشة الفنانين والبحث في الفنون العالمية ومحاولة الدراسة على الطبيعة وفي الواقع حتى يعطي لفنه الاحساس الصادق .. وقد شارك في المعرض بثلاث لوحات هي : نهضة قطر ، مجلس عربي ، من البراري ..

● يوسف احمد .. وهو فنان اصيل .. له ابحاث في الخط العربي اعطت للوحاته شخصية عربية اسلامية ، واصبح أسلوبه علامة بارزة في مسيرة الفن التشكيلى العربي .. وقد شارك في هذا المعرض بخمسة اعمال جرافيك ..

● فرج دهام .. فنان ملتزم بما يدور حوله من احداث .. مرتبط ارتباطا وثيقا بقضايا المجتمع القطري بوجه خاص والمجتمع العربي بوجه عام والقضايا المصيرية الراهنة .. وقد اشترك الفنان بثلاث لوحات زيتية هي : « المخاض » التي استلهم موضوعها من الوضع الراهن لأمتنا العربية ، ولوحة « طفولة » التي قدم لنا فيها طفلة مشردة شوهتها الحرب .. ولوحة « انتماء » لرجل ملتصق بارض وطنه ولا

على شاطىء الدوحة : حسن الملا

طبيعة صامتة : محمد علي



من البراري : يوسف الشريف













جاسم زيني — يوسف احمد — محمد علي — يوسف الشريف









احمد زيني — حسن الملا — علي الشريف — عيسى الغانم



فرج الدهام — ماجد هلال

ألوان البيئة والتراث في لوحات الفنانين القطريين

يرضى بارض غير ارضه ، وفي هذه اللوحة تستطيع ان تتعرف على قضية الانسان الفلسطيني ..

● محمد علي .. وهو من الفنانين الذين برزوا في كافة المعارض التي شاركوا فيها .. وفي هذا المعرض اشترك بلوحة واحدة هي « طبيعة صامته » والتزم باسلوبه في معالجة موضوعات البيئة ذات الطابع التاثيري ..

● عيسى ماجد الغانم .. فنان له رؤيته الخاصة في تشكيل ما يراه أمامه كالطبيعة الصامتة .. وفي لوحته « من وهج الصحراء» التي رسمها لامراة من البادية ترتدي غطاء الوجه المشهور باسم «البرقع»، ترى امكانياته الفنية والجمالية وعدم تردده في استخدام الالوان التي عبرت عن الموضوع في شاعرية مرهفة ..

● ماجد هلال .. اشترك لاول مرة باربع لوحات زيتية ، وهو ذو موهبة حقيقية في التسجيل الطبيعي ، ويسيطر على الالوان بمقدرة في التنويع والتكوين الشفاف الهادىء الذي تلحظه على وجه الخصوص في لوحة « اعماق الخليج » التي حاول فيها أن يمزج بين الأسلوب الرمزي والطبيعي ..

● سلمان المالكي .. اشترك في المعرض بلوحتين هما : عندما تنزف الكتلة السوداء ووجوه بلا ملامح .. وهو يميل في لوحاته إلى الاسلوب الساخر (الكاريكاتير) وهو نفس الأسلوب الذي تعودناه في لوحاته في الصحف القطرية ..

● أحمد زيني .. اشترك لأول مرة بلوحات تمثل محاولات على الطريق ..

● وضيفة سلطان .. اشتركت بلوحة واحدة فقط ، استخدمت فيها « الباستيل » و « الجواش » وكانت لوحتها تجمع بين المراة القطرية وارتباطها بالبيئة وتاريخ الاجداد ..

● حسن الملا .. كاتب المقال .. الذي اشترك بست لوحات .. ويميل إلى أسلوب ما بعد التاثير .. ويعالج موضوعات البيئة بنفس الوانها في الواقع ..

الفنانون الغائبون

وبخلاف هؤلاء الفنانين ، نلاحظ ان هناك اسماء غابت عن المعرض ، رغم دورها البارز في المعارض السابقة والحركة التشكيلية القطرية منذ نشاتها ، مثل محمد الكواري وسلطان السليطي وسلطان الغانم وسيف الكواري وبدرية جاسم .. ونامل ان نراهم في معارضنا القادمة حتى نواصل جميعا المسيرة الفنية التي بدأت منذ عشر سنوات بكل جهد ونشاط .. ونامل – ايضا – ان تعود فكرة معرض الاصدقاء الثلاثة ومعرض الهواء الطلق وغير ذلك من المعارض الجماعية والشخصية التي تربط الفنان بالجمهور بصورة أوسع وتعمل على ايصال رسالة الفن إلى كل مواطن في البلاد.

حسن الملا



كانوا نجوما ساطعة فى سماء النجاح والشهرة والثروة ... ولكن هذه النجوم انطفأت بسرعة بعد حياة قصيرة ... وعلى هذه الصفحات قصة ستة من أصحاب هذا المجد اللامع والانطفاء السريع ... فى الأدب والمسرح والسينما والغناء .





لقطتان لمارلين مونرو مع زوجها الكاتب المسرحى آرثر ميللر .. ثم مع الممثل المعروف « إيف مونتان » الذى مثلت معه فيلمها قبل الاخير .

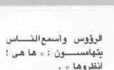
مارلين مونرو ١٩٢٦ - ١٩٦٢

« لو تذكر الناس اننى انسانة أيضا ، لتغيرت نهاية القصة » .

اطلق عليها « رمز الحب » فى عصر الذرة » و « رمز الاغراء » و « اسطورة القرن » او ببساطة « م . م » . مثلت حوالى ثلاثين فيلما هى حصيلة عمرها الفنى البالغ ثلاثة عشر عاما . وبرغم ان معظم افلامها كانت من الطراز العادى ، إلا ان قوة سحرها جعلت اعمالها اكبر افلام الشباك فى الخمسينات . اما موهبتها ومقدراتها التمثيلية فلم تجد من يتحدث عنها لان الاغراء الذى كانت تتربع عليه اغنى الناس عن ذلك . كان ذلك هو الفصل الأول من عذابها . الفصل الثانى هو خوفها من ان يذبل جمالها الاسطورى ، وبين طرفى تلك المعادلة ادمنت الكحول وتعاطت المهدئات وعانت طول السهر ثم قتلت نفسها .

نورما جان بيكر ، التى عرفها العالم فيما بعد باسم مارلين مونرو ، ولدت فى الاول من يونيو ١٩٢٦ بمدينة لوس انجلوس ، الابنة غير الشرعية لغلاديس بيكر و س . ستانلى ترعرعت نورما فى ملاجىء الايتام بعدما ادخلت امها مصحة عقلية وعجز والدها عن حمل عبء تربيتها .

« احلم بالجمال ، احلم بنفسى ابعثر السحر الوانا شتى ، ادير الرؤوس واسمع الناس يتهامسون : « ها هى ! انظروها » .



تزوجت مارلين فى سن السادسة عشر من جيم دورتى ، بحار ايرلندى فى الثانية والعشرين من عمره . وفى احدى اجازاتهما إلتقت بمصور فوتوغرافى اقنعها بالعمل لمجلته كموديل وعلمها فن المكياج فصبغت شعرها لونا اشقر ذهبيا وسرعان ما ظهرت صورها على خمس مجلات فنية كبرى . ثم بدا اسمها يلمع قليلا فقليلا ، وبعد عامين من زواجها حصلت نورما بيكر على الطلاق من الايرلندى الوسيم . وفى عام ١٩٤٦ استطاعت ان تدخل ستوديوهات « فوكس للقرن العشرين » باجر قدره ٧٥ دولارا فى الشهر ثم غيرت اسمها إلى مارلين مونرو

« انا امراتان ، إحداهما نورما جان بيكر التى ترعرعت فى ملجا اليتامى ولا تنتمى لاحد ، والثانية مارلين مونرو التى لا اعلم عنها شيئا غير انها تنتمى الى البحر والسماء والعالم اجمع » .

بعد القيام بتمثيل ادوار ثانوية فى فيلمين لشركة « فوكس » قررت الادارة فصلها لافتقارها إلى الموهبة ولان وجهها - على حد تعبير الادارة - لم يكن سينمائيا بما يكفى ، وعادت مارلين إلى العمل كموديل . سوى ان جو شينك ، احد عواجيز شركة « فوكس » هام بحبها واستخدم نفوذه ليجد لها عملا بشركة « كولومبيا » التى قررت بعد ستة اشهر فصلها لتعود مرة اخرى الى الفوتوغرافيا حتى التقت بجونى هايد ، احد ابرز عملاء ستوديوهات هوليود .

استطاع هايد ان يقنعها باجراء عمليتى تجميل لانفها وفكها وكانت هى اول من دهش للنتائج . اعقب ذلك ان ظهرت فى فيلمى « غابة الاسفلت » و « كل شىء عن حواء » اللذين مهدا الطريق امامها لتوقيع عقد مع شركة « فوكس » بمبلغ ٧٥٠ دولارا فى الاسبوع .

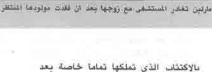
قبل عرض فيلمها الخامس عشر « صراع الليل » وزع المنتج صورة قديمة لمونرو لم تكن فيها « كاملة الاحتشام » مع اعتراف خطى بانها فعلت ذلك « من أجل المال » . حقق « صراع الليل » دخلا خرافيا وطارت مونرو الى سماء الشهرة على جناحى فضيحة .

« كما كافحت طويلا لسبر اغوار السينما ، اكافح الآن لاجد مكانا لنفسى ولموهبتى لاننى لا انوى ان اظل طيلة حياتى سلعة للبيع فى سوق السينما »

وهكذا استطاعت مونرو ان تمنح الحق فى اختيار ما يناسبها من الادوار وان ترفع اجرها الى ١٫٢٠٠ دولار عن الفيلم رغم ان ذلك كلفها ان تتوقف عن العمل فترة من الوقت . اثناء تلك الفترة تزوجت جو دى ماغيو ، المحافظ فى طباعه والذى حاول جهده ان يقنعها باعتزال السينما والتفرغ لمهامها الزوجية فطلقته وقالت - اعتذارا - ان جو تزوج امراة ثمانين بالمائة منها صنعته الدعاية والاضواء .

انتقلت مارلين إلى نيويورك لدراسة التمثيل ، وهناك التقت بالكاتب المسرحى المرموق آرثر ميللر الذى حصل على الطلاق من زوجته ليقترن بمارلين عقب نجاح فيلمها « موقف البص » ثم سافرت مع زوجها الجديد الى لندن لتصوير فيلم « الامير والحسناء » من اخراج لورانس اوليفيه . ولكن دورها لم يعجبها فاصيبت







مارلين تغادر المستشفى مع زوجها بعد ان فقدت مولودها المنتظر

كلبها الصغير الذى وجدوه خارج المنزل عقب وفاتها .

ارتو فى دور « مارا » بمسرحية نابليون

بالاكتئاب الذى تملكها تماما خاصة بعد فشلها فى الانجاب ، وبدات تظهر ميلا الى اعتناق البوذية ، غارقة فى تعاطى الكحول والمهدئات .

« وددت لو اخبرنى احد لماذا لا انام كما يفعل بقية البشر . وحتى عندما ترسلنى المهدئات الى السرير فاننى اغفو صناعيا وليس كما يفعل بقية البشر » .

من بين الافلام التى اصابت فيها مونرو نجاحا ملموسا « البعض يفضلها ساخنة » امام جاك ليمون وتونى كيرتس ، رغم انها ارهقت كل العاملين معها بعدم التزامها بالمواعيد وتسببها فى الغاء التصوير مرارا وتكرارا . بعدها مثلت « وقت للحب » امام الفرنسى إيف مونتان . الفيلم فشل تماما ولكن مونرو استمالت مونتان واصبحت علاقتها به حديث الصحافة الشىء الذى هدد زواجها من ارثر ميللر .

« الغرباء » الذى كتب له السيناريو زوجها ميللر كان اخر فيلم تكمل تصويره . مكانة ميللر المرموقة ادبيا بالاضافة إلى خبرة جون هيوستون المخرج المبدع جعلت الدوائر السينمائية تتوقع نجاحا منقطع النظير للفيلم . ولكن مونرو بتقلبات مزاجها وحالتها العاطفية غير المعتدلة عطلت سير العمل بالفيلم حتى انه عندما اكتمل ، ارتفعت ميزانيته عاليا فوق امكانية الربح .

« صرت عبئا ثقيلا على نفسى وعلى الناس . وصار الناس انفسهم عبئا ثقيلا على . ظلوا ينتظرون ان اقدم لهم المعجزات ثلاث مرات فى اليوم ، ومرة عند اللزوم . قالوا اننى جميلة وحبسونى فى قفص ذهبى لينظروا إلى كلما ازدادت حياتهم قبحا . هل نسوا اننى انسانة مثلهم ؟ » .

عادت مونرو الى نيويورك وهناك اعلنت انفصالها عن ارثر ميللر ودخلت المستشفى لعدة اسابيع ثم قضت عاما باكمله فى عزلة تامة .

وفى ربيع عام ١٩٦٢ انتقلت إلى لوس انجلوس لتتلقى علاجا منتظما من طبيبها النفسانى الخاص . لكن عدم مقدرتها على النوم اتخذ شكلا مرضيا وعادت من جديد الى ادمان المهدئات .

عبثا حاولت مونرو اتمام اخر افلامها « احد ما يجب ان يعطى » . وفى مايو طارت الى نيويورك لتغنى فى عيد ميلاد الرئيس جون كيندى . ومن هناك عادت الى هوليود فى محاولة لمواصلة تصوير الفيلم ولكن حالتها النفسية لم تسمح لها بذلك فرفعت عليها الشركة قضية تعويض لاخلالها بشروط العقد .

مارلين مونرو وجدت ميتة انتحارا بغرفة نومها فى الرابع من اغسطس ١٩٦٢ وجاء فى قرار الطبيب ان سبب وفاتها تسمم حاد نتيجة تناول كميات هائلة من المهدئات .

ارثر شليسينغر :
« لا اعتقد اننى رايت احدا بمثل ذلك الجمال الموهوب ، ان لها سحرا يخترق القلب من حيث يدرى المرء ولا يدرى ولكنها كانت مثل شىء غير حقيقى .. شىء ، ببساطة ، لا يحدث ، كالكلام من تحت الماء » .

أنتونان آرتو
١٨٩٦ - ١٩٤٨

« لا ادمر حياتى اذا مت انتحارا ، بل اعيد صياغتها مرة اخرى داخل ناموس الطبيعة بحيث اننى اعطى الاشياء شكل ارادتى » .

انتونان ارتو ، ممثل ، مخرج ، كاتب درامى ، كاتب مقال ، شاعر ومؤسس « مسرح القسوة » الذى نظّر له فى كتابه « المسرح ونظيره » (صدر عام ١٩٣٨) محدثا به بعد مماته صدى واسعا فى فترة الخمسينات والستينات . الكتاب وضع بصمات واضحة على اعمال ابرز المخرجين الذين تناولوا كتابات المسرحيين العبثيين امثال اوجين يونسكو ، وجان جينيه ، وصمويل بيكيت . ولان افكاره كانت تسبق عصرها كثيرا ولعذابه النفسى النابع من ان فلسفة حياته (وموته) شقا عصا الطاعة على مؤسسات مجتمعه التقليدية ، اعتبر اكثر الفنانين جنونا واودع سجينا بين جدران المصحات العقلية لفترة التسع سنوات الاخيرة من عمره .

ولد انتونان ارتو فى ٤ ديسمبر ١٨٩٦ بمرسيليا ، فرنسا ، اكبر تسعة ابناء عاش منهم ثلاثة فقط . نشا ضعيف البنية واصيب بالالتهاب السحائى فى الخامسة









الفيس بريسلي اثناء زواجه من الفتاة التي التقى بها اثناء رحلته في المانيا .. ثم لقطة له اثناء انهماكه في الغناء .

من عمره الشيء الذى اثر على بنيانه النفسى والعقلى طيلة حياته .

فى سن الرابعة عشر بدأ أرتو كتابة الشعر والقصة القصيرة ونشر اعماله فى جريدة حائطية اسسها بالمدرسة تحت اسم « لوى ديز اتيد » . وفى الثامنة عشر احرق كل اعماله بعد تعرضه لنوبة اكتئاب نفسى عاودته فى سن العشرين مما جعل اسرته ترسله الى مصحة عقلية بسويسرا .

« انتى اعانى لأن العقل والحياة على طرفى نقيض اعانى من العقل العضو والمترجم ورافع العصا امام الحياة كى تدخل فيه قسراً » .

فى بداية العشرينات بدأ أرتو يهتم بالتمثيل والمسرح ونشر فى نفس الوقت اعماله الشعرية فى كتاب . وخلال عمله فى المسرح التقى بجينكا اثاناثيو ممثلة رومانية ناشئة . ونمت بينهما علاقة حب استمرت سبع سنوات بين شد وجذب لاحساسه الخاص بالاحباط رغم انه حقق فى عام ١٩٢٧ نجاحا نسبياً فى عالم السينما عندما ظهر فى فيلمين شهيرين : الأول « نابليون » ومثل فيه دور « مارا » ، والثانى « جان دارك » وقام فيه بدور الراهب « ماثيو » .

ثم عاش ارتو منعزلا ومتنقلا من مكان فقير لاخر اكثر فقراً . معرضا حالته النفسية والجسمانية لمزيد من الخطر . لكنه اثار انتباه جماعة السيرياليين التى كانت تتشكل آنذاك بكتاباته إلى جاك ريفيير والتى نشرتها احدى المجلات الادبية الطليعية .

اندريه بريتون :
« السيريالية هى جوهر الحركة النفسية فى شغلها الآتى ، وبها يتم تحرير الافكار من قيود المعقول والقوالب الجمالية والاخلاقية الجاهزة » .

سرعان ما صار ارتو احد اهم اعلام تلك الحركة التى تزعمها اندريه بريتون وضمت بين صفوفها اسماء معروفة مثل لوى لراغون وبول ايلوار . ولكن حبل الود انقطع سريعا بينه وبينهم ، إذ كان اكثر سريالية من السيريالية نفسها . وفى البيان الذى صدر فيه قرار فصله فى نوفمبر ١٩٢٦ وصف أرتو بانه « غريب الأطوار إلى حد الجنون . العجز احيانا والجبن احيانا اخرى » :

« ان الذى يقف بينى وبين السيرياليين انهم يحبون الحياة بقدر ما احتقرها » .

اعقب ذلك ان اصدر ارتو بيانه الذى ارسى فيه دعائم مسرحه المتميز الغريب « مسرح القسوة » ملهما بمسرحية « الملك اوبو » التى الفها الفريد جيرى وبطلها انسان رأسه يشبه نبات اللفت . اعتبر ارتو ان رسالة المسرحية التى تنتقد الطبقة الوسطى فى المجتمع هى صدمة المشاهد اولا واخيرا .

« نحن بصدد ان يكون للمتفرج اتصال عضوى بما يراه على الخشبة . وعليه ان يعلم ان مسرحنا سيجرى عليه عملية جراحية لن تعرض فقط عقله للخطر ، ولكن ايضا دمه ولحمه . وعليه ان يعرف اننا قادرون على ان نجعله يصرخ من الفزع »

كان المسرح لدى ارتو مكانا للانسان يصرخ فيه الما وغضبا وكراهية بغرض التجرد من طبعه وشكله وبنائه النفسى والاجتماعى . المسرح عنده هو مكمن التجربة ـ الطاعون ـ الحقيقة التى تثير الفزع بغرض التحرر من الحلم الرومانسى بان الحياة والعقل حليفان وفيان .

العام ١٩٣٥ شهد عرض مسرحية « ستشى » ، اول واخر تجربة لمسرح القسوة توقف عرض المسرحية بعد سبعة عشر عرضا ، وعاش ارتو على الديون من اصدقائه القلائل، ثم سافر إلى المكسيك ليحاضر فى جامعتها وليدرس حياة قبائل الهنود . عاد بعدها إلى باريس ومنها الى بروسيل حيث تمت خطبته الى سيسيل شرام . ثم حدث انه كان يلقى محاضرة بجامعة بروسيل بحضور خطيبته ووالديها عندما بدأ فجاة يلقى بالكلام على عواهنه ثم راح يهذى وانتهى ذلك المساء بفسخ خطوبته من سيسيل .

« لقد عشقت جنونه . انظر الى فمه ذى الاركان الغامقة مشدوهة ،واتمنى ان اقبله . لكننى اتراجع بفزع عند مجرد التفكير بذلك لانه يعنى اننى ساطبع قبلتى على شفتى الموت او الجنون » .

فى اغسطس ١٩٣٧ سافر ارتو إلى ايرلندا بدعوى انه ينفذ اوامر المسيح . وهناك طلب اللجوء الى دير اليسوعيين ولكنه منع من دخوله فاخذ يصرخ ويسب ويلعن محطما كل ما وقع بيده حتى القى عليه القبض واعيد الى فرنسا مقيداً بالحديد ووضع هناك بمصحة عقلية زارته فيها امه فلم يستطع التعرف عليها .

« فى داخل كل مجنون عبقرية تعتصم بغرابتها عن الناس ثم تظل هناك ، فى غرابتها ، تتلألا





للغنى مع زوجته وطفلته .. ثم لقطة تسجيلية لعشاق فنه الذين جاءوا لوداعه الاخير بعد ان عثروا عليه فى بلاط حمامه فاقد الوعى

بالضوء المفزع من نظر إليها . فاذا ما أعدت لـه الحياة مشنقتها ، سـلك طريق النجاة الوحيد امامه : ذلك الذى يقوده الى مزيد من الجنـون والغرابة » .

قضى ارتو بقية حياته (تسع سنوات) متنقلا من مصحة عقلية إلى اخرى . وفى يناير ١٩٤٧ اقيمت امسـية على شرفه حضرها اعلام الفكر فى فرنسا مثل اندريه جيد ، البير كامو ، واندريه بريتون . فى تلك الامسية وقف ارتو امام الحضور وارتجل ثم صرخ وشتم العصر والحياة فى عرض وحشى اذهل الحضور حتى الخوف وحقق ارتو جزئيا امنيته القديمة : إثارة الفزع عن طريق القسوة .

فى فبراير زار ارتو معرضا للفنان فان جوخ وعاد منه ليؤلف كتابه « انتحار فان جوخ ، جريمة المجتمع » الذى نال عنه جائزة « سانت بيف » الادبية وهى الجائزة الوحيدة التى حصل عليها ارتو طيلة حياته .

بعدها ، ظلت صحته تسوء وعانى من الام قاسية بالمعدة ظل يهدئها بتعاطى الافيون بكميات كبيرة واظهر التشخيص انه كان يعانى من الاورام الخبيثة .مات انتونان ارتو على فراشه فى ٤ مارس ١٩٤٨ عن ٥٢ عاما .

إلى اندريه بريتون :
« انا مصمم على المضى فى العيش لأننى أؤمن بان العالم الذى يظـل يصفع وجودك ووجودى دونما هوادة ، سيموت قبل ان اموت » .

الفيس بريسلى
١٩٣٥ - ١٩٧٧

« مات الفيس الأسطورة كـان رصيده فى البنـك عشرات المـلايين من الدولارات ومئات الملايين من المعجبين » .

لم يكن الفيس بريسلى مغنيا فوق العادة وحسب ، ولكنه كان ايضا مجسدا للظاهرة الاجتماعية الجديدة التى انتظمت العالم الغربى فى منتصف الخمسينات . وحتى عندما اعتلت فرقة « البيتلز » خشبة المسرح كاحدى ابرز العلامات الفنانية والاجتماعية فى النصف الثانى من القرن العشرين ، كان الفيس هو الذى وضـع ختمه على جواز مرورهم وظل اسـمه نموذجا حيا للعلاقة الجدلية بين الفن والمجتمع .

ادخل الفتى النحيف ، الذى ينحدر من عائلة مدقعة ، موسيقى « الروك ـ ان ـ رول » الى كل البيـوت من النوافـذ والابواب والشقوق والراديو والتليفزيون والفونوغراف ، ووضع صورته وامضاءه على القمصان والفساتين وحقائب اليد والاحذية والبلوفرات والجـدران والكراسات ونوافذ السيارات واطلق عليه اسم « ملك الروك ومعبود الشباب » .

ولد الفيس ارون بريسلى احد توامين متطابقين (اسقط الاخر) فى الثامن من يناير ١٩٣٥ فى تيبولو على نهر المسيسيبى عن اب فلاح وام حائكة ملابس . لم تشهد طفولته ما ينبىء عن مستقبل متميز فى عالم الموسيقى حتى اشترى له والده فى سن الحادية عشر قيثارة عوضا عن الدراجة التى كان يحلم بها الصبى ، قبلها على مضض وراح يعلم نفسه العزف وغناء الأناشيد الدينية .

بعد تخرجه من المدرسة الثانوية فى سن الثامنة عشر عمل الفيس سائقا للشاحنات فى شركتين للكهرباء وصار يغنى فى اوقات فراغه فى بعض الدوائر الضيقة فاسترعى انتباه احد عملاء شركات الاسطوانات بالنكهة الزنجية فى صوته . وبعد عدة شهور اتيح له تسجيل اغنية من نـوع « البلوز » فى راديو ممفيس المحلى ، وباعت الاغنية خمسة الاف اسطوانة مسجلة رقما قياسيا فى سوق الاسطوانات الاقليمية .

ماريون كيسكر :
« لم يكن يحب اجـراء بروفات لاغنياته . كـان يحمل قيثارته ويدخـل الاستوديو ويسجل .. هكذا ، ببساطة وبحضور مدهش ، وكان الناتج دائما عظيما » .

بسرعة خرافية أصبح سائق الشاحنات مغنيا نجما واسما مالوفا ومحبوبا فى برامج الاذاعات الاقليمية وهو لما يزل فى الثانية والعشرين من عمره . وكان له سحر خاص على الفتيات اللائى وجدن فى صوته واغنياته دعوة للتحرر والصراخ بهستيريا ليس فقط طربا ولكن ايضا احتجاجا على مجتمع أراد لهن الصمت والسكون .

برغم بقعة الضوء التى غرق فيها الفيس فان علاقته بامه ظلت علاقة وفاء ومحبة خاصة . كان يشترى من المال الذى بدا ينهمر عليه سترة او اثنتين ثم يعطيها الباقى . وعندما وقع فى عام ١٩٥٥ عقدا بمبلغ خمسين الف دولار مع شركة « ار . سى . اى » ، احـدى اكبر شركـات الاسطوانات الامريكية ، اشترى سـيارة « كاديلاك » فلجأ بها امه عندما قدمها هدية « متواضعة » لها .

كان محتملا ان يخبو نجم الفيس مثل





البيت الذى رأى حياته القصيرة التى كانت كلها نشاط وحيوية

غيره ممن يصيب نجاحاً سريعاً ليفشل سريعاً ، لولا انه التقى بتوم باركر الذى صار مديراً ناجحاً لاعماله وفتح له افاق جديدة بدءاً بتعليمه لرقصته المشهورة اثناء غنائه ومروراً بتقديمه فى معاقل الموسيقى مثل نيويورك وناشفيل . فى نيويورك قدمه باركر فى ستة عروض تليفزيونية سجل بعدها اولى اسطواناته الطويلة باسم « الفيس بريسلى » والتى جعلته يتلقى حوالى مائة الف رسالة فى الاسبوع .

اشترى الفيس مزرعة فى ممفيس عاش مع والديه وجدته ، واضطر الى بناء حائط عال حول المزرعة لمنع معجبيه من اقتحام مسكنه . وفى سبتمبر ١٩٥٦ شاهد حوالى ٥٤ مليون امريكى الفيس وهو يغنى فى البرنامج التليفزيونى « نخبة المدينة » ثم ، سريعا ، اختطفته السينما . فى تلك الفترة بدأ بعض النقاد (وبعضهم كان ذا نفوذ كبير) بالحديث عن الفيس باعتباره خطراً على المجتمع وخاصة الشباب . إلا أن ذلك لم يفعل شيئاً اكثر من اضافة بعض الرتوش لصورة المغنى الذى اصبح جلياً انه بدأ يشكل ظاهرة اجتماعية قائمة بذاتها .

مجلة « تايم » :
« القيثارة مثل صاحبها تتارجح اماما وخلفا ومثل صاحبها تدور وتدور . العينان نصف مغمضتان والشفتان تفتران عن ابتسامة واغنية .. ورسالة ينتظرها الملايين من المراهقين فى امريكا » .

فى الفترة ما بين ٥٦ ـ ١٩٧٠ مثل الفيس ٣٢ فيلما وصف النقاد منها ثلاثين بانها من الدرجة الثانية وكانوا على حق . فشركات السينما كانت تعلم ان افلامه ـ بغض النظر عن مضمونها وقيمتها الجمالية ـ عبارة عن ضربات مالية كبرى لأن جمهور الشباب لا يهمه من الفيلم غير الفيس نفسه .

ولكن شهرته اصبحت عبئا ثقيلا على حريته الشخصية مجرد الخروج من مزرعته والعودة إليها كان يجب ان يخطط له وكانه عملية حربية . ولم يكن فى استطاعته الظهور نهاراً امام الناس فجعل يتحرك ليلا ويسكن نهاراً . وعندما ضيق عليه المعجبون الخناق اتخذ له بطانة من الحراس اشتهرت باسم « مافيا ممفيس » .

فى اغسطس ١٩٥٨ ماتت امه غلاديس بريسلى غيرة ـ كما قيل ـ على ابنها الذى لم يعد طفلها المدلل ، بل طفل المجتمع المدلل .

« ماتت غلاديس، صديقتى وحبيبتى الوحيدة هل رانى احد احب غيرها؟ »

بعدها ، دخل الفيس الخدمة العسكرية الاجبارية لمدة عامين وعندما عاد إلى الحياة المدنية استقبله المغنى فرانك سيناترا فى برنامج تليفزيونى خاص بعنوان « مرحبا الفيس » استلم عن ظهوره فيه شيكا بمبلغ ١٢٥ الف دولار .

بدا واضحا ان فترة الخدمة العسكرية غيرت فيه كثيراً . اذ اخشوشن الفتى قليلا وصار اكثر محافظة فى ملبسه وتسريحة شعره واختفى فيه عموما مظهر « البلاى بوى الامريكى » وصارت اغانيه اكثر ميلا إلى الموسيقى التقليدية والدينية . فكتب عنه احد النقاد : « استبدل الفيس العسل الذى يجرى فى عروقه بدم بشرى عادى » .

اختفى مغنى الروك عن الظهور فى الأماكن العامة كليا فى الفترة ما بين ٦١ ـ ١٩٦٨ . وفى عام ١٩٦٧ تزوج من مراهقة ألمانية اسمها بريسيلا قيل انها كانت تملك كل شيء تمنته فى حياتها الا الفيس وعندما تزوجته اكتملت مجموعتها . انجبت له بريسيلا ابنته ليزا مارى وبدات علاقتهما بعد ذلك تسوء فى نفس الوقت الذى بدأ فيه بفقدان بعض لمعانه . كل ذلك دفعه الى اغراق نفسه فى تعاطى المهدئات حتى ان احد اصدقائه المقربين قال ان الحبوب هى التى كانت تقوم بالعمل بدلا عنه . ولكن من جديد انقذه مدير اعماله توم باركر عندما تحصل له على عقد بالغناء فى لوس انجلوس ، فعاد ملك الروك والتاج على راسه اكثر لمعانا . قيل عنه حينذاك انه غير وجه الاقتصاد فى عاصمة كاليفورنيا ، كان الناس يتدفقون على المدينة من القريب والبعيد ، من سان فرانسيسكو الى سيدنى لحضور حفلات المغنى الذى اصبح ظاهرة زمانه .

جونى ريفز :
« كان عليه اما ان يغير شكل العالم الذى نعيش فيه او ان يجعل له عالما خاصا به ، ولم يكن لديه خيار ثالث » .

فى ١٩٧٣ انتهت علاقة الفيس وزوجته بالطلاق الشيء الذى جعله يغرق اكثر فى تعاطى المهدئات ونتيجة لذلك اصيب بضغط الدم والفلوكوما والافراط فى السمنة وبدا يتصرف بغرابة كان يطلق النار على جهاز التليفزيون او أن يستقل الطائرة فى منتصف الليل لياكل ساندويتش فى مدينة اخرى . وكان احيانا ياكل بشراهة زائدة ثم يصوم عن الاكل حتى يسقط من الاعياء .

فى ١٦ اغسطس ١٩٧٧ عثر على الفيس ارون بريسلى فاقدا وعيه على







« بيلى هوليداى » تغنى فى الاوبرا عام ١٩٤٤ .. ثم المطربة المشهورة عندما اصبحت إنسانة تعيسة !

اشهر مغنية جاز فى العالم اثناء الغناء فى « فلادلفيا » .

لرض حمامه المرمرى ونقل إلى المستشفى ليبين الفحص ان دمه يحتوى على عشرة انواع من العقاقير المهدئة جعلت قلبه يتوقف عن النبض فى تمام الساعة الثالثة والنصف من نفس اليوم .

بيــلي هوليــداي
١٩١٥ - ١٩٥٩

« عندما اموت فسيبكى الناس لا لشىء سـوى احساسهم بالــذنب . سيدركون ساعتهـا أنهم يشيعوننى من مكان سىء الى اخر اسوا منه .. من الدنيا إلى الجحيم » .

بيلى هوليداى هى صاحبة السيرة التى صنعت فيلم « الليدى تغنى البلوز » ولعبت دورها فيه المغنية المعروفة ديانا روس . اطلق عليها لقب « اعظم مغنيـة جاز لكل العصور » . وبرغم انها - لحداثة اسلوبها فى الغناء - لم تحقق نجاحا تجاريا فى زمنها الا انها اثرت بقوة على مغنيات الجاز اللائى اشتهرن من بعدها مثل إيالا فتزجيرالد وكليو لين ، على سبيل المثال لا الحصر .

« ليدى داى » كما سميت المغنيـــة الامريكية ، كانت امرأة عظيمة الحسن بملامحها الزنجية ولون بشرتها الخمرى وزهرة الغاردينيا التى ما فارقت شعرهـا وصوتها الذى « تغار منه الموسيقى » . كانت أيضا خجولة ولا تحس بالامان . كان اكثر ما يخيفها هو الصعود على خشبة المسرح وكانت تتغلب على ذلك بتعاطى الكحول والهيروين الشىء الذى صنفها فيما بعد خارجة على القانون لدى ملفات مكتب التحقيقات الفيدرالى .

اليتورا فاغان (اسمها الحقيقى) ولدت فى السابع من ابريل ١٩١٥ فى بالتيمور ، ميريلاند وكانت امها ، عاملة نظافة ، فى الثالثة عشر من عمرها وابوها ، موسيقى ، فى الخامسة عشر . وبعد ولادتها انصرف الأب والأم المراهقان كل فى سبيله نتيجة لضغوط العيش وترعرعت اليتورا فى كنف جدها وجدتها حتى شب عودها فسافرت للحاق بامها والاشتغال بالاعمال الرخيصة ثم غيرت اسمها الى بيلى هوليداى تيمنا بنجمتها السينمائية المفضلة بيلى دوف . وفى تلك الفترة رأت وسـمعت لـوى ارمسترونغ يغنى مع بيلى سـميث فاستهواها ذلك وجربت الغناء لنفسـها اولا وبعد فترة لبعض النوادى الليلية .

« لم يكترث احد لغنائى ولكيما يصفق لك الناس اعجابا يجب حقا أن يكون هناك من يقول امامهم : يا للروعة ! » .

الشخص الذى قال : « يا للروعة » كان جون هاموند ، كاتب ومنتج لاغانى الجاز ، سمعها فى احدى نوادى هارلم فتبناها ومهد لها طريق انتشارها ونجاحها عندما قدمها لعازف البيانو تيدى ويلسون الذى الف لها اغنيات صارت فيما بعد علامات فى تاريخ موسيقى الجاز . وفى عام ١٩٣٦ التقت بيلى بصديق عمرها ليستر يونغ عازف الساكسفون الذى اطلق عليها لقب « ليدى داى وضمها الى فرقة « بيزى » الموسيقية . تجولت بيلى مع الفرقة فى معظم انحاء امريكا مما ارهقهـا كثيرا فانفصلت عنها . لكنها سرعان ما انضمت الى فرقة « رولز رويس » لمدة عام كانت تضطرد فيه حدة العنف العنصرى وكانت هى السوداء الوحيدة بين أعضاء الفرقة . ففى نيويورك مثلا اجبرت بيلى على الدخول من باب الخدم وعدم الاختلاط بالجمهور عندما جاءت مع الفرقة لتقديم حفل باحد الفنادق . وكان نتيجة ذلك أن انفصلت فورا . غنت بعدها « الثمــرة الغريبة » التى صارت صوت احتجاجها الخاص ضد التفرقة العنصرية وسجلتها على اسطوانة حققت نجاحا كبيراً .

جون شيلتون :
« كان طموحها اكبر من مجرد نجـاح عابـر . تعطشت للمجد وكـان حزنها الاكبر انها كانت تدرك - بالكيلـومترات - بعد المسافة بيتها وبينه » .

اشتهر عن بيلى غرامها الشديد بالرجال الوسيمين ، وكان جيمى مونرو على حـد تعبيرها « اوسم من رات » فتزوجته لكنها لتخذت من الهيروين عشيقا لها . وفى عام ١٩٤٧ دخلت المستشفى للعلاج من الادمان فالتفت إليها مكتب التحقيقات الفيدرالية وجهاز مكافحة المخدرات بنيويورك . وعندما قبض عليها حوكمت بالسجن لمدة عام ويوم فى مصحة النساء الفيدرالية ، قضت منها تسعة اشهر . بعد خروجها بعشرة ايـام فقط هزت بيلى عالم الجاز عندما غنت فى « كيرنغى هول » احدى اشهر قاعـات الموسيقى فى امريكا . ولكن سجل سيرتها جعل شرطة نيويورك تصدر قرارا بمنعها عن الغناء فى اى مكان يبيع الخمور .

« كان يمكننى الغنـاء اينما حلى لى . ذلك امر حسن ولكن ما كان ينقصه اننى إذا أردت الانعتاق من قاعات الموسـيقى



جنازة « بيلي هوليداي » التي ماتت عقب ان اخذوا بصماتها على سرير المرض !

الكبرى فلم يكن باستطاعتي الا الغناء لجمهور لا يسمح عمره بالاستمتاع باغنياتي » .

حصلت بيلي على الطلاق من مونرو والتقت بعده بجون ليفي ، مدير احد نوادي برودواي الذي وعدها باقصى حد ممكن من الحماية من السلطات والغناء كما شاءت . وقامت بينهما علاقة قطع حبال وصالها ادمانها المخيف للهيروين .

الرجل التالي في حياتها كان لوي ماكاي صديقها القديم في حي هارلم والذي اصبح مديراً لأعمالها واميناً على اموالها . وعلى الرغم من علاقتهما كانت عاصفة إلا انه ظل وفياً لمهنتها كمغنية وكمدير لاعمالها فادخلها الفترة الذهبية في حياتها عندما قدمها على مسارح اوروبا .

« ما كتبه عني النقاد في اوروبا اعاد الحياة الى اوصالي . في امريكا ظل دابي هو العودة الى المسرح من جديد دون ان يخبرني احد اين كنت قبلها » .

غنت بيلي كما لم تفعل من قبل في تلك الفترة . وفي فبراير ١٩٥٦ اثناء انشغالها بالاعداد للغناء بفلادلفيا القي عليها القبض من جديد بتهمة حيازة المخدرات . ثم اطلق سراحها بضمانة مالية وسافرت إلى نيويورك لدخول المستشفى حيث استبدلت ادمانها للهيروين بالكحول وساءت صحتها كثيرا . وعند خروجها غنت في مهرجان الجاز الأول بمونتري لكن الجمهور استقبلها بفتور شديد .

بعد عام سافرت بيلي الى اوروبا في جولة غنائية هدفها الاساسي كان اعادة الثقة الى نفسها . ولكن نجم سعدها فقد لمعانه حتى هناك ، ولم تستطع مع الأسلوب الذي ابتدعته في الغناء واعيائها الشديد ان تثير حماسة الجمهور حتى انها اجبرت ذات ليلة على ترك المسرح قبل اتمام حفلها .

عادت بيلي الى نيويورك محطمة نفسيا وهناك تلقت نبأ وفاة ليستر يونغ صديقها الذي اطلق عليها « ليدي داي » ليزيد ذلك من محنتها المعنوية .

قضت بعدها فترة صمت طويلة قبل أن تغني للمرة الاخيرة على مسرح «فوينكس» ليلتها سقطت بيلي مغشيا عليها بعد اداء اغنيتين فقط ونقلت الى المستشفى للعلاج من تورم الكبد وهبوط نبض القلب .

« انا لا اقبل ان اصاب بوجع الاسنان او الانفلونزا او اضطرابات المعدة او اوجاع الحلق او مجرد الصداع .. لماذا ؟ لانني بيلي هوليداي » .

حتى نزولها بالمستشفى لم يمنع سلطات الشرطة من تفتيش غرفتها والاعلان انه تم ضبط مخدرات بحوزتها . وعلى اثر ذلك صادرت الشرطة ممتلكاتها الخاصة بما في ذلك زهرة الغاردينيا التي انتزعت من شعرها . ثم اخذت بصماتها وصورتها وهي على سرير المرض .

في ١٧ يوليو ١٩٥٩ ماتت بيلي هوليداي بالمستشفى وهي تحت الاحتجاز . كان عمرها ٤٢ عاما وحسابها بالبنك ٧٠ سنتا بالاضافة الى مبلغ ٧٥٠ دولارا وجد ملفوفا بحزام من الجلد حول ساقها . مشى في جنازتها حوالي ثلاثة الاف شخص ، ومنذ تلك اللحظة بدات مبيعات اسطواناتها بالارتفاع .

« لقد ناضلت طوال حياتي للغناء بالطريقة التي ترضيني . وقبل أن اموت ، اتمنى ان اجد لي مكانا حيث لا يستطيع احد ان يطلب مني أن اغني او ان اتوقف عن الغناء . قد اغني ساعة او عشرة . قد اغني الف اغنية او واحدة . ابحث عن مكان يتسنى لي فيه ان اوقف الاوركسترا في منتصف اغنية لأبدا اخرى احس بانني اريد غناءها في تلك اللحظة . أريد ان افعل كل ذلك .. فقط قبل ان اموت » .

إدجار ألن بو
١٨٠٩-١٨٤٩

« لله الحمد ،
مات الخطر
والمرض الذي ينذر بالخطر
والحمى التي قيل اسمها
الحياة ذاقت — اخيراً —
طعم الهزيمة » .

اشتهر عن إدجار الان بو انه مبتدع الروايات البوليسية هذا صحيح . وصحيح ايضا انه كان ناقدا وكاتب قصة قصيرة وشاعرا توافر على مصادر الأدب والفلسفة وتاثر بعظماء الشعراء امثال بايرون وشيللي وكيتس وكولريدج — الذي استعار منه فلسفته الخاصة في الشعر . وفي المقابل أثر بو على كتاب وفنانين ذوي صيت بدءاً بالرمزيين الفرنسيين وحتى انتونان ارتو ودستيوفسكي ومن شاكلهم او قل عنهم شانا .

كان بو محرراً جهبذاً لعدة مجلات ادبية ووصف بانه كان اقسى نقاد عصره . كان ايضا روائيا وفنانا معذبا مولعا بالكتابة عن الرعب والجريمة والجنون والغموض والهستيريا وقيل عنه ان الموت كان يستاجر غرفة بداخله .

ولد إدجار الان بو في يناير ١٨٠٩ بمدينة بوسطون بامريكا عن ام انكليزية ممثلة مسرحية رائعة الحسن واب أمريكي ممثل بعض الاحيان وثمل في اكثرها . وعاش بو طفولة تعسة بموت أمه وهروب اخيه الاكبر وتوقف عقل اخته الاصغر عن النمو .

« خرجت إلى الدنيا طفلا موصوما بمحنة



الشاعر والقاص : « ادجار الن بو » الذى ظل فى غيبوبة اربعة ايام قبل رحلته الأخيرة !

اسرته . ونشات سجينا لنزوات وحشية وعواطف مضطرمـــة غير قـــابلة للانصهار بنار النسيان » .

ترعرع بو فى اسرة تبنته دون حماس ، وارسل للدراسة بانجلترا واسكوتلندا بين سن السادسة حتى الحادية عشرة ، فابدى الصبى نبوغا جعله يهضم اعمال الشاعر بايرون ويقرض جيد الشعر وهو فى الرابعة عشر . وفى ذلك العمر وقع بغرام والدة احد رفاقه فى المدرسة ، نعاها من بعد مماتها بقصيدة اعتبرت فيما بعد من اجمل اشعار الرثاء .

فى ١٨٢٦ دخل بو جامعة فيرجينيـــا لدراسة القانون بعد ان خطب سرا الميرا رويستر ، ولكن حياته العاصفة فى الجامعة وغرقه فى الديون التى بلغت الفى دولار وضعا حدا لخطوبته وهرب بو الى بوسطون .

توماس تيوكر :
« كان يحتسى سقياه دفعة واحدة ، وإذا بــــه يطلق شيطان خياله المدهش من قمقمه . فاذا تحدث صمت الناس وكانهم فى غيبوبة السحر غارقين » .

فى مايو ١٨٢٧ دفعه الجوع للالتحاق بالجيش تحت اسم مستعار . وفى ذات الوقت استطاع ان يقنع ناشرا بطباعة مجموعته الشعرية « تامرلين » التى لم تنل الا حظا يسيراً من النجاح . وعندما التحق « باكاديمية العلوم العســـكرية » نشر مجموعته الثانية بعنوان « العراف » . وبعكس سابقتها وجدت صدى عظيما حتى ان ناقدا بارزا شبهه بشيللى وكان ذلك كافيا لبزوغ فجر نجاحه ولكن دون عائد مادى . عانى بو ، اثر عزوف ابيه عن ارســـــال مصروفاته ، من الفقر وعلى اثر انتشار اخبار مفادها انه مدمن للكحول فصلته الاكاديمية وسافر الى نيويورك معدما .

« ليس عندى ما اقوله سوى ان مســـتقبلى الذى لن يطول يجب ان يتطهر بمزيد من الفاقـة وكثير من المرض » .

فى نيويورك نشر بو مجموعته الثالثة « الى هيلين » ، ايضا دون اجر . ثم سكن مع بعض اقاربه فى بالتيمور وفى تلك الفترة كتب خمسة قصص قصيرة نشرت فى مجلة « كوريير » مقيما باحداثهــــا الخيالية المرعبة دعائم نوع جديد من القصة . وفى عام ١٨٣٣ فاز بجائزة مقدارها خمسين دولارا فى مسابقة ادبيـة كانت هى اول عائد مالى يتحصل عليه من اعماله الادبية . تبناه بعدها اديبا جون كينيدى الذى كان عضوا فى لجنة المسابقة بعد ان ادهشه الخيال الجامح والشكل الجديد الذى كتب به قصته . وبتوصية من كينيدى صار بو مساعداً لرئيس تحرير مجلة « مسينجر » الأدبية . وبرغم ان راتبه كان ضئيلا للغاية ، إلا ان الوظيفة نفسها فتحت أمامه مجالا عريضا ليكون محرراً اديبا وناقدا متميزا . ثم اعقب ذلك زواجه من ابنة خالته فيرجينيا وعاش معها فى علاقة زوجية غير كاملة .

عمل بو فى مجلة « مسينجر » لمدة عام ونصف ثم سافر بصحبة زوجته وامها إلى فلادلفيا حيث قضى اكثر سنى عمره نجاحا فبالاضافة إلى عمله كمحرر لعدد من المجلات الأدبية ، نشر كتابه الســـادس « اغرب الحكايات » فى جزئين ونشر فيما بعد روايات مثل « قناع الموت » و « القط الأسود » أولى الروايات البوليسية فى العالم .

جوزيف وود :
« ابتدع بو ذلك النـــوع من الرواية ـ اللغز كى لا يسمح لعقله بالهروب الى الجنون » .

فى ١٨٤٥ نشرت مجـــــلة « ميرور » قصيدته « الغراب » التى رفعته بدفعـــة واحدة الى مقام النجومية فى المجتمـــع الأدبى بنيويورك . ولكن على الرغم من نجاحه الساحق فانه لم يحصل مالا فى نشر قصيدته . وعندما اعيدت طباعة « اغرب الحكايات » كان نصيبه ثمانى سنتات للكتاب الواحد .

لم تكن السنوات الاربع الاخيرة فى حياته لينة او ناعمة ، إذ رحل مع زوجتـه التى اعتلت صحتها وسكنا بكوخ صغير فى اطراف نيويورك حيث ماتت فى عام ١٨٤٧ تاركة فراغا عريضا فى حياته . اعقب ذلك ان الف كتابه « يوركا » الذى طرح فيه فلسفته الغريبة حول الكون بالاضافة الى ثلاث من اشهر قصائده .

اقام بو علاقتين عاطفيتين فى وقت واحد . فلقد عرض الزواج على هيلين ويتمان ، أرملة شاعرة فى منتصف العمر ، وبانتظار ردها ظل يلاحق انى رتشموند ، متزوجة حاول ان يقنعها بترك زوجها من اجله . وعندما فشل فى ذلك حاول الانتحار لكنه انقذ . بالرغم من ان الاولى وافقت على الزواج منه إلا انها سرعان ما عدلت عن رأيها عندما بدأت تشك فى معقولية تصرفاته .

« لا استطيع ان اعشق الا حيث يصير الموت انفاس الجمال . من أســـمائى مجنونا عليه أن ان ينظر جليا فى معانى الكلمات قبل ان يقرر ان كان الجنون هو مرض الفكرة او سموها عاليـــا بحيث لا تدركها الابصار »

كتاب الشهر

حياة قصيرة



جيمس دين فى فيلم العملاق .. ثم لقطة له مع الممثلة العالمية « ناتالى وود » .

فى عام ١٨٤٩ كاد بو ان ينجز حلما قديما باصدار مجلة خاصة به عندما عرض عليه أحد الراسماليين تمويله بالمــــال اللازم ، ودون شروط . وفى المرحلة الاولى من تنفيذ مشروعه عقد بو العزم على التجوال فى انحاء الولايات المتحدة للحصول مقدما على اشتراكات بالمجلة المزمع تاسيسها وبدا بمدينة رتشموند . وبدلا عن المضى فى ما عقد عليه العزم راح ينتقل بين الحانات ، ثم التقى بالفيرا شيلتون التى اضاع فى غياهب حبها حلمه الذى كاد يتحقق . وافقت الفيرا على الزواج منه وحدد الاثنان الثالث عشر من اكتوبر موعداً لذلك .

قبل ذلك الموعد باسبوعين شد الرجل رحاله الى فلادلفيا بغرض تحرير بعض المواد الادبية لقاء مائة دولار ولكنه لم يصل هناك ابداً . طرا له فجاءة ان ينزل بمدينة بالتيمور ففعل ، وهناك ضاع له كل اثر .

عندما عثر عليه ، كان مريضاً هزيلا خائر القوى فنقل على الفور إلى احد مستشفيات واشنطون .

« عندما تسمعين ندائى هذا ، استقلى الريح او البرق وتعــــالى إلى . ستمنحنى رؤياك ما حجبته عنى الحيــــاة باصرار يدعو للدهشة . تعالى لنموت سويا . ستقولين : هون عليــك يا طفلى البائس ، ولكن ، اماه ، لا مخرج لى سواك . من اجلك ستكون الحياة عذبة كما ينبغى لها أن تكون ، ولكن ، فلنمت سويا .. ذلك اجمــــل وابقى » .

مكث إدجار الان بو بالمستشفى فترة اربعة ايام ظل يهذى فيها دونما انقطاع ثم سكن فى السابع من اكتوبر ١٨٤٩ عن اربعين عاماً .

جيمس دين ١٩٣١ - ١٩٥٥

« الحل المنطقى الوحيد حيال غضبة الحياة هو ان يستطيع الانســـان تغيير جلده كما لو كان يغير ملابسه ، والتمثيل هو البديل الصــــناعى لذلك » .

هذا هو طفل هوليود المدلل الذى اعتبره شباب الخمسينات ليس رمزاً للتمرد وحسب ولكن اسطورة قائمة بذاتها . الاســـطورة غرست جذورها فى فيلم « شرق جنة عدن » وشب عودها فى فيلم « التمرد دون دافع » ثم نشرت فروعها واوراقها بعد ممــــات صاحبها فى حادث سيارة سباق .

شركة « وارنر » التى انتجت اثنين من افلامه الثلاثة (فيلمه الثـــالث هو « العملاق ») ظلت تتلقى بعد مماته ثمانية الاف خطاب تعزية من معجبيه فى كل اسبوع . مجلة « فوتو بلاى » اطلقت عليه اسم « النجم الاكثر شعبية فى العالم » وسجلت مبيعات صوره ارقاما خرافية واصبح المراهق الذى مثل ثلاثة افلام فقط فى حياته تجارة كبرى بعد مماته .

ولد جيمس بايرون دين بمدينة ماريون بولاية انديانا الامريكية فى الثامن من فبراير ١٩٣١ ، الطفل الوحيد لام فلاحة وأب فنى معامل اسنان . ماتت امه وهو فى سن التاسعة فقام بتنشئته خالته وعمه بمزرعتهما بفيرمونت بعيداً عن ابيه الذى كان يعيش بولاية كاليفورنيا .

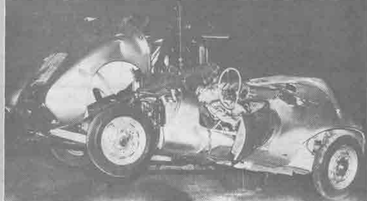
« ماتت امى دونى وانا فى التاسعة . هل كانت تتوقع منى أن افعل كل شىء لوحدى ؟ » .

نشأ دين فى كنف اسرته الجديدة مدللا للغاية وعاش حياة رغدة الى حد كبير . وفى المدرسة ابدى نبوغاً ملحوظاً فى مجال الفنون الكلامية والاستعراضية بشـــكل خاص . وعلى الرغم من انه رغب فى دراسة المسرح الا أن اباه الذى كان يهندس حياته من بعد اراد له أن يكون محاميا . وفعلا شرع دين بدراسة القانون بكلية سانتا مونيكا لكنه تركها فى السنة الثانية والتحق بجامعة لوس انجلوس لتميز نشاطها المسرحى . وهناك مثل اول ادواره فى مسرحية « ماكبث » . وبرغم انه لم يلفت الانظار ، الا انه اثار انتباه عميل لشركة « بيبسى كولا » فاعطاه دورا فى اعلان تجارى سينمائى ووقف دين امام الكاميرا للمرة الاولى فى حياته .

« التحدى الاكبر امام هذا القط - انا - الا يضـــيع وسط الزحام » .

سرعان ما انقطت علاقة دين بابيه . ومن جهة اخرى لم يستطع ان يتواءم مع جو الكلية فانقطع عنها وظل يبحث عن عمل كممثل عائشاً على الكفاف . حتى نجح فى الحصول على دور « جون المعمدانى » فى مسلسل تليفزيونى اسمه « تل رقم واحد » شكلت على اثر عرضه مجموعة من فتيات المدارس اول ناد لمعجبات جيمس دين .





سيارته عقب وقوع الحادثة التى اودت بحياته .. ثم لقطة للممثل الذى فقد حياته بسبب جنون السرعة اثناء الاندماج فى تمثيل احد افلامه

« انا لا اريد ان اكون ممثلا جيدا وحسب ، ولا اريد ايضا ان اكون الممثل الأحسن وحسب ، انني انوى ان تطول قامتى بحيث يصبح من المستحيل الوصول الى » .

تبع ذلك ان ظل دين يغشى منتديات هوليود حتى احتضنه برعايته رود جرز براكيت الذى فتح له المجال لتمثيل بعض الادوار الثانوية فى افلام من الدرجة الثانية الشيء الذى لم يرض طموحه فارسله براكيت إلى نيويورك ليتعلم فن التمثيل . وهناك عاش دين متنقلا من مكان لآخر لاهثا وراء الظهور على المسرح حتى استطاع ان يحصل على دور البطولة فى مسرحية « جاغوار » . وبرغم ان عرض المسرحية لم يستمر اكثر من اسبوع واحد الا ان دين لفت اليه الانظار وكتب احد النقاد ان موهبته غير عادية . كان ذلك جواز مروره إلى العديد من الادوار التليفزيونية . وفى فبراير ١٩٥٤ مثل دين فى مسرحية « الفاسق » ولعب فيها دور رجل شاذ جنسيا ونال عن دوره جائزة المسرح لاحسن ممثل ناشىء ، ثم اختطفه على الفور المخرج السينمائى ايليا كازان ليلعب دور البطولة فى فيلم « شرق جنة عدن » . وبعد انتهاء التصوير قال كازان ان العمل مع دين جحيم لا يطاق إذ ان الممثل ذا الأربعة وعشرين ربيعا كان لعبة بيد نزواته وتقلبات مزاجه وقلقه الذى لا ينقطع .

ايليا كازان :

« هذا الفتى يعطيك احيانا الانطباع بانه ممثل محدود المواهب وفى احيان اخرى يدهشك بمقدراته وطاقاته غير المحدودة . لكنه فى كل الاحوال يجعلك تحس بانه ينطوى على روح مصابة بداء عضال » .

رفض دين حضور العرض الافتتاحى لفيلمه وانتظر رد فعل الصحف ليفاجا بانه حلق عاليا فى سماء النجومية بعد ان شكل اسمه الخطوط العريضة للصفحات الفنية وصار الفتى بنمط حياته الغريب وثيابه المتسخة وسهره الليالى متسكعا فى الطرقات ، نغمة محببة للشباب المتعطش للجديد .

إرتوى دين من نجاحه حتى الثمالة ثم صار مهووسا بشهرته . فاذا احس فى مكان عام ، كالمطعم مثلا ، بانه ليس محط الانظار بما يكفى بدا بعزف ايقاعات مختلفة على المنضدة او افراغ انية السكر فى جيوبه او اشعال النار فى مناديل الورق . ولكن نجاحه على اية حال جعله يتحصل على عقد مع شركة « وارنر » لتمثيل تسعة افلام فى خلال ست سنوات باجر ادنى قدره خمسة عشر الف دولارا للفيلم الواحد . ومن تلك الثروة اشترى دين سيارة سباق احرز بها رغم قلة خبرته الجائزة الاولى لسباق الهواة والثالثة لسباق المحترفين .

« السباق هو الوقت الوحيد الذى احس فيه باننى اصعد باتجاه الكمال » .

فى مارس ١٩٥٥ بدا دين تصوير فيلمه الثانى « التمرد دون دافع » امام ناتالى وود واخراج نيكولاس راى . فى هذا الفيلم لم يمثل دين . بل عاش تجربة تتناسق طبيعيا ونمط حياته ، وصار ـ عند الناس ـ صنوا لشخصية جيم ستارك المتمرد والتى جسدها دين وصار بها رمزا لصرخة الشباب ضد مجتمعه .

بدا دين فيلمه الثالث « العملاق » عن حياة شاب امتلك مزرعة صغيرة فى سن الخامسة والعشرين واصبح مليونيرا فى غضون عشرين سنة بعد عمله بالتنقيب عن البترول . وخلال التصوير الذى انتهى فى ١٩٥٥ قال دين إنه لما يزل يمثل قصة حياته .

« ما انا إلا شيطان صغير قلق ، يكره الذوق والكياسة إلى حد اننى لادهش كيف يحتمل الناس الجلوس معى فى نفس الغرفة . اليس مدهشا اننى ايضا لا احتمل البقاء وحيدا مع نفسى ؟ »

فى الثلاثين من سبتمبر ١٩٥٥ استوقفته شرطة المرور وهو فى طريقه الى الاشتراك فى سباق السيارات المقام ببلدة ساليناس بتهمة تجاوز السرعة القانونية . طوى ورقة المخالفة ثم اطلق لسيارته العنان . وبعد مرور ساعات قليلة وفيما الشمس تميل إلى المغيب امام عينيه ، اصطدم بسيارة كانت تسير فى الاتجاه المعاكس . كانت الساعة تشير الى السادسة الا ربعا عندما مات جيمس بايرون دين عن اربع وعشرين سنة .

ميريك مارلو :

« لو انه استطاع ان يجعل له جسرا بين الحياة والموت ، وان يعيش بعد مماته لصار رجلا عظيما ، سوى انه لن يستطيع ان يضيف كثيرا الى اسطورته على اية حال » .

صلاح حسن احمد



بقلم: كمال النجمي

ابن جبير ، هو أعظم « سائح » عربى اندلسى فى القرن السادس الهجرى ـ القرن الثانى عشر الميلادى ـ شهد عصره ، وشهد عليه ، قولا وكتابة ، شعراً ونثراً ، فى مؤلفه الرائع اللطيف الحجم الذى سماه : «تذكرة بالأخبار ، عن اتفاقات الأسفار» .. والتزم فيه بالوجازة البليغة ، والصدق التلقائى العميق النقى ، المأثور عن أولئك المثقفين العرب الصلحاء الشرفاء ، البالغى الدقة فى القول والعمل ، وقد كانت النماذج العظيمة من هؤلاء تظهر بقوة فى فترات متقاربة أو متباعدة من التاريخ العربى والاسلامى ، وبخاصة فترات الكفاح الدموى ، والجهاد الصارم ، وحروب الحياة أو الموت التى اضطرت امتنا إلى خوضها على امتداد التاريخ ! ..

بدأ ابن جبير رحلته إلى مصر والحجاز والشام فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، وكانت دولته تشمل هذه الاقطار وغيرها ، وكان صلاح الدين منهمكا فى معارك فاصلة ضد الغزاة الفرنج لاجلائهم عما احتلوه واستوطنوه مدة طويلة من ارض سوريا ولبنان وفلسطين والاردن ..

واهل عصرنا لا يعرفون « ابن جبير » كرحالة او سائح كما يعرفون «ابن بطوطة» الذي جاء الى مصر والمشرق العربى بعد ابن جبير باكثر من مائة سنة وكانت الحروب الصليبية قد وضعت أوزارها ، وانقطع صليل سيوف الغزاة الى الابد ، وارتفعت راياتنا فوق الأرض العربيـــة كلها ..

والذين لا يعرفون الآن ابن جبير معرفتهم « ابن بطوطة » لهم عذرهم ، فان ابن بطوطة كان اعظم رحالة فى التاريخ القديم كله : السياحة « مهنته » .. ان صح التعبير .. اما ابن جبير ، فكانت رحلته ، رحلة حج الى مكة وزيارة للمدينة ، ولم تتعد سياحته حدود البلاد النــاطقة بالعربية بين العراق والاندلس ، ولم يكن مطلبه منها إلا الاستزادة من العــلم ، ومداواة النفس من جراحها ! ..

ولكن كتاب ابن جبير عن رحلته هذه التى تتواضع بجانب الرحلات الشاسعة لابن بطوطة ، جعل من هـــذه الرحلة المتواضعة ، تحفة تاريخية وادبية واجتماعية وسياسية .. بل ان هذا الكتاب الوجيز قد اقام من ابن جبير ـ بلا قصد منه ـ شاهداً على عصر من اشد العصور حسما فى تاريخ امتنا : عصر صلاح الدين الايوبى والحروب الصليبية التى بلغت منه ذروة خطيرة فاصلة ! ..

وفى مصر خلد اسم ابن جبير الى اخر الزمان ، فقد توفى فى الاسكندرية سنة ٦١٤ هـ بعد ان جاوز عمره سبعين عاماً قضاها فى طلب العلم ونشره ، مقيما ومرتحلا ، ودفن فى مسجد هناك ، صار معروفا باسمه ، ثم لحق باسمه التحريف ، فاسمه عند العامة فى ايامنا : « سيدى جابر » .. وكان نصف رجال الاسكندرية منذ جيلين يحملون اسم « جابر » تيمناً بهذا الاسم ! ..

و « سيدى جابر » أول اسم يطرق الآن اسماع زوار الاسكندرية حين يغادرون القطار أو يستقلونه فى المحطة المعروفة بهذا الاسم هناك ، وتتلاقى فيها امواج البشر صيفا ، كانها امواج بحر الاسكندرية الرائع ! ..

فى الثلاثين بدأت الرحلة

اسمه محمد بن احمد بن جبير .. واسم « جبير » يتكرر فى اجداده ست مرات .. اصله عربى قح .. دخل اجداده الأندلس ونزلوا مدينة « شاطبة » ثم « بلنسيه » .. وفيها كان مولد محمد بن جبير سنة ٥٤٠ هـ ونبغ وهو شاب صغير فقدمه العلماء والفضلاء ودخل فى خدمة امير «غرناطة» واقام هناك ، وكانت الأندلس قد تقسمت فى ذلك الوقت امارات تتنازع وتتقاتل ، ويتخذ كل أمير من امرائها لقبا فخما كالقاب خلفاء بغداد ..

فى الثلاثين من عمره بدأ ابن جبير رحلته للحج ، مودعاً غرناطة ، فعبر البحر الى الاسكندرية خلال ثلاثين يوما ، قضتها سفينته بين اليأس والرجاء ! ..

ترك ابن جبير الأندلس وهى أرض عربية الوجه واليد واللسان ، لم يسقط منها فى حروب الاسترداد الأسبانية الصليبية إلا مدينة كبرى واحـــدة هى « طليطلة » ولكن سقوطها كان نذيرا رهيبا بانتثار عقد المدائن الاندلســـية الذى لا يمسك به خيط ، بل تتفرق حباته وتنتثر فى شكل بالغ الغرابة والحماقة ! ..

اما فى المشرق فكانت الحـــروب الصليبية تاكل مصر والشام منذ بضــعة وثمانين عاما ! .. كان قومنا فى جهاد دائم بالغ المشقة لا تبدو له نهاية ، ولكن لابد له من الاستمرار ! ..

فكانت الأمة العربية فى مغربهـــا ومشرقها شاكية السلاح ، فى رباط دائم ، واصطدم التعصب الاوربى الغازى بالعرب والمسلمين يعضون على كل قطعة من أرضهم بالنواجذ ، ويمسكونها بأيد حديدية ، ويقاتلون بدون ان يسألوا : متى ينتهى هذا القتال ! ..

إلا أن « السلبيات » كانت موجودة فى ذلك العصر بطبيعة الحال ، لا يعصم الناس منها انصراف الجهود الى حرب الحياة او الموت التى تخوضها الأمة ! ..

انظر كيف يصف ابن جبير ما صنعت به « شرطة الجمارك » فى ميناء الاسكندرية عندما نزل على أرضها ، وهو القادم إليها « برسم الحج » ـ على حسب التعبير القديم ـ لا برسم التجارة ولا التوطن .. اى انه كان مجرد « عابر » أو « ترانزيت » بلغة أيامنا ..

هـــذا العابر الطيب الـــذى نـزل بالاسكندرية فى طريقه إلى الحج غير متلبث ولا متجر فى شىء ، فوجىء برجال الميناء يستحضرون جميع من كانـــوا من الرجال والنساء فى المركب ، واحداً واحداً ، وواحدة واحدة ، ويكتبون اسماءهم وصفاتهم واسماء بلادهم ، ثم يلزمونهم باداء « الزكاة » على ما يحملون من أموال ، ولم تكن الزكاة واجبة عليهم يومئذ ، لانها إنما تؤدى عن مال حال عليه الحول ، اما هؤلاء الحجاج فليس فى ايديهم إلا زاد الطريق الذى لا يفى إلا بحاجاتهم الماسة فى رحلة طويلة مضنية بين الاندلس والحجاز .. او من مغرب الشمس إلى مشرقها كما يقال ! ..

ثم اقتنص الحرس واحداً من الحجاج واخذوه الى والى المدينة ، فاستجوبه عن ابناء الاندلس ، وما تحمل السفينة من السلع ، فلما انتهى من استجوابه ، احاله الى قاضى المدينة ، فأعاد اســـتجوابه بطريقته الخاصة .. ثم طيف به على «أهل الديوان » .. ثم على جماعة من حاشية الوالى ، وكلهم يستفهم منه عن اشياء ويقيد اقواله .. حتى اخلوا سبيله آخر الأمر وقد انهكته واذهلته هذه التجربة التى يخوضها لاول مرة فى حياته ، ولم يتصور انه يلقاها فى طريقه الى الحج ، وقد رأى بعينيه سفن الفرنجة راسية فى ميناء الاسكندرية ، وتجارها فى اتم سرور وعافية ، لا يطالبهم الوالى بالزكـــاة ولا يستجوبهم ، لمجرد كونهم معاهدين غير محاربين ، كانما الحجاج محـــاربون متنكرون بالعمائم العربية والكلام بلغـــة العرب ! ..

ولما انزل الحجاج امتعتهم من السفينة ، استدعوا جميعاً الى ديوان الحاكم ، رجالا ونساء ، حتى غص بهم زحاما ! ..

لو علم صلاح الدين

يقول ابن جبير فى كتاب رحلته بلهجة حزن وكمد : « .. فوقع التفتيش لجميع الأسباب « الأمتعة » ما دق منها وما جل ، واختلط بعضها ببعض ، وادخلت الأيدى إلى اوساطهم بحثاً عما عسى أن يكون فيها ثم استحلفوهم بعد ذلك : هل عندهم غير ما وجدوا لهم ـ من مال ومتاع ـ أم لا؟! .. وفى أثناء ذلك ذهب كثير من اسباب الناس لاختلاط الأيدى وكثرة الزحام ، ثم اطلقوا بعد موقف من الذل والخزى عظيم ! .. » ..

اول ما خطر على بال ابن جبير حين رأى هذا العمل الشائن من موظفى وشرطة ميناء الاسكندرية مع الحجاج ، أن السلطان المجاهد العادل الزاهد صلاح الدين الأيوبى لا يعلم عن هذه الأعمال شيئاً ، فان همه الاكبر مقاتلة الغزاة الاجانب ، وترك شئون الحكم المحلية فى دولته الواسعة امانة فى اعناق ولاتها .. قال ابن جبير :

« وهذه لا محالة من الأمور الملبس فيها على السلطان الكبير صلاح الدين ، ولو علم بذلك ـ على ما يؤثر عنه من العدل وايثار الرفق ـ لأزال ذلك ، وكفى الله المؤمنين تلك الخطة الشاقة » .

ثم يعترف ابن جبير بان مالقيه على أيدى عسكر الميناء كان الشىء « القبيح » الوحيد الذى وجده فى بلاد صلاح الدين .. قال ابن جبير :

«مالقينا ببلاد هذا الرجل مما يلم به قبيح الذكر ، سوى هذه الأحدوثة التى هى من نتائج عمال الدواوين » ! ..

سجل ابن جبير هذه الشهادة العادلة ، بعد ان شاهد الاسكندرية كلها طولا وعرضاً ولقى علماءها وادباءها والمهاجرين اليها من الأندلس ، ووجد الأمن والعدل والرخاء يعم كل مكان ، بل وجد حتى الغرباء القادمين من بلاد عربية أو اسلامية نائية ، يشملهم « التامين الاجتماعى » الذى كان ملاذاً لكل فقير .. قال ابن جبير : « ان مفاخر هذا البلد عائدة فى الحقيقة إلى هذا السلطان



الذى يعتنى حتى بالغرباء » .. ثم قال : « .. ومن أشرف هذه المقاصد ايضا ان السلطان عين لأبناء السبيل من المغاربة ـ يقصد الاندلسيين وغيرهم من المغرب العربى حينذاك ـ خبزتين لكل انسان فى كل يوم ، بالغا ما بلغوا .. ونصب لتفريق ذلك كل يوم إنسانا امينا من قبله ، فقد ينتهى فى اليوم إلى الفى خبزة او ازيد » ..

ولما وصل الى القاهرة زار مشاهد اهل البيت ومشاهد بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرافة ، ومشهد الامام الشافعى ، ومشاهد بعض اصحابه واصحاب الامام مالك ، وترحم عليهم ..

وزار جامع عمرو بن العاص وجامع احمد ابن طولون وجوامع اخرى كثيرة .. وصفها بانها «حفيلة البنيان ، انيقة الصنعة» .. ولم يذكر الجامع الأزهر الذى كان مغلقا فى تلك الايام ، بعد زوال الخلافة العبيدية أو الفاطمية من مصر (١) .

وشاهد قلعة القاهرة الرائعة والعمال منهمكون فى بنائها ، و «قراقوش» يشرف على هذه المهمة التاريخية لتحصين القاهرة .. كذلك رآهم يحفرون الخندق المحيط بسور الحصن .. قال ابن جبير : «إن الأسرى ـ الافرنج ـ الذين وقعوا فى ايدى المسلمين فى المعارك الحربية ، كانوا هم الفعلة القائمين بالبناء ، وتكسير الصخور الضخمة ، ونشر الرخام ، وحفر الخندق المحدق بسور الحصن ، وهو خندق ينقر بالمعاول نقرا فى الصخر» ..

وحين يذكر ابن جبير هؤلاء الفعلة من الأسرى الافرنج يقول : « إن هؤلاء «العلوج» من الروم «الافرنج» ، عددهم لا يحصى كثرة .. ولا سبيل ان يمتهن فى ذلك البنيان احد سواهم» ! ..

من مفاخر السلطان

ويقول : «ومما شاهدناه من مفاخر هذا السلطان ـ صلاح الدين ـ المارستان ـ المستشفى الذى بمدينة القاهرة ، وهو قصر من القصور الرائعة حسنا واتساعا ، ابرزه لهذه الفضيلة اجرا واحتسابا .. وفى مقاصر ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع ، كاملة الكسى ، ويتكفل الخدام بتفقد احوال المرضى بكرة وعشية ، فيقابلون من الاغذية والاشربة بما يليق بهم» .. «وبازاء هذا الموضع ، موضع مقتطع للنساء المريضات ، ولهن ايضا من يكفلهن» .. «وبمصر مارستان اخر على مثل ذلك الرسم بعينه» .. «وما من جامع ولا روضة ولا مدرسة الا وافضل السلطان يعم جميع من يأوي اليها» .. «ومن مأثره الكريمة المعربة عن اهتمامه بامور المسلمين انه امر بعمارة محاضر ـ كتاتيب ـ الزمها معلمين لكتاب الله عز وجل ، يعلمون ابناء الفقراء والأيتام خاصة ، وتجرى عليهم الجراية الكافية لهم» ..

وفى تعمير الارض الزراعية والنهوض باقتصادها يقول ابن جبير : «ومن مفاخر هذا السلطان ، وآثاره الباقية المنفعة للمسلمين القناطر التى شرع فى بنائها بغربى مصر ، على مقدار سبعة اميال منها ، بعد رصيف ابتدىء به من حيز النيل بإزاء مصر كأنه جبل ممدود على الأرض ، تسير فيه مقدار ستة اميال حتى يتصل بالقنطرة المذكورة ، وهى نحو الاربعين قوسا من اكبر ما يكون من قسى القناطر .. والقنطرة متصلة بالصحراء التى يفضى منها الى الاسكندرية (٢) .. له فى ذلك تدبير عجيب ، إعدادا لحادثة تطرأ من عدو يدهم ثغر الاسكندرية عند فيض النيل وانغمار الارض وانقطاع الطرق بسببه ، فاعد السلطان ذلك مسلكا فى كل وقت إن احتيج الى ذلك» ..

ثم يقول موضحا التطور الاقتصادى والاجتماعى الضخم الذى شهدته مصر فى عهد صلاح الدين ، برغم ما كانت ترزح تحته من اعباء الحرب الصليبية التى استمرت طوال مدة حكمه بمنتهى الشدة :

«ومن مفاخر هذا السلطان ، إزالته رسم المكس المضروب على الحجاج مدة دولة العبيديين ـ الفاطميين ـ فكان الحجاج يلاقون ـ فى عهد العبيديين ـ من الضغط فى استيدائها عنتا مجحفا ، ويسامون منها خطة خسف باهظة .. وربما ورد منهم من لا فضل لديه على نفقته ، أو لا نفقة عنده ، فيلزم اداء الضريبة المعلومة ويعجز عن ذلك فيتناول باليم العذاب ، وغير ذلك من الأمور الشنيعة .. فمحا السلطان هذا الرسم اللعين ، وكفى الله المؤمنين على يدى هذا السلطان العادل حادثا عظيما وخطبا اليما .. الى مكوس ـ اخرى ـ كانت تؤدى ـ فى الدولة العبيدية ـ ضرائب على كل ما يباع ويشترى ، حتى كان المكس يؤدى على شرب ماء النيل ! .. فضلا عما سواه ، فمحا هذا السلطان هذه البدع اللعينة كلها ، وبسط العدل ، ونشر الأمن» ! ..

(سبب هام)

وابن جبير يشهد على سبب هام من أسباب الحروب الصليبية كان من ذرائع الدعوة اليها فى مؤتمر «كليرمونت» الشهير فى اواخر القرن الحادى عشر الميلادى .. ذلك ان ولاة الدولة العبيدية فى عصر انهيارها كانوا ـ فعلا ـ يضطهدون حجاج كنيسة القيامة القادمين من اوربا ، ويفرضون عليهم الضرائب الباهظة .. فها هم اولاء ـ وهم ولاة أمور المسلمين ـ ينالون حجاج بيت الله فى مكة باقسى ضروب التعذيب ويسلبونهم دراهمهم القليلة ، فكانت هذه الافعال الشنعاء منهم دليلا على انهم لا يفرقون فى «سوء المعاملة» بين مسلم ومسيحى ! .. لقد اضطهد هؤلاء الطغاة جميع الناس من كل الملل والنحل ، ليجمعوا اموالا لخزائن دولتهم وهى تلفظ انفاسها فى العقود الأخيرة من عمرها الذى زاد على مائتى سنة ! ..

وقد شن الاوربيون عليها الحرب ، بدافع دينى فى البداية ، ثم صارت حربهم توسعا واستيطانا استعماريا ، ونهض المسلمون فاسقطوا هذا النظام العاجز الفاسد ، واقاموا بديلا منه نظام العدل والمصلحة العامة ، فامتنع اضطهاد المسلمين والمسيحيين ، وازدهر مجتمع عربى اسلامى من المجتمعات النادرة فى التاريخ كله . إذا أخذنا فى الحسبان مصاعب ومخاطر الحروب الصليبية التى كان ذلك المجتمع يدفع نفقاتها الباهظة من دمائه وأمواله بلا انقطاع ..

لم يأبه الصليبيون للتحول الاجتماعى والسياسى الجذرى الذى وقع فى الدولة التى يحاربونها ، لأن امراء الاقطاع الصليبى فى سوريا ولبنان وفلسطين والأردن ، كانوا قد استقروا واستوطنوا فى الأرض العربية المغتصبة ، وصاروا ملوكا وأمراء يجبون خيراتها ويضعون فوق

رءوسهم تيجانها ، فانقلبت الحرب «المقدسة» الى حرب اقطاعية مبدؤها الأوحـــد مصـــلحة الامير الصــليبى الاقتصادية والسياسية ، وميراثه الذى انحدر اليه من اسلافه الفاتحين الأوائل الذين تدفقوا كالسيل على الأرض العربية مع نهاية القرن الحادى عشر ..

وبدت بوادر الانهيار على هذا المجتمع الأوربى الغريب فى الوقت الذى استبحرت فيه الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى مجتمع صلاح الدين ، فأمن الناس بعد الخوف الشديد ، حتى إن أصحاب السلع الثمينة كانوا إذا تركوها فى الطريق العام ثم عادوا اليها بعد ساعات او ايام ، وجدوها سليمة فى مكانها ! .. ومن بين هذه السلع الثمينة بهارات الهند ، وبخاصة «الفلفل» الذى كان «العملة الصعبة» فى ذلك الزمان ، وكان الأوربى إذا صار غنيا ، وصفه الناس بانه «كيس فلفل» ! .. كناية عن بلوغه اقصى الثراء ! ..

العفو .. والعقوبة

وصل ابن جبير الأرض الحجازية ، وحج واعتمر ، وسمع خطيب المسجد يدعو فى خطبته للخليفة العباسى ، ثم لشريف مكة ، ثم للسلطان صلاح الدين ..

يقول ابن جبير : «وعند ذكر صلاح الدين بالدعاء ، تخفق الالسنة بالتامين عليه من كل مكان .. وحق ذلك عليهم لما يبذله من جميل الاعتناء بهم ، وحسن النظر اليهم» ..

وبعد الحج سافر ابن جبير الى بغداد وغيرها من المدائن حتى دخل دمشق ، وقال عنها : «ليس أمام هذه البلدة ، بلدة اخرى للاسلام ، والشام أكثره بيد الافرنج ، فسبب الله هذا السلطان رحمة للمسلمين ، فهو لا يأوى لراحة ، ولا يخلد الى دعة ، ولايزال سرجه مجلسه ؟ .. إننا بهذه البلدة نازلون منذ شهرين وقد خرج — السلطان — لمنازلة حصن الكرك — فى الأردن — وهو محاصر له حتى الآن ، والله تعالى يعينه على فتحه» ! ..

ويروى ابن جبير بعض ما سمع من الشهود العدول عن صلاح الدين قائلا : «... وسمعنا احد فقهاء هذه المدينة — دمشق — يذكر عنه ثلاث مناقب ، إحداها «الحلم» .. فقد صفح عن جريرة احد الجناة عليه — أى على السلطان نفسه — ثم قال السلطان لمن حوله : اما انا فلان اخطىء فى العفو ، احب إلي من أن أصيب فى العقوبة» ! ..

«وجرى ذكر من سلف من اكارم الملوك وأجوادهم فقال السلطان : والله لو وهبت الدنيا للقاصد الآمل لما كنت استكثرها له ، ولو استفرغت له جميع ما فى خزانتى لما كان عوضا مما اراقه من حر ماء وجهه فى استماحته إياي» ! ..

«وحضره احد خاصته مستعديا على رجل ذكر انه باعه جملا معيبا ، فقال السلطان : ما عسى ان أصنع لك ؟! .. للمسلمين قاض يحكم بينهم ، والحق الشرعي مبسوط للخاصة والعامة ، وإنما انا عبد الشرع وشحنته — أى صاحب الشرطة لديه — فالحق يقضى لك او عليك» !

يعلق ابن جبير على هذه المناقب العظيمة قائلا باعجاب ومحبة : «... هذه كلمات كفى بها لهذا السلطان فخرا ، والله يمتع ببقائه الاسلام والمسلمين» ! ..

ويشهد ابن جبير — مع ذلك — حالة عجيبة من احوال المشرق العربى فى ذلك العصر .. ففى الوقت الذى كانت فيه غالبية مدن الساحل الشامى بايدى الافرنج كانت القرى والارض الزراعية وراء هذه المدن التى يحتلها الفرنجة تحت ايدى المسلمين ، يقيمون فيها ويزرعون أرضها ، وللفرنجة عليهم خراج سنوى يؤدونه اليهم بانتظام ، فيكتفى منهم الفرنجة بذلك ولا يؤذونهم إلا قليلا ، وربما احسنوا معاملتهم ، فى حين تضج القرى التابعة للحكم الاسلامى من خشونة بعض الولاة والجباة وسوء عملهم .

فوقعت — لهذا السبب — ملاحاة وفتنة بين مسلمى قرى الافرنج ، ومسلمى القرى الاسلامية ، واشتد الأسف والعجب من وفاق مسلمى القرى الخاضعة للفرنجة مع المحتلين الغرباء الأعداء ، بينما يئن مسلمو القرى التابعة لدولة المسلمين من جور بعض حكامهم المسلمين عليهم ، من وراء ظهر السلطان المشغول بالحرب المصيرية التى لا تنطفىء نارها ! ..

يقول ابن جبير متوجعا لهذه الحال : «... وهذه من الفجائع ! .. فالى الله المشتكى من هذه الحال» ! ..

● ●

عاد ابن جبير إلى الأندلس بعد ان راى صورة صادقة لعصر صلاح الدين الايوبى ، فشهادته لهذا العصر هى شهادة رؤية عين وليست اقوالا للرواة او المؤرخين .. وابن جبير لم يكن مؤرخا وكتابه ليس تاريخا ولكنه تسجيل عفوى شديد الصدق والأمانة يرتفع بامانته وصدقه فوق كل تاريخ ..

ولم يكد ابن جبير يستقر فى غرناطة وقتا ، حتى وصلت الى الأندلس انبـــاء انتصارات صلاح الدين وتحريره القدس بعد ان لبثت اسيرة فى ايدى مغتصبيها اكثر من ثمانين عاما ! ..

طرب ابن جبير طربا شديدا لتحرير القدس فشد رحاله إلى المشرق ثانيـــة ليصلى فى المسجد الاقصى وقد عـــاد مسجدا .

كانت رحلته الثانية هذه هى اخر مطافه فاستقر فى الاسكندرية التى احبها واحبته هى ايضا وسمته « سيدى جابر » .. وجعلت اسمه اول ما ينطقه القادم إليها صيفا او شتاء ! ..

اما كتابه الموجز البديع الذى تكاد تلمس فيه بيديك صدقه ونقاءه وتواضعه الجم ، فانه وثيقة متجددة الحياة ارتسم فيهـا عصر صلاح الدين الايوبى الفاصل فى تاريخنا حتى اليوم ..

وليس فى جميع كتب التاريخ الضخمة ، صورة لذلك العصر الخطير ، اكثر حيوية ودقة ، من صورته فى هذا « الكتيب » العظيم ! ..

كمال النجمي

هوامش

(١) لم يبدأ تاريخ الازهر الحقيقى المتصل الحلقات إلا منذ اعاد فتحه السلطان الظاهر بيبرس بعد عهد صلاح الدين باكثر من مائة سنة ..

(٢) من هنا يبدأ الطريق الصحراوى الممتد الآن بين القاهرة والاسكندرية ..

بقلم: حصه العوضي



لقطة عامة من حفل افتتاح المهرجان



شعار المهرجان ..

عدنا من المهرجان الثانى للانتاج التلفزيونى لدول الخليج العربى والذى اقيم فى دولة الكويت الشقيقة من ١٧ الى ٢٣ فبراير المنصرم .. عدنا ونحن نحمل فى جعبتنا مجموعة من الانطباعات ، والافكار ، والذكريات الحلوة ، والأمنيات لمهرجان أفضل .

تحت شعار «نحو انتاج تلفزيونى افضل» تم افتتاح المهرجان .. وتوافدت الجموع .. ليس من الخليج فقط .. وإنما من سائر اقطار الوطن العربى .. جمعتهم رغبة موحدة .. من اجل غاية واحدة وهى «الانتاج الافضل» .. وكان المهرجان .. لقاء اخويا شاملا . فهناك اجتمع الفن ، والانتاج والاخوة .. من تلفزيونات الخليج ، بالاخوة من تلفزيونات المنطقة العربية .

هناك .. تجددت اواصر اللقاء .. وتدفق فيض ثرى من الانتاج العربى فى ساحة المهرجان ..

فهذا لديه افلام وثائقية هامة .. وذاك لديه مسلسلات تاريخية قيمة .. واخر لديه نخبة من البرامج المنوعة والسهرات .

سيل لا ينقطع من العروض الفنية ، والحفلات الغنائية الساهرة ، واللقاءات المتجددة ، الزاخرة بالحركة ، والعطاء .

ولكن .. كيف كان تنظيم المهرجان .. ؟! كيف بدا ؟! كيف سار ؟! وكيف اختتم .. ؟! .

بعدسة خاصة جدا .. استطعت ان التقط بعض الملامح واللقطات من المهرجان الكبير .

حفل الافتتاح

افتتح المهرجان بحفل كبير اختلط فيه ضيوف المهرجان بضيوف الحفل .. واختلط الحابل بالنابل .. حتى ان وفود التلفزيونات العربية لم تتمكن لحظتها من التعارف واللقاء .

كنت اتمنى .. كما تمنى غيرى .. ان يكون حفل الافتتاح مقصورا على ضيوف وأسرة المهرجان .. ليكون حفلا ولقاء للتعارف .. قبل كل شىء .

لجان التحكيم

عجبت من تكوين اللجان .. وقد كنت أظن ان اعضاء الدول المشاركة لن تدخل لجان التحكيم بحال من الاحوال .. وأن اللجان ستتكون من أعضاء محايدين جدا .. ومتخصصين فى مجالات البرامج المقدمة .

ولكن تكونت اللجان من اعضاء الدول المشاركة فى المهرجان بالاضافة الى رئيس محايد .. وكان ذلك – فى رايى – سببا وجيها لأن تاتى الآراء والاحكام غير موضوعية بدرجة كبيرة . ذلك ان مجال التنافس موجود بين اعضاء اللجان انفسهم ، ولذا فلن يحاول اى عضو ان يضع علامة عالية لأى برنامج مهما بلغ مستوى ذلك البرنامج .. وذلك رغبة منه فى الاحتفاظ باعلى رقم لبرامجه هو .

وقد كنت اظن ان الاسماء الكبيرة التى دعيت من فنانى وفنانات الوطن العربى هى التى ستكون هذه اللجان .. ومنها ستصدر الاحكام . ومنها سنعرف ما هو الافضل !! .

● بالنسبة لتقرير «الافضل» .. أو لمصطلح «الأفضل» .. ترى ماذا كان المقصود به ؟! .. وما هى المعايير التى يمكن على اساسها تحديد « الافضل » ؟! .

فمقاييس البرامج التلفزيونية تختلف من برنامج لآخر .. اى من نوعية الى اخرى ..

فللدراما معايير مختلفة عن البرامج الثقافية





محمد ناصر السنعوسي .. رئيس المهرجان

.. ولهذه معايير تختلف عن برامج الاطفال .. ولكنها في النهاية تصب في معين واحد .. ولها أسس واحدة يعرفها من خبر التلفزيون وتعلمه ، وعلمه . ولذا فقد وجدت اكثر من علامة استفهام مطروحة بين اعضاء اللجان .. ترى ما هي مقاييس الأفضل ؟! . علما بان تليفزيونات المنطقة متفاوتة في كل شيء .

فهل اخذ ذلك في الاعتبار عند اختيار «الأفضل» .. !!

بالطبع .. لا .. ولو أن ذلك الموضوع دخل مجال النقاش في الاجتماع الأول للجان ، وكان ان طلب مراعاة ذلك عند الحكم .

فهل تدل النتيجة النهائية على ذلك ؟!!..

● كانت لجان التحكيم محبوسة داخل صالات العرض الخاصة بالتحكيم .. وهي أساسا وفود دول المهرجان .. وهكذا كانت بعيدة كل البعد عما يجرى خارج لجانها ، وضمن احتفالات المهرجان .. لذا كنت أود أن اقترح حينها تأجيل احتفالات المهرجان حتى انتهاء لجان التحكيم من عملها !.

الفنانون

حظى الفنانون العرب المدعوون الى المهرجان باهتمام كافة افراد الصحافة والاعلام .. وادارة المهرجان .

فقد انصبت الاهتمامات .. منذ بدء المهرجان عليهم . وافردت لهم الصحف مقالات وصفحات خاصة .. كما كسبت الاذاعة والتلفزيون من وجودهم لقاءات فنية كثيرة .. لقد كانوا ضيوف المهرجان حقا .. ولكنهم لم يقدموا للمهرجان شيئا .. ولم يقدم لهم المهرجان أى شيء سوى انهمار الشباب من أبناء ومواطنى الكويت لالتقاط الصور التذكارية لهؤلاء الفنانين بجنون منقطع النظير !!

الفنان الخليجي .. لم يكن له أى دور في هذا المهرجان .. على الرغم من أن المهرجان خليجي بالدرجة الاولى .. وقد طرحت بعض الصحف هناك تساؤلات حول هذا الموضوع .. وكانت محقة في ذلك .. وكنت أود أن يتلافى مسئولو المهرجان ذلك بسرعة .. حتى ولو بدعوة فنان واحد من كل بلد خليجي لحضور ختام المهرجان ! .

وأما الفنان الكويتي .. فقد كان موجودا وسط المهرجان .. وذلك لأن المهرجان أقيم على أرض الكويت . وكان حاضرا في كل الاحتفالات التي أقيمت هناك .. وكان حاضرا على صفحات الجرائد والمجلات المحلية . وفي الزوايا المخصصة للمهرجان .. أى انه هو الفنان الخليجي الوحيد الذي استمتع بالمهرجان ! ..

حفل الختام

كان الحفل الختامي للمهرجان .. غاصا بالحضور .. وتم تقرير (الافضل) .. وسافرت الوفود بعد المهرجان مباشرة دون أن يعرف أى فرد منهم لماذا كان ذلك البرنامج هو الأفضل ، ولماذا لم يكن ذلك الآخر ؟!..

كثيرون .. تمنوا لو أن الجلسة النهائية كانت ندوة مفتوحة بين لجان التحكيم والفرز ، لطرح وجهات النظر المختلفة والمتباينة حول البرامج التي فازت وحازت على جوائز المهرجان .. والبرامج الأخرى التي لم تحظ بذلك الفوز .. كنا نود أن نعرف .. لماذا فاز هذا .. وخسر الآخر ؟!! ما هي الايجابيات وماهي السلبيات ؟

إذن كيف يمكننا أن نسير نحو انتاج تلفزيوني أفضل .. ونحن لم نعرف حتى هذه اللحظة ماذا كانت مميزات ذلك الأفضل !! ..

مازلت أتساءل .. كيف سنشارك في المهرجان القادم ونحن لم نع شيئا من هذا المهرجان !! ..

ما خرجت به من ذلك المهرجان

● على الرغم من كل ذلك .. فقد تمكنت - كما تمكن غيرى - عن طريق المقابلات الخاصة الالتقاء ببعض الوفود العربية التي لم تكن ضمن لجان التحكيم .. كما استطعت عن طريق تلك المقابلات أن أجيب على عدد من التساؤلات المثارة حول (المرأة في قطر) .. لقد حاولت قدر الامكان إماطة اللثام عن فتاتنا والتعريف بها للجميع .

● تأكدت أخيرا .. أننا في الوطن العربي عموما .. نعاني الكثير والكثير نحو انتاج تلفزيوني للطفل .. وتمنيت لو أننا استطعنا - من خلال المهرجان - إقامة ندوات ولقاءات مكثفة حول برامج الطفل في الوطن العربي .. من اجل توحيد الجهود نحو إنتاج عربي موحد للطفل .

أمنيات للمهرجانات القادمة

● أن ينتقل المهرجان لأكثر من مكان .. ويقام كل مرة في بلد خليجي .

● أن تتكون لجان التحكيم من أعضاء محايدين .

● أن تكون هناك استمارات خاصة بلجان التحكيم وبها إرشادات وافية .

● أن تكون لجنة الفرز النهائية محايدة بحيث لا تضم أى عضو ينتمي الى دول المهرجان .

● أن يشمل المهرجان القادم الراديو والتلفزيون .

● أن يخصص في كل مرة نوع معين من البرامج ليكون مدار البحث والنقاش من أجل التطوير ، (وذلك خارج نطاق المسابقة كان يخصص النقاش والندوات لبرامج الأطفال مثلا .. أو الدراما .. الخ) .

وأخيرا ...

كان الهدف من هذا المهرجان التلفزيوني هو لقاء الأخوة الاعلاميين من دول الخليج والوطن العربي بعضهم ببعض .

كان الهدف عميقا .. فليس من السهل التنظيم لذلك الاجتماع الكبير ، في مكان واحد وزمان واحد .

لقد كان المهرجان - رغم كل شيء - نبضا واحدا .. وكيانا واحدا .. وكان هدفه الأساسي هو (التلاقي) .

فهل تلاقى الاخوان فعلا !! ..

آمل .. كما يأمل غيري أن يكون المهرجان القادم أفضل .. وأفضل ! .



الفنان العربي الجزائري محمد راسم

محمد راسم

فنان عربي أدهش العالم

ولد في الجزائر .. ومات قتيلا في السويد

تحقيق : د . نديم خشفة
محمد عايش



لوحة فنية صاغها بريشته الفنان محمد راسم ، لتكون غلافا لكتاب عن حياة البحار الجزائري المعروف خير الدين بارباروس .

كانت بغداد اهم مدرسة للمنمنمات العربية الاسلامية . ومن خلالها بدت أولى مظاهر البيئة الاجتماعية . وصورت مشاهد من الحياة اليومية فى واقعية حقيقية . ونرى ذلك بوضوح فى المنمنمات الفارسية للقرن الرابع عشر الميلادى .

وكان مركزها أول الأمر مدينة (تبريز) وهى تمتاز بالاناقة والحيوية والخيال الزاهى . وسوف تتميز بعد ذلك مدارس (شيراز) (و هراة) .

وقد نتج عن امتزاج مدرستى (هراة) و (سمرقند) الفن الهندى والاسلامي .

فأين يقف (محمد راسم) من هذه المدارس :

لقد اطلع محمد راسم بلاشك ـ على هذه المدارس كلها .. وكانت حياته مسيرة فنية ، يعمق من خلالها دراسته ، ويصقل اسلوبه ، ويزيد التصاقا بواقعه الجزائرى الذى هو محصلة للثقافات العربية الاسلامية فى المغرب العربى الكبير .



« فيلا جزائرية » لوحة للفنان العربى الجزائرى محمد راسم

محمد راسم

فنان عربي أدهش العالم



في الصورة الاولى :
الفنان يقوم بتمنماته الدقيقة في إحدى لوحاته مستعينا بمنظار مكبر يمكنه من تنفيذ ادق الخطوط وارهفها .

●

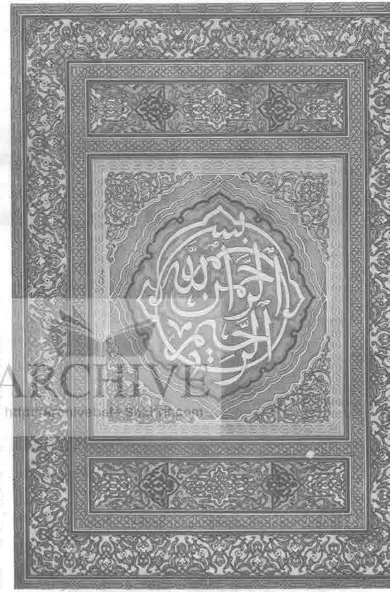
وفي الصورة الثانية :
لوحة « البسملة » .. ويلاحظ أن الفنان قد تجاوز فيها حدود قواعد الخط الثلث إلى آفاق التشكيل الزخرفي ، محتفظا في نفس الوقت بشخصية الحرف الثلث .

ولد محمد راسم سنة (١٨٩٦) من اسرة تسكن العاصمة الجزائر . وكان اخوه (عمر) فنانا ومناضلا سجن لمطالبته ببعض الحقوق الاجتماعية في بداية القرن العشرين (وتسمى باسمه الآن ثانوية كبيرة بالعاصمة) .

عندما كان طالبا في مدرسة الفنون ، اثناء الحكم الاستعماري ، لاحظ عليه اساتذته نبوغه في الرسم . واطلع سنة (١٩١٤) على كتاب (ثلاثة شهور عبر خراسان) لـ (هنري دلمان) فبهره هذا العالم الجديد من التصوير . وعزم أن يصقل موهبته ليصل إلى مرتبة اولئك الفنانين الخراسانيين العظام .

وعهد إليه سنة (١٩١٧) بتزيين بعض الكتب مثل (الاسلام تحت الرماد) لـ (هنري هاين) و (باربروس) وهو عن حياة البحار الجزائري المعروف الذي سيطرت أساطيله على البحر الابيض المتوسط زمنا طويلا .

كذلك قام برسم الزخارف والمنمنمات لـ (بستان سعدي) . لكن هذه اللوحات لم تطبع . وفضل الناشر ان يبيع اللوحات الاصلية لهواة الاغنياء من الامريكان .



متناسيا الأمانة العلمية والفنية ! !

وزين محمد راسم كتابا بعنوان (عمر الخيام) للكاتب الانكليزى (براون) .

وفى سنة (١٩٢١) حصل على منحة للتفرغ . فاقام فى اسبانيا بعض الوقت .

وفى (قرطبة) و (غرناطة) اعاد اتصاله الروحى بالأجواء الفنية الاسلامية الزاهرة .

وفى سنة (١٩٢٤) منح وســـــام المستشرقين فى باريس . وكان هذا اعترافا عالميا بقيمته الفنية .

وربما كان اعظم عمل انجزه محمد راسم هو تزيينه لكتاب (الف ليلة وليلة) من ترجمة (مادروس) . فاقام فى باريس ثمانى سنوات . فكان الرسام (ليون كاريه) يرسم اللوحات ، ويتولى هو تزيين حروف التاج او تزويق مطالع الصـــــفحات . فانجز منمنمات تفوق المائة لكل مجلد . فاذا علمنا ان الكتاب يحتوي (١٢) مجلدا ادركنا صعوبة ذلك العمل وقيمته الفنية البالغة .

يضاف إلى ذلك عدد كبير من اللوحات المنمنمة :

ـ تاريخ الاسلام وانتشاره منذ نزول الوحى حتى زمن السلطان عبد المجيد .

ـ نساء عند النبع .

ـ عرس جزائرى .

ـ خير الدين باربروس .

ـ الخطوبة .

ومئات غيرها مما لا يتسع المجـــال لنشرها او الحديث عنها .

عرض محمد راسم لوحاته عبر العـــالم الغربي كله : باريس ـ بوخارست ـ فيينا ـ ستوكهولم . وفى عاصمة السويد هذه تعرف على رفيقة حياته ورفيقة مـــوته ايضا . فقد اقتحم عليه اللصوص منزله ليلا وقتلوه مع زوجته طمعا ، ولم يرحما شيخوختهما . ولم يعرف المجرمون الى الآن وكان ذلك سنة (١٩٧١) .

* * *

ان صنع المنمنمة عمل شاق مرهق ، يتطلب ثباتا فى اليد ، ودقة فى تحديد الخط ، ومهارة فى اختيار الالوان ومزجها. والعمل الاهم هو التذهيب . لذلك يستعمل الرسام مكبرة تساعده على رؤية واضحة للخطوط ، وانعكاس النور على الطبقات اللونية .

وتتداخل فى المنمنمة عدة عناصر فنية :

اولا ـ الموضوع : حفلة عرس او معركة بحرية أو شخصية تاريخية .

ثانيا ـ زخارف الارابسك . وهى تكون داخل الصورة من سجاجيد وجدران واعمدة ، أو خارج الصورة وهو الاطار الذى يعتبر جزءا منها .

ثالثا ـ الخطوط العربية . وقد تكون اية قرآنية ، أو حديثا نبويا شريفا ، أو حكمة شهيرة .

وتتحكم فى هذا كله قدرة الفنان وذوقه ، وحساسيته فى توزيع الالوان وتناسب الشخصيات فى مواقعها من اللوحة .

ويرجع إلى (محمد راسم) الفضل فى بعث هذا النوع من الرسم وإثرائه ومتابعته . فلولاه لاندثر من العالم العربي وهو على ما نعلم ـ الفنان العربى الوحيد الذى وهب فنه للوحات المنمنمة . وتابعه على ذلك جيل من الفنانين الجزائريين حتى قررت هذه المادة فى برنامج كليـــة الفنون الجميلة بالجزائر .

نديم خشفة ـ محمد عايش

من هنا بدأت نهضة المسرح العربي



نعمان عاشور فوجىء برفض مسرحيته من المسئول فى مسرح الدولة

.. كان ذلك عام ١٩٤٩

والقاهرة يغمرها نشاط ثقافى عارم يتمثل فى الندوات والروابط والجماعات الثقافية المفقودة التى كانت تملأ ايامها ولياليها .. وكنت قد شرعت نحو الكتابة للاذاعة .. وقدمت اكثر من تمثيلية اذاعية لاقت نجاحا وتقبلا ثم بدأت فى اعداد بعض المسرحيات العالمية لتذاع على مدى ثلاثة ارباع الساعة كتمثيليات اذاعية .. نفس ما جاء يقدمه البرنامج الثقافى (البرنامج الثانى) حين بدا ارساله فى سنوات لاحقة. عن هذا الطريق اخذ اهتمامى بالمسرح وشغفى بالكتابة الدرامية يشق مجراه العملى التطبيقى ان جاز التعبير .. وبدأت اتعرف فى الاستديوهات الاذاعية التى كانت تسجل فيها هذه الاعمال على العديد من الممثلين .. وكانوا فى معظمهم من خريجى معهد التمثيل ايامذاك ومن بينهم الجمع الذى تشكل منه المسرح الحر . فى نفس هذا العام ايضا دفعنى نشاطى مع شباب الادباء فى هذه الفترة .. الى محاولة نشر انتاجنا القصصي والشعرى والنقدى فاتجهنا نتيجة لاعراض المجلات التقليدية (الرسالة والثقافة) عن قبول نشر انتاجنا .. الى محاولة اصدار مجلة خاصة بنا .. وقادتنا الظروف وفى مقدمتنا الاستاذ مفيد الشوباشى وبيننا الاصدقاء زكريا الحجاوى واحمد عباس صالح وعلي الراعى والمرحوم انور المشرى والعديد من الذين قد لا تعيهم الذاكرة .. قادتنا الظروف لاشباع رغبتنا فى نشر انتاجنا الى الكتابة فى مجلة محلية كان يصدرها النادى النوبى بعابدين وهى مجلة تعبر عن ابناء النوبة فى القاهرة .. وكانت المجلة تصدر بغير انتظام وحسبما تسمح به ميزانية النادى فتكفلنا نحن باصدارها ودفع تكاليف الاعداد من جيوبنا وكانت ايامها زهيدة . وخصوصا واننا كنا نكتب فيها مقالاتنا وقصصنا ودراساتنا بدون مقابل . وكانت هذه المجلة فى باديء الأمر اسمها « الميزان » والمشرفون عليها من اعضاء النادى طلبة فى قسم النقد بمعهد التمثيل ويقومون بتوزيعها فى المعهد ويحاولون تخصيصها للكتابة عن المسرح . وهكذا جاء ارتباطى بهذا المعهد وطلبته وخريجيه من الممثلين خلال تمثيلياتى الاذاعية،وطلبته وخريجيه من الدارسين والنقاد عن طريق مجلة «الميزان» . ايامها كانت كل قراءاتى تتركز فى المسرح وخاصة مسرحيات تشيكوف وأبسن وبرناردشو وجوركى . وطبيعى ان تنصب كتاباتى فى المجلة على ما انا شغوف ومهتم به وهو المسرح .. كتبت فيها عدة مقالات عن ابسن وتشيكوف . وبعد ان كنا نوزع المجلة باليد عهدنا بها الى متعهد شجعنا فى البداية بما كان يقدمه من تسهيلات لتغطية النفقات ولم تكد تمضى شهور حتى قبل اعضاء النادى النوبى اقتراحنا بتغييراسم المجلة من « الميزان » الى «الأديب المصرى» وظلت المجلة تصدر اكثر من عام ثم تشتت شملنا امام الصعوبات المالية والتكاليف الباهظة لكل عدد ..

هكذا جاءت معرفتى الباكرة بمعظم من قدر لهم ان يكونوا فرقة المسرح الحر فيما بعد ذلك بسنوات قليلة .. وكلهم كانوا من خريجى معهد التمثيل .. بينهم الفنان الذى يمثل او يخرج والدارس الذى يبحث او ينقد .

كتابة مسرحية

بعد كتابة متصلة فى الاذاعة لاكثر من عامين بمعدل تمثيلية اذاعية كل اسبوع وفى الوقت نفسه .. نتيجة لتاثرى بما اقرا من مسرحيات وما اجريه لها من اعدادات وبسبب شغفي المتزايد بالدراما ودراساتي وتاملاتي لما يكتبه تشيكوف وجوركي وابسن وشو وغيرهم .. وجدتني ذات يوم على نهاية عام ١٩٥٠ ولشدة تاثري بالبيئة التى كنت اعيش فيها وهى بيئة غنية بالشخصيات المثيرة . وجدتني اجد ما اكتبه للاذاعة على انه جهد ضائع فى الهواء .. يسجل ويذاع ثم تنتهي قيمته وينقطع اثره،وما يعود علي به من جزاء مادى لا اكاد احس به امام متطلبات حياتي اليومية ومسئولياتي العائلية .. فجاة .. وجدتني اقلع عن الكتابةللاذاعة وانطوي على نفسي لاكتب مسرحية . كان هذا الاتجاه بمثابة اكتشاف بالنسبة لي إذ ماكدت اشرع فى تاليفها مزودا بتجاربي فى الكتابة الاذاعية وطاقتي الدافعة وتمكني من الحوار الدرامي حتى اندفعت لاتمام « المغناطيس » مسرحيتي الأولى التى لم تستغرقني كتابتها اكثر من شهرين .. ولست استطيع أن أصور مبلغ فرحي ومدى اعتزازي بها .. ولكن يكفي اننى من شدة حرصي على نصها .. أن اعدت كتابته من نسختين .. الأولى كنت اقراها لأهلي واصدقائي وزملائي من الأدباء .. والثانية احتفظت بها فوق « الصندرة » داخل صندوق أوراق قديمة لوالدى .

لم اكن ادري ماذا يمكن أن افعله بها ..

- لماذا قامت فرقة المسرح الحر ولماذا انهارت ؟
- تلاميذ زكي طليمات يطالبون بالاستقلال عنه فيستقيل من عمله .
- توفيق الدقن يدافع عنى أمام القضاء !
- ناقدان كان لهما أثر كبير فى حياتى : مندور وعباس صالح .
- أول مسرحية لى تم عرضها بعد خمس سنوات من كتابتها .
- « الناس اللى تحت » كانت بداية عصر مسرحى جديد .

ولهذا سرعان ما هدا حماسي وعدت لاتابع الكتابة للاذاعة من جديد لدرجة انني فكرت ذات مرة ان اختصرها واحولها إلى مسرحية إذاعية من نصف ساعة .. لكني عدلت لشدة اعتزازى بها .

ملفات المسرح

فى عام ١٩٥٢ تركت وظيفتى فى بنك التسليف لاعين باحثا اجتماعيا فى وزارة الشئون الاجتماعية .. وكنت لا ازال اكتب تمثيلياتي للاذاعة وعلى صلة متصلة دائمة بكل الممثلين والنقاد الجدد من خريجي معهد التمثيل : فلما قامت الثورة في يوليو انتدبت للعمل فى مكتب وزير الشئون الاجتماعية المرحوم زهير جرانه .. وعهد إلي بتشكيل مكتب الشئون العامة .. يشرف على الاعمال الصحفية والهيئات الفنية التابعة للوزارة ومن بينها المسرح ، فقد كان المسرح فى تلك الايام تابعا لوزارة الشئون ومن قبلها لوزارة الاشغال . ويبدو ان الاقدار كانت تدفعني دفعا إلى الاتجاه نحو المسرح .. وذات صباح فوجئت بوفد من ممثلي المسرح الحديث وهي الشعبة الثانية من الفرقة القومية التى تضم الممثلين الجدد من خريجي معهد التمثيل (الدفعات الاولى) وكان من بينهم عبد الرحيم الزرقاني وحمدي غيث ونبيل الالفي ومحمد السبع على ما اذكر .. جاءوا بوصفهم تابعين للوزارة ومعهم مذكرة يطالبون فيها باستقلال شعبتهم عن الفرقة القومية التى كان يراسها آنـذاك استاذهم زكي طليمات لانهم يمثلون جيلا جديدا لا يجب ان يعمل فى ظل سيطرة القدامى .. وعهد إلي الوزير ببحث الموضوع وان اقدم له فى نهاية الامر مذكرة بما انتهي إليه .. هكذا فجاة وجدتني مسئولا عن المسرح .. والتقيت بجميع الممثلين للتعرف على موقفهم وكان بينهم أحمد علام نقيب الممثلين فى ذلك الحين . وانتهيت إلى قرار وافق عليه الجميع وهو ضرورة الفصل بين الشعبتين .. ولكني ماكدت أعد مذكرة بذلك لرفعها إلى الوزير حتى كانت الوزارة قد استقالت ..



زكى طليمات ثـار عليـه تلاميـذه وطلبـوا الاسـتقلال عنه

وعرض الامر على الوزير الجديد فاذا بنا نفاجا باستقالة الاستاذ زكي طليمات من ادارة الفرقة القومية .. وطلب إلى الوزير الجديد (المرحوم الاستاذ فؤاد جلال) استطلاع راي اعضاء الشعبتين من الممثلين . فاجمعوا على اختيار الاستاذ دريني خشبة لادارة الفرقة .. وكان ان صدر قرار بذلك .. ولان الاستاذ دريني كان موظفا معنا بالوزارة ويشتغل وظيفة أعلى مني فقد سارعت بتسليمه كافة الملفات الخاصة بالمسرح تقديرا لاستاذيته ومكانته . واعجب الرجل بموقفي منه . كانت الامور جميعها مضطربة وكنا نجتاز ايامها فترة تحول سريعة مليئة بالاهتزازات .. ولاني لم لكن اطيق الاعمال الادارية بدات اتخفف من مسئولياتي الوظيفية لاتفرغ للكتابة فى الاذاعة ونشر قصصى القصيرة فى الصحف .. وهذا مبدا التزمت به طوال حياتي فيما بعد . فكنت أرفض كافة الاعمال وما يعرض علي من وظائف على اعتبار لتني كاتب صاحب قلم ولا يمكن ان اكون موظفا باى حال من الاحوال .

وراء الكواليس

افادني الالتزام بهذا الموقف ايامها فائدة كبرى .. فقد وجدتني بحكم صداقاتي وعلاقاتي بالمسرحيين فى كافة المجالات .. فى المجلة وفى الاذاعة ثم اخيرا فى المسرح ذاته اتردد على الفرقة القومية بشعبتيها واقضي معظم لياليَّ فى حضور بروفات مسرحياتها أو السهر فى نقابة الممثلين وكان يراسها الاستاذ احمد علام الذى ربطتني به ايامها صداقة قوية .. وفي عام ١٩٥٣ م على ما اذكر كنت اشهد بروفة لاحدى المسرحيات فى الفرقة القومية .. مسرحية سياسية لشتاينبك الاميركي . تقدمها فرقة المسرح الحديث (شعبة الشباب الجدد) ودعاني الأستاذ دريني خشبة إلى زيارته فى مكتبه بعد البروفة وجاءت المناسبة إذ كان يشكو من عدم وجود مؤلفات مصرية للمسرح .. وتحمست وعرضت عليه أن اقدم مسرحية من تاليفي فتحمس الرجل . وكان ان وافيته فى اليوم التالي بنص « المغماطيس » مكتوبة فى كراس محاضرات .. وبعد شهور من مداومة الاتصال به والالحاح لمعرفة رايه فيها .. صدمني بانه يرفضها رغم جودة الحوار .. وانني لازلت شابا صغيرا مبتدئا .. وعلى ان اكتب غيرها وهو على استعداد لقبولها وتقديمها فى مسرح الدولة إن أعجبته ..

كنت شديد الاعتزاز بنص « المغماطيس » وجاء رفض الاستاذ دريني ليزيدني اعتزازا بها واصرارا عليها .. انا واثق انها مسرحية جيدة .. هكذا كان اعتقادى من البداية .. ايامها كانت هناك دفعة جديدة من خريجي معهد التمثيل لم تتح لهم الفرصة للالتحاق بالمسرح الحكومي فكونوا فرقة اهلية فيما بينهم كهواة .. وسموها المسرح الحـر .. وقدموا اكثر من مسرحية .. كانوا يقومون بتمثيلها خلال الصيف فى بورسعيد ثم يعودون بها لعرضها فى القاهرة على اى مسرح تسنح لهم الظروف باستئجاره لبضع ليال .. وكان بينهم العديد من الأصدقاء الذين عرفتهم فى اداء تمثيلياتي الاذاعية .. سعد أردش وعبد الرحيم التطاوى وعبد المنعم مدبولي وزكريا سليمان وعلى الغندور ومحمد رضا وكمال يس .. وكان معهم توفيق الدقن ولم اكن قد عرفته بعد .. كان يجمعنا حب المسرح والشغف به ووجدت فيهم خير مايمكن ان يحقق املي في ان ارتبط بالمسرح عن طريق الكتابة له .

من هنا بدأت نهضة المسرح العربي

فى بور سعيد

فى اغسطس عام ١٩٥٥م سافرت مع اعضاء فرقة المسرح الحر إلى بورسعيد . كانوا جميعهم قد اصبحوا اصدقائي ، وتوطدت العلاقة وزادت بينى وبينهم اثناء البروفات الطويلة التى اجريناها فى القاهرة على المسرحية . وعرض النص من ثلاثة فصول وكان ابرز ما اعجبني وبالذات مخرجها ابراهيم سكر حماس الهواية إلى جانب الاحترام الكامل للكلمة المكتوبة . لم تكن افة الخروج على النص قد ظهرت بعد وكان اعضاء الفرقة متاثرين بدراساتهم فى المعهد وهوايتهم للتمثيل ونجحت المسرحية وظلت تعرض بينما عدت انا بعدها بايام إلى القاهرة كان ابرز ما افادنى فى هذه الخطوة اننى التقيت بمجموعة من الهواة مثلى يحبون المسرح ولهم طموحهم فى اثبات وجودهم الفنى . وهكذا ابرزت المسرحية مواهب عدة من بينهم لانها كانت تقوم على رسم شخصيات درامية يعتمد الممثل فى تجسيدها على النص اكثر من اعتماده على مواهبه الخاصة . وتلك هى الخاصية التى ظهرت فى بقية مسرحياتى بعد ذلك . فمن خلالها استطاع العديد من الممثلين ان يجد نفسه لانه يقوم بتمثيل ادوار تستنهض مواهبه وتكشف عن طاقاته بدون ما حاجة الى ان يبذل جهداً فى محاولة تقمصها بافتعال أو صنعة . ذلك انها شخصيات لم تكن تفصل تفصيلا على الممثلين لتناسب مقدرتهم بقدر ما كانت تتطلب من الممثل ان يلبس الشخصية بصدق كما هى مرسومة فى النص لكى ينجح فى ادائها . وهكذا برز توفيق الدقن وعبد المنعم مدبولى ومحمد رضا ثم من بعدهم صلاح منصور وشفيق نور الدين وملك الجمل وماجدة الخطيب وعبد الغنى قمر وعايدة كامل وصلاح السعدنى والعديد من الممثلين الاخرين وكان بروزهم منبته الأدوار الباكرة التى لعبوها فى مسرحياتى ، ولا أقول هذا زهوا أو اعتدادا لانه طبيعة لاصقة من سمات اللون الذى اكتبه وهو مسرحيات الشخصيات التى من لحم ودم .. وليس مسرح الاحداث او الافكار او القضايا المطلقة التى تقدم فيها الشخصية لتعبر عن فكرة أو تطور أو تصور حدثا .. من اجل ذلك وبعد أن عدنا الى القاهرة وعرضت المسرحية فيها على خشبات دار الاوبرا مباشرة .. راح المسرح الحر يلاحقنى لكتابة مسرحية اخرى لهم .. واستطاع الصديق سعد أردش وكان قد اصبح رئيسا لمجلس ادارة الفرقة بعد ثلاثة شهور فقط من تقديم المغماطيس أن يقنعنى بكتابة مسرحية اخرى .. فكانت «الناس اللي تحت» .

الاطار العام

لم يرتبط اسمى مع المسرح الحر بالمغماطيس .. وتوطدت صلتى بهم بعد كتابة وعرض الناس اللي تحت . لكن لماذا ؟! لانها كانت المسرحية الثانية التى تنجح لمؤلف جديد مع فرقة جديدة . ومن هنا يأتى دور المسرح الحر وحقيقة وجوده كفرقة تمثيلية فى تلك المرحلة من بدايات نهضتنا المسرحية المعروفة بمسرح الستينات . ويحسن هنا أن نلم بحقيقة الاطار المحيط بتلك الفترة . إن وقوع ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ لم يات اعتباطا ولم يكن نتيجة لتمرد بعض ضباط الجيش الذين عرفوا بتنظيم الضباط الأحرار . وإنما وقعت الثورة لأنها كانت نقطة تبلور لكل ما سبقها من احداث سياسية وتطورات اقتصادية وتطلعات اجتماعية وانتفاضة ثقافية . تكشف لنا عن تلك الفترة الغنية العامرة بالتحرك داخل الحياة المصرية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية . فقد نتج عنها مع انتصاف القرن وقيام اسرائيل .. اتجاه سياسي عارم نحو انهاء الاحتلال واعوانه فى الميدان السياسى .. والمناداة بسرعة ادخال الصناعة وتعلية خزان اسوان وتحديد الملكية الزراعية فى المجال الاقتصادى . ثم اقرار العدالة الاجتماعية لصالح الطبقات الشعبية فى المجال الاجتماعى . كل ذلك كانت هناك فى الثقافة والادب والفن اتجاهات ودعوات جديدة تركزت فى الأخذ بمذهب الواقعية فى الرواية والقصة والتحرر بالشعر والاهتمام بالفنون التشكيلية المعبرة عن البيئة المحلية الخ .. الخ .. وفى ظل هذا الاطار من التحولات .. كان المسرح وبالذات الفرقة القومية التى تمثل مسرح الدولة وهى الفرقة الوحيدة القادرة على مواصلة النشاط بدعم الدولة ، كانت تتعثر فى عروضها لأنها لا تقدم للجمهور غير ما كان يقدم من سنوات عديدة وكلها اعمال مسرحية جامدة وترجمات عقيمة لا تحمل اى مضمون اجتماعى أو فكرى يربطها باحاسيس الناس ومشاعرهم وتطلعاتهم الاجتماعية والفكرية .. وكانت فرقة الريحانى تحاول بعد وفاته عام ١٩٤٩ ان تتعلق بتراثه دون جدوى لانه تراث درامى كان قوامه الريحانى وحده كممثل بارع موهوب . ولم يكن هناك من الفرق المسرحية غير فرقة اسماعيل ياسين تعيد تقديم المقتبسات التى استهلكت منذ بداية القرن .. وتخرجت الدفعات الاولى من (معهد التمثيل) ولم يكن امام خريجيها إلا المجال الضيق للعمل داخل الفرقة القومية وفى الشعبة التى تكونت باسم المسرح الحديث لتوظيفهم فيها .

لقاء بالمسرح الحر

فى استديو الاذاعة ونحن نسجل احدى تمثيلياتى لقيت علي الغندور وكان مشتركا فيها وهو عضو فى المسرح الحر .. فما ان علم بان لدي مسرحية مؤلفة حتى سارع فى مطالبتى بتقديمها للمسرح الحر . ولم اتردد .. حملت نص «المغماطيس» الذى رفضه الاستاذ دريني خشبة .. ولم اكن غاضبا او محنقا من هذا الرفض .. وصحبنى الصديق احمد عباس صالح لقراءتها معى على لجنة القراءة الخاصة بالمسرح الحر . واذكر من اعضائها الصديق محمد علي ماهر وابراهيم سكر (الدكتور فيما بعد) وسعد أردش وكمال يس وتوفيق الدقن . قرات لهم نص المغماطيس على ثلاث ليال متتابعة وبحضور ومعاونة عباس صالح الذى كان متحمسا لها .. لكنهم لم يوافقوا عليها .. وطلبوا اجراء العديد من التعديلات فيها ولاسيما اختصارها الى ثلاثة فصول بدلا من اربعة ولكنى رفضت . كان النص يختلف فى بنائه الدرامى عما تعودوا عليه ودرسوه فى معهد التمثيل وهو ضرورة أن تكون المسرحية متفقة مع قواعد ارسطو . لها بداية تمهيدية تتطور الى عقدة ثم تنتهى العقدة الى الانفراج الذى تعقبه الخاتمة ... ولم تكن مسرحيتى تجرى على هذه الوتيرة ـ وحاولوا عبثا اقناعى باجراء التعديلات المطلوبة وانهم على استعداد لتقديمها لانها تعالج موضوعا اجتماعيا هاما .. وكان توفيق الدقن هو الوحيد الذى وافق على نص المسرحية كما هو ورفض مثلى ان اقوم بتعديلها او تغييرها وخرج ساخطا معى على هذا الموقف من جانبهم .. ومن هذه اللحظة بدات معرفتى به وصداقتى له ..

ما هو المسرح الحر ؟!

رغم أننى سحبت نص مسرحيتى «المغماطيس» من المسرح الحر . فقد بدات تنمو علاقة بينى وبين اعضائه ، فكانوا يدعوننى الى حضور مسرحياتهم سيما بعد ان اكتشفت فيهم الرغبة الخالصة فى تقديم

مسرحيات جادة لها مضمونها الواقعي الاجتماعي .. فلقد كان هذا هو التيار السائد ايامها والمسيطر على روايات نجيب محفوظ وافلام صلاح ابو سيف وقصص يوسف ادريس .. التيار الواقعي الاجتماعي . وقد تاثر به افراد هذه الفرقة سيما من كان منهم صاحب اهتمامات ادبية او ثقافية . كانت الفرقة القومية بشعبيتها تقتصر على تقديم مسرحيات مترجمة ومعربة او تعيد تقديم مسرحياتها القديمة.

انفتح المجال امام المسرح الحر سيما وانه كان يتكون من خريجي المعهد الذين اغلقت امامهم أبواب الفرقة الحكومية واجبروا على الهواية بدلا من الاحتراف .. وبسبب ما كان يسيطر على الحياة الاجتماعية من تيارات تجنح بها الى التمرد وعلى الحياة الثقافية من اتجاهات تفرض عليها الالتزام بالواقعية .. بدات اشعاعات مثل هذه المنطلقات تنطبق على المسرح الحر واعضائه ..

بعدها بعامين وبالذات فى عام ١٩٥٤ لم يكن أمام المسرح الحر واعضائه إلا ان يعيدوا تقدير موقفهم على ضوء المناخ الاجتماعي والثقافى السائد .. كانت كل المسرحيات التى يقدمونها .. وهى قليلة لا تزيد عن مسرحية فى كل موسم تعتمد على روح الهواية الحماسية .. لكنها لا تستمر او تنجح لتعود عليهم باى دخل مادى أو كيان فنى .. وان كانت تمدهم بالمثابرة اللازمة لاثبات وجودهم وتحقيق طموحهم .. وكان الاحساس ايامها غامرا بنقل الأوضاع الاجتماعية وما يملؤهـا من تيارات فكرية اضطرتهم الى اعادة النظر فى موقفهم من المغماطيس .

تقديم المغماطيس

وهكذا وبعد اكثر من عامين .. ومع بداية موسم ١٩٥٥ .. اتصل بى ابراهيم سكر ليطلب الى زيارتهم فى المسرح الحر لانهم قرروا بناء على اقتراحه تقديم مسرحيتى اخيرا .. كان الاعتزاز بنص المغماطيس والايمان بقيمته قد بلغ بى حد مغاضبتهم ومقاطعة التردد عليهم . ولكنى لم اقطع صلتى بهم كاصدقاء كانت تجمعنا طبيعة العمل معا فى الاذاعة .. وأعاد ابراهيم سكر الكرة فطالبته بزيارتى فى منزلى .. وانتهت جلستنا الى اقتناع غير كامل من جانبى وتعديل النص الى ثلاثة فصـول بدون المساس باى مشهد او شخصية أو حوار . وترددت لفترة إلى أن اقنعتنى زوجتى رحمها الله ـ وكنت قد قرات لها نص المسرحية ـ ان اوافقهم على هذا الاختصار ما دام لن يضر بالنص وبالفعل اختصرت احداث الفصل الثالث ودمجتها بالفصل الثانى واخرجت منها شخصية المحامى مكتفيا بوكيل مكتبه .. واصبحت المسرحية من ثلاثة فصول . ولكن نفسي ظلت تابى على ان اقدمها لهم بمثل هذا التنازل لولا ان الصديق عباس صالح اخذها،ومن تحمسه لها من البداية وقدمها بنفسه .. بعدها بايام جاءنى ابراهيم سكر لنتفق على الاخراج .. وهكذا شاهدت مسرحيتى الأولى بعد خمس سنوات طويلة.

دور المسرح الحر

المسرح اذن كان يحتضر والساحة المسرحية خالية .. ولذلك فما ان ظهرت فرقة المسرح الحر حتى سدت فراغا ممهدا ومشجعا لها بفضل عدة عوامل .. منها انهم شبان جدد انبتتهم الأوضاع المتغيرة الجديدة بكل ما يحيطها من اتجاهات وافكار وتطلعات .. ومنها انهم لا مكان لهم فى الحياة المسرحية القائمة بعد ان سدت امامهم سبل الالتحاق بالفرقة الحكومية فكان لابد ان يشقوا طريقهم الى المسرح باعتمادهم على هوايتهم له . ومنها ايضا خلو الساحة المسرحية من اى نشاط خلاق متجدد .. ومن اجل ذلك سارعوا حين تكشفت لهم حقيقة مسرحيتى المغماطيس وفحواها .. بمضمونها الاجتماعى الواقعى واسلوبها الكوميدى ولغتها الدرامية الجديدة ، سارعوا الى تقديمها فنجحت وكان سبب نجاحها توافر عدة عناصر .. فالمسرحية بواقعيتها تعالج مشاكل يعيشها الناس ، وتستكمل المقومات المفتقدة فى عدم وجود كوميديا حقيقية . ثم انها تخاطب الناس بلغة مبسطة تحمل لهم من الافكار والاراء والمعانى والقيم ما يمس صميم حياتهم . كل هذا الى جانب روح الهواية والطموح الفنى والحماس الذى لا وجود له فى الفرق التجارية وغير التجارية القائمة .

تفتت الفرقة

وجاءت مسرحيتى الثانية الناس اللي تحت لتدعم كيان الفرقة فكانت بمثابة وضع اللبنة الأولى لقيام مسرح معاصر جديد .. هكذا اعتبرها النقاد جميعا . وبعد نجاح الناس اللي تحت بدا النزاع يدب بينى وبين المسرح الحر فقد قدمت لهم نص المسرحية فى أول الأمر بعنوان «مصر الجديدة» وعرضت بهذا العنوان فى بورسعيد . فلما عادت الفرقة الى القاهرة . طلبوا الى وضع عنوان اخر لـها يتناسب مع معالجتها الكوميدية . ولكنى كعادتى رفضت ذلك الى ان اقنعنى المرحوم الدكتور محمد مندور،وجدته ان نفس العنوان سبق ان قدمت به مسرحية قديمة الفها فرح أنطون فى أوائل العشرينات . ولم اتردد فى اختيار العنوان الآخر إذ وجدته مكررا فى اكثر من عبارة فى حوار الفصل الثانى وعلى لسان صاحبة العمارة إذ كانت تطلق على سكان البدرون حيث تدور احداث المسرحية .. «الناس اللي تحت» .. وقدمت لهم العنوان الجديد فى ورقة مكتوبة سلمتها لتوفيق الدقن وهو فى فرح بالاختيار . وعاش المسرح الحر لا يقدم إلا الناس اللي تحت .. بعدها بعامين نشرت نص المسرحية فى كتاب وتعاقدت معى شركة سينمائية لاخراجها فى فيلم فاذا المسرح الحر يقاضينى فى المحاكم بزعم ان المسرحية ملكهم ومن تاليفهم .. ودام النزاع لاكثر من عامين اخرين الى ان فصل القضاء بشهادة الدقن فقضى بأننى المؤلف الفعلى للمسرحية بنصها وعنوانها .

اما سبب قيام هذا النزاع بينى وبينهم فمرجعه عدة عوامل أهمها اننى رفضت بعد هذه الادعاءات ان اقدم لهم مسرحيتى التالية «الناس اللي فوق» وقدمتها الى المسرح القومى .. فراحوا يزعمون فى كل مجال انهم اصحاب الفضل عليَّ ولولا هم ما اصبحت كاتبا مسرحيا ..

بعد الناس اللي تحت سدت المسالك امام المسرح الحر فلم يستطع ان يقدم اية مسرحية اخرى .. فتوقفت الفرقة نهائيا عن اى نشاط مسرحى وتشتت افرادها فى مختلف الفرق .. بينما استمرت كتاباتى للمسرح ولم تنقطع ولن تنقطع بمشيئة الله إلا بوفاتى ..

تاريخ مبتور

اننى لا أرصد هذه الحقائق نكاية فى المسرح الحر . وليس فى ذهنى ان اقلل من قيمة الدور الذى لعبته هذه الفرقة وافرادها فى بواكير نهضة مسرحنا المعاصر .. ولكنى اروى الوقائع كما حدثت لادلل على ان المسرح الحر لم يكن على وعي كاف بأهمية الدور الذى قام او كان يمكن ان يواصله فى خدمة الحركة المسرحية وتطورها .. خاصة بعد ان طغت على اعضائه اطماع الاحتراف التى افقدتهم روح الهواية وبالتالى حب المسرح .. ولذلك ومنذ اكثر من عشرين سنة تحولت الفرقة بمن بقوا فيها الى مجرد لافتة او عنوان لا يعبر إلا عن تاريخ مبتور .. رغم انها افرزت للحركة المسرحية العديد من الممثلين البارعين الذين اصبح لهم شانهم فى مختلف المجالات الدرامية الأخرى .

نعمان عاشور

دليل القارئ الذكي



● **هل تعرفون حبيبتى**
تأليف : ناصر الدين النشاشيبي
الناشر : المركز العربى للطباعة والنشر ـ لندن ١٩٨٢ .



كما يكتب العشاق رسائل الهـــوى باعصابهم ، ودموعهم ودمائهم ، كتب الصحفى الكبير ، الأستاذ ناصر الدين النشاشيبى قصة هواه للقدس ، بدموع الشوق ، واهات البعد .

ان كتاب « هل تعرفون حبيبتى » مجرد قصة حب كبيرة بين الكاتب وبين مدينته ، ومسقط راسه القدس ، جرت فصولها على مدى أربعين عاماً من عمر الكاتب ، ومن عمر القدس ايضا .

درس الأستاذ ناصر الدين النشاشيبى العلوم السياسية لكى يخدم بعلمه قضية بلده الغالى فلسطين ، وعندما تحولت القضية إلى نكبة ، هجر السياســـة الى الصحافة ، واحترف القلم ، فاصبح رئيسا لتحرير جريدة « الجمهورية » القاهرية ، وتنقل بين « الأهرام » و « أخبار اليـــوم » و « اخر ساعة » ، وكتب آلاف المقالات والتحقيقات ، ثم عكف على التاليف ، فقدم للمكتبة العربية اكثر من عشرين كتابا .

تزخر جميعها بالمعرفة الجامعة ، والأسلوب الرشيق ، والمادة الخصبة ، وإن كل ما كتب المؤلف ، وكل ما خطب ، وفى كل رحلاته وأسفاره ، كانت كلها تعنى حبيبته «القدس» مهوى فؤاده ، ومصدر حبه ، وموال أفراحه واتراحه . إن «القدس» هى السحر العجيب الذى يستمد منه المؤلف قوته ، وجلده وصبره ، على الضياع والتشرد .

ولقد عرفنا الاستاذ النشاشيبى على حبيبته من خلال ستة وعشرين فصلا فى كتابه ، وعلى مدى اربعين عاما من سنة ١٩٤٠ الى سنة ١٩٨٠ ، هذه الفترة التى عايش فيها المؤلف حبيبته القدس ، فصورها بواقعية وابداعية تدعو للتامل والاعجاب حيث تناول دسائس المؤامرات الاستعمارية ، ومشاريع التقسيم ، وبؤس الاحتلال ، وبشاعة الاستيطان ، وعنف اساليب طرد الاهل ، فى محاولة لاقتلاع عيون جدة التاريخ القدس .

ولكن القدس الصابرة ، لم تقل عانيت من ظلم الزمن ، لان قلبها المعتلىء بالعزم ، سوف يتخطى كل صعب لينتصر .

● **مرافعة بين يدي عمرو بن كلثوم .**
شعر محمد منذر لطفى .
طبع بعون من اتحاد الكتاب العرب فى سوريا ١٩٨٠ .

كل الناس يفكرون فى الماضى تفكيرا انتقائيا ، يتدبرون اجمل ما فيه ، ويتمنونه وان اجمل ما فى الماضى نفسه ، هو جميل فى إطاره ، نافع فى سياقه ، ولكنه قـــد لا يستقيم ، اذا انتزع من ذلك السياق ، وأفرغ من ذلك الاطار ، ولكن هناك شيئا مشتركا بين العصور ، هو الذاكـــرة الحضارية ، فبقدر ما هو مستحيل استعادة الماضى ، هو ايضا مستحيل الانبتات عنه ، فلابد من تراكم الخبرات وتواصلها ، واللغة اداة هذا التواصل ، والشعر هو جزء من هذه اللغة .

من هذه المضامين انطلق الشـــاعر « محمد منذر لطفى » فسمى ديوانه الذى بين يدينا « مرافعة بين يدى عمـرو بن كلثوم » .

يحتوى الديوان عشر قصائد ، ولـكن ابداعية هذا الديوان تنطلق من تاليف لصيغة جديدة ، من اشياء موجودة ، تتغير علاقاتها ومواضيعها ، فقصائد الديوان العشر ، تصف الواقع ، وترنو الى المستقبل ، متكئة على امجاد الماضى ، من هنا كان هذا الديوان حضاريا .

وإذا القينا نظرة على القصائد نجدها كالتالى : الرحلة ، الغاب الحزين ، جميلة هى الحياة ، الزمان وصوت الشاعر ، مرافعة بين يدى عمرو بن كلثوم ، أوبريت الشباب العائد ، الاغتراب وموسم حب اخر ليالى رمضان ، واشتعل العيد أملا ، مع الهجرة على مشارف القرن الخامس عشر .

القصائد مزج بين الشعر العمـــودى والشعر الحديث ، ولكنها تتميز معظمها بالطول ، فقصيدة الزمان .. وصـــوت الشاعر ، قصيدة يرثى فيها الشاعر اخر العمالقة الراحلين الشاعر العربى الكبير بدوى الجبل ، وهى قصيدة تربو على المائة بيت من الشعر العمودى ، جمع فيهـــا الاصالة ، والجزالة ، والصور والمضـامين . بداها بقوله :

لك الخلودان .. فن الشـــعر والقيم
فاهنـــا .. فمجدك لا يرقى له عـــلم
افنيت عمرك صداحا واروعـــه
ان يخلد المرقصان .. الحب والنغم

اما قصيدته التمثيلية القصصية التى اخذ منها عنوان الديوان « مرافعة بين يدى عمرو بن كلثوم » . هذه القصيدة التى انتقل بها من اعماق التاريخ الى الواقع العربى ، يدعو فيها الى نفض غبار المذلة التى عفرت دروب حياتنا ، واهانت كبرياء وجودنا لنقف وقفة ابن كلثوم عندما اراد ابن هند ان يذل امه ، ومما قاله فيها :

تلفت ابحث عن امـــة تتحدى المنايا
بجيل فداء
تلفت ابحث عن مارد أسمر الوجـــه
تقطر جبهته كبرياء
وعن ثائر فى ضمير الغيوب
يرى المستحيل حكايا سراب

واخيرا فان هذا الديوان ، جمع بين الماضى والحاضر ، فى التركيب والمضمون ، برؤى مستقبلية كلها امل ، بخيال واســع

إلى الكتب الجديدة ••

تقديم : حسني شحادة

بعيد المدى وشاعرية متدفقة جمعت بين الرصانة والجزالة والحداثة ، ولكن عصرنا هذا لا يحتمل القصائد الطوال ، لانه عصر السرعة التى اصبحت سمة كل عمل او فن ، والمبدع من يستطيع الجمع بين السرعة وجودة العمل . ولكن الجيد دوما يفرض وجوده .

● التفسير الاسلامي للتاريخ
تأليف الدكتور عماد الدين خليل
نشر دار العلم للملايين ـ بيروت

عبر زمان طويل ، اكتفى العقل البشرى بان يعرف ما حدث ، فكان ذلك هو التاريخ فى ادنى مراحله ، ثم اتسع الخيال الانسانى ، فأصبح العقل اكثر تطلعا الى الاحاطة بمظاهر الوجود المادية والروحية ، فادرك ان لكل شيء حدث أسبابا وعللا ، فاراد ان يعرف سبب ذلك ..

ادرك بعض الفلاسفة المعاصرين ، وعلى راسهم «سبنجلر» و «توينبى» و «كيسرلنج» وغيرهم ، فاعلنوا ان الحدث التاريخى ، لا يمكن ان تصنعه قوة واحدة ، لان اية حركة تاريخية . إنما هى لقاء خلاق بين الانسان والطبيعة والزمن باذن الله العلي القدير ، ولكنهم لم ينجوا من الوقوع فى المذهبية المحدودة ، والنظرة الذاتية ، واضطراب التجربة النفسية ، فى عملية الاستشراف ، والاستقراء التاريخى ، الامر الذى ادى الى تارجح مواقع رؤياهم .

هذا ما تعرض له كتاب التفسير الاسلامى للتاريخ ، ذلك ان التفسير لتاريخ البشر ، يجب ان ينبثق من موقف موضوعى شامل ، يربط ويوازن ويدرك العلاقة المتبادلة بين سائر القيم التى تصنع التاريخ ، مادية وروحية ، طبيعية وغيبية ، ولن يتحقق هذا إلا فى نطاق الموقف الاسلامى ، لان القيم الروحية فى الاسلام ، ليست منفصلة عن المادية والعقلية ، وهى تعمل بانسجام وتوافق مع سائر القوى الطبيعية فى تحريك وتوجيه الاحداث التاريخية ، فهى ليست ممارسات فردية شعائرية ، بل قيم ذات جذور عريقة وارتباط متين بقلب العالم وحركة التاريخ ، وبواقع الحياة البشرية والوجود الجماعي على السواء لأنه يستمد رؤيته من القرآن الكريم ، المصدر اليقيني الثابت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

قسم المؤلف كتابه الى فصول اربعة :

● التفاسير الوضعية الاساسية ، عرض ونقد .
● الواقعية التاريخية .
● المسالة الحضارية .
● سقوط الدول والحضارات .

لقد كانت منهجية المؤلف عبر فصول هذا الكتاب ، اجراء مقارنات بين كل نظرة او موقف اسلامى إزاء التفسير التاريخى وبين ما يقابله من نظرات ومواقف فى التفاسير الوضعية وبخاصة «المثالية» و «المادية» و «الحضارية» .

فعرض المؤلف فى الفصل الأول هذه المدارس ، والخطوط العريضة ، لتلك المذاهب ، مع النقد الموجه اليها ، حتى يستطيع القارىء ان يكون على بينة من جهة ، وحتى يستطيع متابعة المقارنات المثبتة فى صفحات الكتاب .

عرض المؤلف فى الكتاب تلخيصا لأبحاث عدد من الكتاب والمفكرين الذين كتبوا فى تفسير التاريخ ، مع تحديد الانتقادات الأساسية التى لن ينجو منها اى جهد وضعى ، يعتمد الطاقات البشرية النسبية وحدها ، ولا يستمد من الله سبحانه وتعالى . لقد قدم لنا القران الكريم نماذج عديدة للمعطيات التاريخية ، وحدثنا عن الماضي ، ثم خرج بنا الى تبيان الحكمة من وراء هذا العرض ، والى بلورة المبادىء الاساسية فى حركة التاريخ البشرى ، مستمدة من صميم التكوين الحدثى لهذه العروض ، وتلك المبادىء التى سماها سننا . وصدق الله العظيم بقوله :

«اولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أشد منهم قوة ، واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها ، وجاءتهم رسلهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا انفسهم يظلمون» .

● رثاء القمر
ديوان للشاعر ابراهيم شاهين
نشر مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨١م .

يقع الديوان فى ١٣٠ صفحة ويحتوى على اربع وثلاثين قصيدة ، وهي عبارة تأملات اجتماعية وسياسية ووطنية ، ولكن تغلب على قصائده المرارة ، وقد اختار الشاعر هذا المقطع من قصيدة « اللحن المسموم » على غلاف الديوان :

تسلمني أفعى للأخرى ...
وأحاول كي أنشد شعرا ...
سأغني لحنا مسموما ...
وأواجه قدرا محتوما
والكل ضياع ... والكل ضياع ...

● ● ● ●



من قضايا التربية المعاصرة



بقلم : نبيل خالد الأغا

المؤلف الاستاذ عبد العزيز تركي وكيل وزارة التربية والتعليم

كثيرة هى الكتب التى تفرزها المطابع وتدفع بها الى المكتبات والاكشاك ، وقليلة هى الكتب القيمة التى ننتقيها من بين هذا الكم الهائل . وحين نقراها ترطب خواطرنا وتنعش عقولنا ، وتثرى معلوماتنا .

ومن بين الكتب التى سعدت باقتنائها مؤخراً هذا الكتاب القيم الذى اهداه لى مؤلفه الاستاذ عبد العزيز تركي ، وكيل وزارة التربية والتعليم ، وعضو مجلس الشورى القطرى .

الكتاب بعنوان « من قضايا التربية المعاصرة » ويقع فى مائة وستين صفحة من القطع الكبير ، وهو عبارة عن سلسلة من المحاضرات الثقافية والدراسات التربوية كان المؤلف قد القاها او نشرها فى العديد من المناسبات .

وقد اهدى اول نتاجه إلى والده العالم الاسلامى المرحوم عبد الله بن تركي السبيعي (١٣١٨ ـ ١٣٨٨ هـ) « اعترافا بفضله ، ووفاء بحقه ، وتكريما لما له من ماثر جليلة راسخة فى حياتي » .

وقد اشتمل الكتاب على ثمانية ابواب هى : نحو افاق جديدة ، وتاملات لملامح تربية عربية اسلامية مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري ـ التعليم والتنمية بين الواقع والخيال ـ مشكلة الامية والجهود المبذولة لحلها ـ محو الامية بين التقليدية والوظيفية ـ مفهوم الثقافة ومستقبلها ـ اهمية التدريب فى التنمية المهنية للمعلم ـ دور المراة « المثقفة » فى تنمية المجتمع ـ مزيد من الرعاية للشباب .

والحقيقة ان المؤلف قد طرح هذه القضايا المهمة طرحا موضوعيا متانيا ، وحاول جاهدا ان يضع حلولا لبعض المشاكل التربوية المستعصية فى المجتمع العربى ككل ، وفى المجتمع القطرى بوجه خاص ، وقد ساعده على ذلك عاملان : سعة الاطلاع ، وعمق الخبرة فى المجال التربوى .

يقول المؤلف مستشعرا افاق الغد : إن الانسان العربى يشعر فى عميق احساسه بالتناقض العجيب بين ما كان للامس من فعالية وقوة واشراق ، وبين ما هو فيه الآن من تخبط وحيرة ، وعجز وغياب لرؤية المستقبل . ثم يتساءل : الا تستطيع كل هذه الامكانات الهائلة المادية والاقتصادية التى توفرت له ان تكون وسيلة فعالة لتحجيم تلك المعضلات ؟ .

إن هذه الفرصة المتاحة للامة العربية اليوم قد لا يكررها الزمن ـ هى وسيلتنا الوحيدة للتغلب على أزمة النضوب والعقم تلك الازمة المسئولة عن تردى حياتنا الفردية والاجتماعية والقومية وسواها .

إن الثروة البشرية التى يملكها العالم العربى هى راسماله الحقيقى الابقى على مر الزمن ، والقادر على تجاوز واقعه ، ومواجهه التحديات التى تعوق تقدمه .

وهذه الثروة البشرية إذا احسن استثمارها واعدادها كانت القوة الفعالة لتحرير الانسان العربى من القيود والاغلال التى كانت ملازمة لمجتمعاتنا طوال القرن الماضى فهل تستطيع الاجهزة العربية كلها ان تبعث يقظة وعزيمة اكيدة نحو تحقيق تعاون صادق مبني على المصارحة ونقد الذات ، وتجاوز صيغ واشكال التعاون المعروفة حاليا ؟ .

وبكثير من الدقة والمقارنة والتحليل يتحدث المؤلف عن مشكلة الامية فى الوطن العربى ، وفى دولة قطر بوجه مخصوص ، ويورد ارقاما واحصاءات عن الجهود التى بذلتها ـ وتبذلها ـ حكومة قطر الرشيدة من اجل القضاء على هذه الآفة الاجتماعية . وتعرض الى محو امية النساء القطريات ، وخلص الى القول بان المراة القطرية يقع عليها الدور الاساسى فى إنجاح مشروع القضاء على اميتها لان العمل هو الذى يقوم ذاته فى هذا العصر ، كما ان التخلف التاريخى فى تعليم المراة العربية ادى إلى تخلف التعليم عامة ، وهنا تكمن احدى مسئوليات المراة القطرية تجاه نفسها ، وتجاه مستقبل الاجيال اللاحقة .

واخيراً .. فهذا كتاب قيم حقا لمن يريد إثراء ثقافته ، ولمن يبتغى مواصلة البحث التربوى والتعمق فيه ، لانه حصيلة خبرة ثرة من التجارب الواقعية والميدانية قضاها المؤلف فى العمل والانتاج بميدان التربية والتعليم .

ونامل ان يكون هذا الكتاب فاتحة خير لمزيد من العطاء الذى ننتظره من الاستاذ عبد العزيز عبد الله تركي بصفته واحداً من ابرز المثقفين فى دولة قطر .

زَبَرْجَـــدَة
إلى نـــزار قبـــاني

شـعر: حســن طلـب


نـزار قبـاني وبلقيـس فـى آخـر صـورة لهمـا

الحِكاياتُ تَمَّتْ ..
وبِلقيسُ نامتْ
لقد قدَّمَتْ للعروبةِ فرضَ الوَلاءِ
وأدَّت زكاء الأُنوثةِ
.. صَلَّتْ وصامَتْ

وها هى تتجهُ الآن سادرةً للأَمامِ
ستبقىٰ مسافرةً فى الغمامِ
مع القُبَّراتِ
.. وسربِ اليَمامِ

فيا ايها الصبُّ :
رتِّبْ تفاعيلك الآنَ فى صُورة الفرحِ
انشرِحِ

الشعرُ صحَّ العمودُ لهُ
والقصيدةُ بين يديكَ استقامَتْ
ويا ايُّها الصبُّ :
صوبْ وسائِلك الآنَ للهدَفِ
اعترفِ

الوقتُ حانَ لكىْ يعرفَ الناسُ
اخِرَ ما هَسْهَسَتْ بِه بِلقيسُ
هل اخبرتْكَ بعنوانِ بعضِ الجناةِ ..؟
وهل ارشدتْكَ الطيورُ التى
فوقَ ارضِ الجَريمةِ حامتْ ..؟
تُرىٰ :
ایَّ برقٍ من الشرقِ شامَتْ ..؟
وكلُّ البروقِ غدتْ خُلَّباً
وجميعُ الحكاياتِ قبلَ النّهاياتِ تمتْ
وبِلقيسُ قامتْ
لتمنَحَ بيروتَ شكلَ الزَّبرجَدِ
ثم تودِّعَ بيروتَ

تقرُصَ بيروتَ من أُنثَيَيْها (*)
وتخلدُ للنومِ ثانيةً

أيها الصبُّ :
عادتْ لآلِئُكَ الآن للصَّدَفِ
انصرفِ
الحزنُ قرَّ القرارُ بِهِ
والمآتِمُ كانتْ مواقيتُها لا تدومُ ..
فدامَتْ
وكلُّ اليمامَاتِ هامَتْ
فَعُدْ بتماثيلِك الآنَ للخزَفِ
الآنَ لا تخَفِ
الشعرُ يَحميكَ
يحرُسُ ظهرَكَ
.. لكنَّ بِلقيسُ نامتْ
ولم تستمِعْ لأرقِّ القصائدِ منكَ
فحقَّ عليها العتابُ
.. تهاوىٰ الترابُ
وبِلقيسُ فى مُطلقِ الحُلمِ لِيمَتْ ..
ولامَتْ
فيها أيُّها الصَّبُّ :
رتِّبْ تفاعيلَكَ الآن فى صِيغَةِ الترحِ
استرحِ
الشعرُ سوفَ يصحُّ العمودُ لهُ
والقصيدةُ قد تستقيمُ إذا استوعَبَتْها الشَّحارِيرُ
قبلَ الجماهيرِ
كَمْ راودتْها الشعاريرُ
لكنها ما استنامَتْ
فدعْها ..
لتكتُبَ ضدَّ العُروبةِ سَيِّئةً
ثم ترقىٰ
وقلْ :
إِنها فى النهايةِ تبقىٰ ..
وفى البدءِ كانَتْ

(*) الانثيان : لغة فى الاذنين :

استطاعت السينما عن طريق قدراتها ان تقدم لنا الأحداث التاريخية في مشاهد تقفز فوق قيود المكان فنعيش مع كل لحظة من لحظات العمل الفني



السينما
مصنع الأحلام في المجتمع

بقلم : محمد فتحي

> لم يحدث قط فى مجرى التاريخ ان انبثقت صناعة ، عالية العمد كصناعة السينما ، انبثاقا مباشرا سافرا ، من أحلام النـــاس .
>
> ماكس ليرنر
> من كتابه « مقومات الحضارة الأمريكية »

يستطيع المرء بالليل او بالنهار ان يدخل الى قاعة اطفئت انوارها ليطلق نفسه وروحه من أسار الواقع ويستغرق فى عالم لذيذ باهر النظم ، زاهى الالوان ، باهى الحسن والرواء .. الست ترى ان الاظلام فى حد ذاته دلوف إلى عالم الأحلام ؟ ! وعندما تتحرك الشخوص فوق الشاشة العريضة أمام ناظريك ، فى موجات متلاحقة ، ثائرة أحيانا بعواصف العاطفة او الجريمة او



والت ديزني .. قدم دراسات في الطبيعة



شارلي شابلن .. افلامه ضمن الكلاسيكيات



الفريد هتشكوك .. افلام الرعب

الطراد العنيف ، أو رقيقة كهبات النسيم الرطيب وكانما تحس بها تداعب خديك .. تشعر بانك سندباد حط به طائر الرخ فى واد من وديان الف ليلة وليلة او بانك الشاطر حسن .. او سلطان من السلاطين منعما فى فردوس من فراديس الإساطير .. المنى كلها ـ مما لا تجود به دنيا الناس ـ بين يديك وكانما تقول لك لبيك .. اشهى الحسان اللائى يقطرن دلا وانوثة .. الرجولة فى ابهى صورها من رومانسية وفتوة ووسامة .. اشيك الأزيـــاء .. ارشق السيقـــان .. كل ما يجعلك تشعر بان الدنيـــا مقبلــــة بين يديك وانت جالس في مقعدك . وعندما تدلف الى مخدعك لتنام يرقد الوعى وينهض الخيال ناسجا الرؤى الفتانة من وحى النماذج التى شاهدت فى الفيلم وهى نماذج صاغتها التخيلات والاحلام .

هذه الرؤى المعيشية الجديدة التى جذبت اليها كل الناس أصبحت تنشد وترتجى وتهفو لها النفوس . ومن هنا خلقت ذوقا عاما متوسطا ، مسوية فى ذلك بين العامة فى مستواهم الادنى ، والخاصة فى الاعالى . دنيا الافلام دنيا من الاحلام . ولكنها ليست بالضرورة احلام تهرب ، نتلمس عن طريقها تعويضا عن نشدان نفس احبط ، او عاطفة فقدت ، او امال خابت . بل يمكن ان تكون هذه الاحلام احلام طموح وتطلع لمستويات ليست عسيرة على التحقيق . والتطلع الى قيم معيشية جديدة لابد ان يكون مصحوبا فى نفس الوقت بتجارب عاطفية جديدة .

مشكلة العواطف هى انك لا تستطيع الحصول عليها بطريقة الية كما تحصل على قنانى المرطبات او على نور الكهرباء وخاصة فى حضارة تسودها المادة واعتبارات المال . فانى لانسان هذا العصر ان يجد حاجته من الزاد العاطفى وهو على التحقيق اشد من اسلافه تعطشا وحنينا الى الروى العاطفى لذلك عندما تصدت السينما بشاشاتهـــا السحرية الخلابة لارواء هذا الظما وجدت الجمهور فى حالة تشوق ولهفة .

تقنيات السينما يسرت تحقيق هذه السقيا العاطفية بشكل باهر . لا يباريها فى ذلك اى ضرب اخر من ضروب الفن الشعبى بما فى ذلك المسرح . العاطفة تتبلور فى نظرة او وقفة او مشية ، او عن طريق التخير فى اللقطات وتتابعها ، او التحكم فى الايقاع « الرتم » تمشيا مع مسار الفيلم ومع مراحل الكشف عن جوانب القصة ، او عن طريق قدراته فى نسج الماضي والحاضر فى نسيج واحد ملغيا الزمان قافزا فوق قيود المكان . او عن طريق الانتقال من اللقطات المكبرة المقربة الى اللقطات البعيدة المترامية مما يزيد الحدة ويثير الاشتياق المتصل ليبهل الرائى ويواصل النهل ..

تغوص السينما فى الغوار العزيزة ودهاليز النفس الانسانية ، وتضرب فى الارض من مكان لمكان ، وفى غيابات الزمان من حقبة لحقبة ، ومن ثقافة لثقافة .. مستثيرة الجوانب العاطفية والخيالية والجمالية فى تكويننا .

هذه هى حقيقة الدور الذى تقوم السينما على ادائه والذى جعل منها منذ نشاتها الاداة الاسرة الخلابة . قد تكون الصحافة اطول منها باعا فى تغيير الاتجاهات وتشكيل المواقف . وقد يكون الراديو اوسع منها قاعدة واسرع فى الوصول الى جماهير الناس . والتليفزيون بالغ التنوع ، مقرب للمتعة بل جالب بها الى الانسان فى مستراحه وداره . ولكن هذه الادوات جميعا تبرز دنيا الواقع واذا مست الخيال والاحلام فهو مس رفيق عابر ليس هو عنصر ذاتها وجوهرها . اما السينما فتلك إذا صنعتها او لعبتها اذا شئت .. نسج الاحلام التى تهفو اليها الارواح وقرارات النفوس .

هل تعكس السينما التيارات النفسية فى المجتمع الانسانى ؟ بمعنى اخر هل هناك علاقة بين الموضوعات المعروضة وهـــذه التيارات ؟ الواضح انها نهجت حيث نشات ـ اى فى هوليود ـ نهجا اضحى هو النهج العام المتبع فى مراكز الانتاج السينمائى ، ذلك انها عمدت الى التسطح والاكتفاء بالامانة الظاهرية وتنمية الانماط التى ترضى اذواق العامة، معالم الثقافة فى المجتمع واضحة فى الزى والسلوك والانماط المعيشية ولكنها لا تكشف اكثر من السطح الذى طلى بالدهان والبريق ، زين وزخرف لدرجة تكاد تقربه من لفظ زيف . !

خذ المال مثلا . يقول الفيـــلم إن السعادة والسمعة خير من المال ، ولكن كل لقطة وكل صورة تقول لا شىء يعدل قيمة المال ! او خذ الجنس . الفيلم لا يعرض الجنس كعنصر من عناصر عاطفة نبيلة وهى الحب . وانما يعرض الجنس للجنس ذاته ولما يعنيه من انشغال الناس به انشغالا غير طبيعى . وهذا الانشغال بالجنس هو من صنع السينما اكثر من اى جهاز اخر .

بسبب هذا المذهب السطحى وعـــدم عرض العواطف الحقيقية عرضا متعمقا لجات السينما إلى « الفعل » كبديل . ونقصد بالفعل هنا المبالغة فى عرض الاحداث العنيفة فى تتابع سريع برعت فيه عملية

السينما
مصنع الأحلام في المجتمع

المونتاج فيدخل المشهد فى أعقاب المشهد دون أن يمنح المشاهد لحظة تامل او تفكر واحدة . كل شىء يجرى بسرعة عظيمة .. احداث شتى .. منازعات وتهديدات وخناقات وأخطار وكمائن وفرار ومطاردات فوق ظهور الخيل أو السيارات .. حب من النظرة الاولى وخصام وصلح ووئام ومنافسة او سوء فهم يعقبه معارك بالمسدســـات وبالمـــدافع والرشاشات . جماهير ثائرة ومواجهات فى الساحة ترقبها من وراء الجدران والنوافذ عيون هلعة .. أو فى الحان والمشرب تقلب وتكسر وتدمر .. مطاردات فى القطارات من عربة لعربة وفوق سطح العربات .. جثث فى الدواليب .. اعترافات على سرير الموت ..

احداث تلو أحداث يجرى الجمهور فى قرها لاهثا مسرع الأنفاس لا يســتجمعها . لا تقر نفسه حتى بعد أن ينتهى الفيلم وترتخى الستارة وتضاء الانوار ويخرج الى عالم الواقع .. ! سرعة تدافع الأحداث لا تدع مجالا للكشف عما بداخل السرائر او الوصول الى الجذور أو التوصل الى النتائج النفسية .

« الفعل » هو كل شىء ومظاهره بينة . حتى فى أفلام الحب والغرام العنف فيها عنصر اصيل .

ورغم ذلك كله فطاقة الفيلم غير منكورة . لدينا الكلاسيكيات التى انتجتها الســينما وما تزال تنتقل معروضة من جيل لجيل كفيلم « ميلاد أمة » لجريفث وافلام شارلى شابلن .. الغلام والبحث عن الذهب ومسيو فردو .. وافلام فرانك كابرا وهى نقد بليغ للمجتمع .. مستر سميث يذهب الى واشنجطن .. ولن تاخذها معك (ما حدش واخد منها حاجة) وحدث ذات ليلة .. وتاريخيات سيسل دى ميل ، والتراث الشعبى العالمى الذى انشاه والت ديزنى لو دراساته فى الطبيعة ، وكذلك دراسات هيتشكوك فى جزيرة الخوف والرعب ، ودراسات السير الشخصية على مدى التاريخ مثل المواطن كين والمبلغ .

من العجيب حقا ومع هذه الطاقة الهائلة والقدرات الكامنة فى اداة السينما ان يواجه الفلم بتقلص شديد فى جمهوره وخاصة من جانب الكبار الذين يتجاوزون من العمر الخامسة والثلاثين . ومن ثم تغلق كثرة من الدور ابوابها . يذهب بعض النقاد فى تعليل ذلك الى ان المنتج السينمائى هو الملوم . فلو انه رفع من مستوى الفلم الفكرى والعاطفى لقدرله ان يكسب للسينما روادا من الراشدين من أهل الفكر الذين ينأون عن السينما لهذا السبب بالذات . وفى رأى آخر ان الكبار ينأون عن السينما لانهم فى اغلب الظن لا يجدون فى انفسهم القدرة على تفهم اتجاهها الجديد مثلما يفعل الأصغر سنا . مضمون هذا الرأى ان التغيرات الحديثة فى المجتمع غيرت الظلال المعيشية ـ وكان الكبار يالفونها فى ظل الأسرة مثلا أو مجتمع النادى ـ وان هذه التغيرات جلبت مظاهر جديدة من التجربة الاجتماعية التى تعبر عنها السينما تعبيرا يستوعبه الصغار ولا يقوى على مجاراته الكبار ومن ثم يعجزون عن فهمه والتجاوب معه ، ويستطرد اصحاب الرأى بان اذهان الكبار متجهة نحو الماضى ..

وقد يكون صحيحا ان الصغار ونعنى بهم الصبيان والشباب حتى الثلاثين من العمر يرتادون السينما لا لمجرد التسلية والترويح بل يرتادونها كذلك بحثا عن الرشاد والهداية ، والمقصود بالرشاد والهداية هنا هو ان يلتمسوا الرشاد والهداية فى مجال العلاقات الشخصية اى فى العلاقات القائمة بين الاشخاص بعضهم بعضا ، ونحسب ان هذا الاسترشاد الذى يلتمسونه يثير قضية فى غاية الاهمية فاى نوع من الرشاد ذلك الذى يتلقاه النشء والشباب من السينما ؟ لا نستطيع الادعاء بان العوالم العاطفية والفكرية التى تعرضها الافلام عوالم حقيقية واقعية . فهى عوالم وهمية من نسج الخيال ، لاحس ولا شعور فيها بنمو الشخصية او المعاناة المريرة للتعرف على الذات . وهو ما قد يجده الشاب فى الروايات الجيدة التى يقرؤها والتى قد تاخذ بيده الى بعض المسالك هديا له فيما قد يدور فى قرارة نفسه من تورطات او متاهات . إن السينما لا تنمط الحلول فحسب بل تنمط المشكلات ايضا اى تجعل من هذى وتلك انماطا (ستريو تايب) ، الأمر الذى يجعل شباب السينما عرضة للتأثر بها حتى يستقى منها التورطات والمتاهات . مثل هذا التفاعل قد يؤدى الى قران عاطفى حقيقى بين الأفلام والجمهور . غير أن الجمهور فى تلك الحالة سيكون هو الذى فسد قبل قرينه ومن ثم اصبح «مشروطا» اى رهينة واقعة فى مجال الشرط .

إن التصور الذى رسمته هوليود وثبتته لطبيعة الانسان ومصيره وسار على منواله سينمائيو العالم ، لا يهمنا فى قليل او كثير .. لولا انه يسود على نطاق امبريالى ! فما تراه هوليود ، وتفعله ، وكيفية نفاذ هذا الفعل ـ ويحذو حذوها السينمائيون فى كل مكان ـ يصبح نهجا معيشيا لملايين الناس على نطاق المعمورة . إن هوليود لا تنتج وتوزع وتصدر صورا فحسب . الصور والافلام يتلقاها الناس ، ولكنهم يتشربون منها شيئا اخر .. يتشربون فلسفتها ، وطرز الزى والاناقة .. من تسريحة الشعر حتى الحذاء فى اخمص القدم ، واساليب السلوك .. كيف يدخن وكيف يجامل وكيف يقبل وكيف يسلم وكيف يضبط خطوة قدميه ، وكيف يلاغى وماذا يقول وكيف يتصرف فى شتى المواقف .. يأخذ منها الناس حكمة العيش ويثبتون ما يلتقطون من مشاهدها بما يقراونه فى عشرات المجلات السينمائية واعمدة النقد فى الصحف عن الكواكب وحياتهن وازواجهن والانفصال الزوجى المتكرر وخلع زوج تلو زوج .. الى اخر ذلك الذى ما تفتا الصحف والمجلات وشتى اجهزة الاعلام مسموعة ومرئية تنشره وتذيعه عن الكواكب من الاناث والذكور . القيمة الامتاعية للسينما عند روادها مزيج من السحر والسلوك والقيم والخلق . ما قصد به ان يبهر الناس يقوم ايضا بارشادهم وهديهم . الفعل القوى المتسلط الذى اريد به ان يشرح الصدور يظل معهم ليلذ احلامهم . والعنف الذى قصد به أن يدغدغ حسهم يبقى معهم مبلدا ذلك الحس .

فيض الانتاج السينمائى ليس غثا كله ، ففيه قدر من الانتاج سمين . يشهد للمنتج والمخرج بالقريحة القوية والقدرة الفائقة . هؤلاء الخلاقون المبدعون الذين يجرفهم تيار التقليد والاصطلاح انشاوا لنا كلاسيات الماضى ومايزالون يتحفون البشرية من حين لحين بدرر فريدة تنبض بالتعاطف مع الانسان فى مسرى معاناته . كمــا تسجل تطورات الفكر الاجتماعى . لقد بلغ الفن السينمائى شاوا بعيدا هز مشاعر الناس . وبصورة لم تبلغها بعد الفنون الجماهيرية الاخرى مثل الاذاعة والتلفزيون . جوهر النقد الموجه الى السينما مبنى على اساس الهوة القائمة بين الواقع الذى تعرضه الافلام والطاقة الكامنة فى الاداة . ومع ذلك فهذه الهوة ليست قاصرة على السينما بل لعلها فى التلفزيون والاذاعة اشد اتساعا وفغور فاه .

محمد فتحى

هـو.. هـم..!!

قصة بقلم : صلاح عبد السيد

كنت محشورا فى الاتوبيس .. وكان هو يقف ورائي .. كان ملتصقا بي ، نبهتـــه بصوت خفيض ان يبتعد ، فابتعد قليلا ثم عاد من جديد .. زعقت عليه ان يبتعد واستدرت اليه ..

عندما نظرت فى وجهه .. امسكت به .. انه هو .. هو بالتاكيد .. !!

هو الذى بالامس وانا فى طريقى الى البيت فى وقت متاخر من الليل .. اعترضنى وشهر فى وجهى سكينا .. وابتز منى كل ما املك حتى اخر الشهر .. ولطمنى على وجهى ..

انه هو .. هو بالتاكيد .. لقد رايته لحظة ان اعترضنى .. صحيح ان الضوء كان شاحبا .. وكنا فى وقت متاخر من الليل .. لكننى استطعت أن اراه .. ،ان اشم رائحته

كان وجهه بليدا .. وجمجمته صلدة .. وشفته السفلى ميتة ..

قال المحقق فى سخرية ..

ـ وماذا ايضا .. ؟

ـ وقفاه عندما استدار .. كان غبيا .. اسود .. وجلده كجلد البهائم ..

ـ وماذا ايضا .. ؟

وقهقه ..

ـ ورائحة فمه ..

وشممت رائحة البصل تفوح من فم المحقق .

وهذه الرائحة كانت تفوح من فمه ..

بص لى ..

كان وجهه بليدا .. وجمجمته صلدة .. وشفته السفلى ميتة ..

استدرت ارى قفاه ..

كان قفاه غبيا .. اسود .. وجلده كجلد البهائم ..

وانعقدت سحابة البصل ..

انه هو .. هو بالتاكيد .. !!

هو الذى بالامس اعترضنى واخذ نقودى صرخت عليه .

ـ اعطنى نقودى التى سرقتها منى .. !!؟

فتح فمه .. فبانت اسنانه القاتلة .. وابتسم لى .. ثم اخرج من جيبه سكينا وشهرها فى وجهى .. وامرنى ان اخرج النقود التى معى .. فلما اخبرته اننى بلا نقود .. ابتسم وامرنى ان اخلع جاكتتى وبنطلونى ..

ووضع السكين على رقبتى .

وتركنى بالسروال والفانلة ..

● ●

زعق صاحب البيت ..

اين نقود الايجار .. ؟

همست فى اعياء

ـ لقد سرقوا نقودى وملابسى .. !!

ـ من هم .. !!

ـ انهم .. إنه .. وجهه بليد .. وجمجمته صلدة .. وشفته السفلى ميتة ..

قال صاحب البيت فى سخرية ..

ـ وماذا ايضا .. !!؟

ـ وقفاه عندما استدار كان غبيا .. اسود .. وجلده كجلد البهائم ..

ـ وماذا ايضا .. !! ؟

وقهقه ..

وشممت رائحة البصل تفوح من فمه ..

ـ وهذه الرائحة كانت تفوح من فمه ..

بص لى ..

كان نفس القفا والوجه .. والوجه والقفا .

وانعقدت سحابة البصل تفوح فى المكان

إنه هو .. هو بالتاكيد .. الذى اعترضنى .. والتصق بى .. وحقق معى ..

صرخت عليه

ـ اعطنى نقودى وملابسى

ابتسم لى .. فبانت اسنانه القاتلة .. ثم اقترب منى واخرج من جيبه سكينا شهرها فى وجهى ..

وامرنى ان اخلع سروالى وفانلتى ..

وتركنى عاريا ..

● ●

كنت عاريا .. حين مرت تلك الجنازة المهيبة .. ورايت قفاه فيها ..

اقتربت منه .. كان فعلا قفاه ..

نظرت فى وجهه .. كان فعلا وجهه ..

نظرت للذى الى جواره .. كان مثله ..

والذى الى جواره .. كان مثله ..

انه هو .. هو .. هم .. هم .. !!

كانت وجوههم بليدة .. وجماجمهم صلدة .. وشفاههم السفلى ميتة ..

وانعقدت سحـــابة البصـــل تفـــوح فى المكان ..

إنهم هم .. هم بالتاكيد ..

صرخت فى الموكب ان يتوقف ..

انظروا لى ..

ـ ساخذ نقودى الآن وملابسى .. اعطونى نقودى وملابسى ..

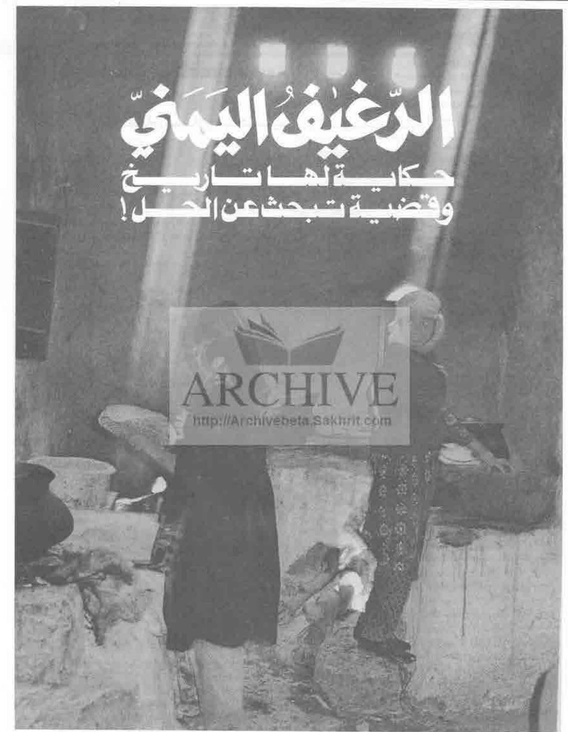
ابتسموا لى .. فبانت اسنانهم البيضاء القاتلة .. واحاطوا بى فى دائرة محكمة .. ثم اخرجوا من جيوبهم مدى ذهبية لامعة .. وضعوها حول رقبتى .. وامرونى بصوت ناعم رقيق .. ان اخلع جلدى ..

وكانت الموسيقى تدق .. والزهور تحيط بى ..



الرّغيفُ اليمنيّ

حكاية لها تاريخ
وقضية تبحث عن الحل!



داخل احد افران الخبز في اليمن

بقلم : زيد محمد حجر

ان عملية اعداد رغيف الخبز كما صورها احد ارباب الأسر اليمنية هى كالمعركة وقد حكم على هذه العملية بانها اشغال شاقة ، وفى تصورنا ان حكمه كان واقعياً لما يبذله رب الأسرة من الجهود الكبيرة حيث انها وراء جل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والصحية .

ونبدا بذكر المتطلبات الاولى التى تواجه كل أسرة والتى تبدا بشراء الحبوب والحطب. وبعد شراء الحبوب تقوم ربة الأسرة بتنقيتها وطحنها بنفسها او باشرافها ثم تقوم بنخلها وعجنها وخبزها .

والصعوبة الاولى فى عملية شراء الحطب هو انه لابد ان يكون ذا نوعية معينة من الجودة كما يشترط ان يكون من نوع « الضهياء » ـ نوع جيد من الحطب ـ وشراء « اللصوة » ـ اعشاب قابلة للاشتعال والتى يجب ان تكون من نوع « الجعدان » والكباء يجب أن يكون مادته من دقعة الغنم اذا تيسر ذلك ، والبحث عن المفلق الماهر لتكسير الحطب إلى قطع تتناسب مع حجم التنور مع ما يكتنف ذلك من وجوب التفرغ والترقب والمساومة مجرد الاعداد الاولى فى بدء عملية الخبز التى تقوم به ربة بيت فى بلادنا .

والمرحلة الثانية من اعداد الرغيف تكبد المراة معاناة كبرى من الناحية الصحية نتيجة للجهود التى تبذلها. فهى تخسر وتضيع كثيراً من وقتها الذى كان من المفيد ان تصرفه فى العناية بترتيب مستلزمات بيتها وتنظيفه ورعاية نفسها وأطفالها ، وربما يكون تعرضها للنار والدخان اثناء العملية الأخيرة لاعداد الخبز هو اشد مرحلة تواجهها من الناحية الصحية فالكثير منهن يصبن بالسل الرئوى « ١ » وتلف النظر للقيام باعمال تنقية الحبوب والحروق التى تشوه وجهها ويديها خلال مباشرتها لهذه العملية .

والمرحلة الثالثة الذى تتطلبها العملية هى الخبز. ونظراً لبدائيتها لا يمكن لربة الأسرة من التحرى الكامل والتدقيق فى نظافة الخبز وجودته صحياً ، وللوقت عامل مهم لضرورة إنجاز عملية الخبز سريعاً كى لا تهدأ حرارة التنور « الوقده » والاضطرار الى استهلاك مزيد من الوقود الغالى الثمن ، وخوفاً من مطالبة رب الأسرة بشراء كمية اخرى من الوقود .

ولسوء حظ ربة الأسرة فى أغلب الأوقات تفشل فى اعداد مهمتها كما يريدها رب الأسرة نتيجة حدوث اهمال غير مقصود مما يؤدى الى التشاحن والمشاكل الاسرية التى لا تحمد عقباها .

واخيراً فهذه العملية تؤثر على جو الأسرة من حيث ان ربة البيت لا تتمكن من الاعتناء بنفسها ومظهرها واطفالها ، وترتيب اثاث المنزل ونظافته كما ذكرنا سابقاً . كل هذا يؤدى إلى ضياع الوقت وهجر المنزل لجوءاً إلى مجالس القات والتفاريط « مجالس السيدات » وهما مشكلتان اجتماعيتان لا مجال للحديث عنهما هنا بالاضافة الى ان العملية تشكل عدم استقرار فى محيط الأسرة ونتيجة لذلك يحاول كل واحد منهما ـ الزوج والزوجة ـ الهروب من وجه الاخر تفادياً للمشاكل وتخفيفاً مما فى نفس كل منهما من الشكوى التى تنتج من هذه العملية .

الأشجار .. ضحية !

وإلى جانب ذلك هناك اثر سلبى عام من اعداد الخبز فى المنزل وهو عدد الاشجار التى تفقدها البلاد سنويا والبيان الآتى يوضح ذلك .

إن متوسط ما تحتاج التنور لخبز الخبز هو ستة قطع من الحطب مع كمية من اللصوة التى تساعد على الاحتراق عند بدء عملية خبز الخبز . وقد حاولنا فى هذه الدراسة ان نقتصر فقط على حجم كمية الحطب وهى كالآتى :

بلغ حجم قطع الحطب المستهلك يوميا لأسرة يمنية مكونة من خمسة اشخاص حسب تقدير المزارعين والحطابين ٥٪ من حجم شجرة متوسطة الطول . فاذا افترضنا ان سكان الجمهورية اليمنية يساوى ثمانية ملايين . اذن يصبح مجموع استهلاك السكان يوميا يعادل اربعمائة الف شجرة والاستهلاك السنوى ٢٠٦ مليون شجرة . وينتج من ذلك اضرار اقتصادية كثيرة تدفع بالبلاد إلى استيراد ما يقدر بعشرين مليون ريال من الخشب مثلما يكبدها مبلغاً لا يستهان به لشراء حديد كبديل للخشب استجابة لمتطلبات العمران الحديث فى بلادنا .

وهذا الجانب السلبى لا يقتصر عند هذا الحد فحسب بل ان البلاد تفقد الناحية الجمالية التى تزين الارض اليمنية وتحولها نتيجة استهلاك تلك الاعداد من الاشجار الى ارض جرداء بعد ان كانت الارض الخضراء المعروفة بها اليمن قديماً . ولعل هذا امر سهل لو وقف هذا الجانب السلبى عند الناحية الجمالية ، بل إنه انكى وامر ، فالمعروف علمياً ان الاشجار تجذب سحب الامطار ، والامطار فى اليمن هى التى تعتمد عليها زراعة البلاد والتى تشكل المصدر الرئيسى لثروتها .

ونحن لا نشعر بحدة هذه المشكلة ذلك لتوفر المعونات الخارجية من القمح وكذلك ما يستورده القطاع الخاص والعام حالياً من تلك الحبوب لسد حاجات الناس . فالكميات الواردة من الحبوب الى بلادنا تبلغ حوالى مائتى الف طن سنويا «٢» .

وقد قمنا بسؤال مائة شخص يمثلون مختلف ارباب الأسرة اليمنية وطرحنا عليهم الاستفسارات بهذا الصدد فكانت النتيجة كما يلى :

اجابت الفئة الاولى وعددها ٥٨ اسرة انها تقوم باعداد الخبز فى المنزل ، والثانية وعددها ٢٥ اسرة تقوم بشراء الخبز من السوق ، والثالثة وعددها ٢١ لم تجب «بنعم » او « لا » والرابعة وعددها اربع اسر لم تبد اهتماما بالموضوع .



وبعد ان اطلعنا على وجهة نظر المجتمع نود ان نؤكد وجهة نظرنا بأن هناك صعوبات جمة تقوم بأعبائها ربة الأسرة التى تقوم بأعداد الخبز فى المنزل وسنورد وصفا كاملا لما تقوم به ربة الأسرة. وسيدرك القارىء الكريم الصعوبات العديدة الناجمة من هذه العملية.

اولا : متوسط التكاليف التى تدفعها ٥٨ أسرة فى الخبز عند اعداده فى المنزل حسب الدراسة التى قمنا بها .. تقدر كالآتى .

● متوسط افراد ٥٨ اسرة هو ٥ افراد للاسرة الواحدة .

● تكاليف إعداد الخبز .

ا ـ قيمة الحطب واللصوة .. الخ ١٠٠ ريال .

ب ـ اجرة المفلق ـ ١٠ ريالات .

جـ ـ ما تستهلكه الأسرة المذكورة من القمح شهريا هو قدح «٣» ونصف القدح وقيمته ٥٠ ريالا .

د ـ المجموع ـ ١٦٠ ريالا .

● متوسط الزمن الكلى الذى تستغرقه ربة الأسرة مكونة من خمسة أشخاص لاعداد الخبز فى المنزل هو على النحو التالى :

ا ـ الزمن الذى ترتبط به ربة الأسرة فى المنزل عند تكسير الحطب الى قطع تتناسب وحجم التنور شهريا ٥ر١ ساعة .

ب ـ الزمن الذى تستغرقه ربة الأسرة لتنقية وتنظيف القدح والنصف من القمح الأجنبى ١٢ ساعة .

جـ ـ مجموع الزمن الكلى الذى تستغرقه ربة الأسرة لطحن القدح والنصف من القمح حسب الوحدة المبينة بين « الوحدة ـ ربع قدح » ٤ ساعات .

د ـ تستهلك هذه الأسرة ثلاثة انفار «٤» من القمح يوميا بعد طحنه والزمن الكلى المستغرق شهريا لعجن القدح والنصف حسب الوحدة السابقة ٥ر٢٢ ساعة .

هـ ـ الزمن الكلى المستغرق شهريا لتخمير العجين « حالة ارتباط وترقب » ٥٠ ساعة .

و ـ الزمن الكلي المستغرق شهريا لخبز الخبز ٤٥ ساعة .

جـ ـ المجموع ٥ر١٣٥ ساعة .

نفترض ان اجرة ربة الأسرة يوميا يساوى ما يتقاضاه عامل غير ماهر وهو سبعون ريالا والمعلوم ان ساعات العمل اليومية هى

والجدول رقم ـ ١ ـ يبين وجهة نظر الفئة الأولى التى تقوم باعداد الخبز فى المنزل وعدد الأسر والنسبة المئوية والدوافع التى تجعلها تتمسك بتلك العادة .

عدد الأسر	النسبة	الدوافع
٢٤	٥٩٪	لا تفضل شراء الخبز من السوق لغلائه وعدم وجود النظافة .
٣	٢٪	لا تفضل شراء الخبز من السوق لنفس السبب الاول بالاضافة إلى أن وزن الرغيف وسعره غير ثابتين فى السوق .
٥	٧٪	لا تفضل شراء الخبز من السوق لنفس السبب الأول بالاضافة الى اعتقادهم بعدم جودته .
٤	٦٪	لا تفضله من السوق لنفس السبب رقم ـ٣ـ ولكنها تقوم باغلب العملية فى المنزل وترسله الى الفرن لخبزه توفيراً للتكاليف الباهظة الناجمة من الحطب .
٤	٦٪	لا تفضل شراءه من السوق لأن عملية اعداد الخبز فى المنزل تتناسب مع الوجبة اليمنية من حيث هيئته ومذاقه .
٩	١٧٪	لا تفضل شراءه من السوق ولم تعط سببا .

اما الجدول رقم « ٢ » فيبين الفئة الثانية التى تقوم بشراء الخبز من السوق والنسبة المئوية وكذلك الأسباب التى تدفعها لذلك .

عدد الأسر	النسبة٪	الدوافع
٤	٢٠٪	تقوم بشراء الخبز من السوق لظروف اضطرارية .
١٧	٦٨٪	تقوم بشراء الخبز من السوق لانه يوفر عليها التعب والمال .
١	٤٪	تقوم بشراء الخبز من السوق لنفس السبب رقم « ٢ » بالاضافة إلى انها تشعر ان الوقت الذى يمكن صرفه فى إعداد الخبز فى المنزل يمكن الاستفادة منه فى تربية الأطفال .
٢	٨٪	تقوم بشراء الخبز من السوق لنفس الأسباب المذكورة فى رقم «٣» بالاضافة إلى انها تستفيد من الوقت الذى يمكن صرفه فى إعداد الخبز فى ترتيب المنزل والعناية بنظافته .
١	٤٪	لم تعط سببا .



منظر عام خارج احد المخابز فى اليمن ، حيث اجولة الدقيق والأخشاب التى تعد للاحتراق عند بداية عملية الخبز .

ثمانى ساعات . إذن اجرة ربة الأسرة المستحقة شهريا ـ ١١٨٥ر٦٢ ريال . وحيث ان ربة الأسرة تحصل من النفر «٤» الواحد من القمح على ستة قطع من الخبز المتوسط الحجم فيصبح ناتج القدح والنصف من القدح يعادل ٥٧٦ خبزة .

ويصبح تكاليف ٥٧٦ خبزة ـ ١٢٥٢ر٦٢ ريال . وقيمة الخبزة ريالان و ٣٧ سنتا بينما قيمة قطعة الخبز المتوسط الحجم فى السوق ـ ريال واحد فيكون فرق التكلفة بين السوق والمنزل ريال و ٣١ سنتا واذا قمنا باستبعاد اجرة إعداد الخبز التى تقوم به ربة الأسرة فى المنزل تصبح قيمة الخبز ـ ٢٧ ريالا .

لا وقت للحلول

وبعد ان استعرضنا جانبا من تلك الصعوبات والسلبيات العامة التي تضر باقتصاد البلاد يجدر بنا ان نشير الى ان تحكم هذه العملية فى حياتنا اليومية لا تدع لنا فرصة التفكير في إيجاد حلول وهذا يشكل سببا من عدة اسباب لتحكم العملية نوردها كما يلي : ـ

أولا ـ من المعروف ان وجبات الغذاء اليمنية فى بلادنا تعتمد اساسا على مادة الحبوب . فقد لا يخلو بيت من وجود صنف من الاصناف التي تعتمد على مادة الحبوب كالهريس والفتة اليمنية والعصيط .. الخ .. ويعود ذلك الى عدم الاهتمام بانواع الاغذية الاخرى كالخضرة واللحوم . إما جهلا بقيمتها الغذائية او عدم معرفة الكثير بكيفية طبخها على صور كثيرة .

ثانيا ـ عدم استقرار حياتنا الى عهد قريب نتيجة للحروب والمشاكل السياسية مما جعل كل اسرة تبنى حياتها على أساس من التحصن فى وكرها ، كما هو الحال بالنسبة لأشياء اخرى كحفر بئر فى كل بيت استعدادا لحالة الطوارىء عند قيام اية حرب او فتنة . وتخصيص الطابق الأول من البيت كمخزن للوقود والحيوانات والعلف .

ثالثا ـ ان النظرة الاجتماعية السلبية تجاه من يزاول عمل بيع الخبز من العمالات «العاملات» ـ وهن النساء اللاتى يقمن بذلك حتى يومنا هذا وكذلك العاملون فى المطاعم والفنادق الصغيرة . ويرجع هذا كله الى عدم توفر مثل هذه الفئة بصفة كافية لاعداد ما يحتاجه المجتمع من الخبز .

رابعا ـ ان عدم جودة الخبز الذى يباع فى الأسواق لقصور فهم العاملين عن تطويره وتحسينه والاهتمام بالنظافة عند اعداده ينفر كثيرا من الناس الذين يرغبون فى الحصول على رغيف الخبز من السوق نظرا لصعوبات اعداده فى البيت .

خامسا ـ وسبب آخر هو ارتباط الاسرة اليمنية باعداد الخبز فى المنزل لاعتقاد الكثير من ارباب الأسر بانه على المراة ان تظل مشغولة باعمال المنزل حتى لا تبقى مضيعة فى الفراغ الذى قد يؤدى الى مشاكل غير مناسبة لحياة الأسرة وقيمها .

سادسا ـ والسبب الأخير هو قلة انتشار وسائل الوقود الحديثة كالأفران الكهربائية والغازية مما ادى الى الاعتماد كليا على الحطب فى المطبخ اليمنى وينتج من ذلك حرص ربة البيت على استغلال النار لتجهيز متطلبات اخرى مثل تعمير المداعة ـ النارجيلة ـ بدلا من إضاعتها .

والامكانيات المتوفرة لدينا للتخلص من هذه العلة المتحكمة والضارة على مستوى الأسرة والبلاد ككل هى فى نظرنا كالتالى :

أولا ـ تشجيع الدولة لفئة العاملين فى حقل الأفران والمخابز على تطوير وتحسين نوعية رغيف الخبز بحيث يناسب كل الاذواق وذلك بعدة وسائل كاعفائهم من الضرائب عن القمح «لاصحاب الأفران والمخابز» واضافة ضرائب على الدقيق المستورد الذى يستخدمه هؤلاء بنسبة كبيرة فى عمل الخبز نظرا لرخصه بالنسبة للقمح .

ثانيا ـ على الدولة ان تسهل من استيراد الأفران الميكانيكية الحديثة وغيرها من الوسائل التى تحتاجها المخابز .

ثالثا ـ فرض رقابة شديدة على اصحاب الافران والمخابز لتحسين منتجاتهم مقابل تسهيلات الدولة لهم .

رابعا ـ إعفاء الدولة للرسوم الجمركية عن ادوات المطبخ المنزلية كالأفران الكهربائية والغازية .

خامسا ـ تسهيل وايجاد مادة الغاز الطبيعى «اسطوانات الغاز» من البلدان المجاورة .

سادسا ـ قيام الدولة عن طريق وسائلها الاعلامية بتوعية المواطنين وارشادهم للفوائد المتوفرة فى الماكولات الاخرى كالخضار وغيرها .

سابعا ـ انشاء مراكز ومؤسسات اجتماعية لتدريب المراة على الأعمال الانتاجية المناسبة كالحياكة والخياطة والتطريز والارشاد الدينى .

ثامنا ـ تشجيع المنتجات التى يمكن للمراة ان تساهم فيها كصنع الفانلات الصوفية وغيرها من الملابس ، وذلك يحد من استيراد مثل هذه المنتوجات من الخارج .

وبعد : فان النظرة السلبية تجاه الذين يقومون ببيع الخبز فى السوق ، ينبغى ان يحل محلها نظرة ايجابية من اجل ان يصبح الرغيف اليمنى كسائر الأرغفة فى بلاد الدنيا ، حاجة اساسية ميسور الحصول عليها دون عناء يصرف ربة البيت اليمنية عن انبل واقدس رسالة . وهى العناية بالأسرة . مثلما يحفظ للبلاد ثروتها من الخضرة والظـل . ويتيح للمراة كذلك ان تلعب دورها الاجتماعى والانتاجى فى الحياة اليمنية من اجل مستقبل اكثر رخاء .

زيد محمد حجر

المراجع :

١ ـ ادلى بذلك احد الخطباء«ان اصابة المراة اليمنية بالسل الرئوى هو بسبب تعرضها للدخان اثناء عملية اعداد الخبز .

٢ ـ البنك المركزى .

٣ ـ القدح القمح = ٣٢,٢ كيلو جرام .

٤ ـ القدح = ٦٤ نفرا

٥ ـ النفر = ١/٦٤ من القدح = ٥٠٣ جرام تقريبا .



عباس الاسواني .. لماذا لم يأخذ حقه من الشهرة والتقدير رغم اصالته الادبية والفنية ؟ ؟



«عباس الأسواني» احد الذين جاءوا ، ثم رحلوا ، دون ان يستوفوا حقهم . توفى من نحو ثلاث سنين فى نحو الخامسة والستين من عمره ، توفى والقلم فى يده يكافح به ويناضل . كان من الذين قسم لهم ان يكونوا ادباء برغم ما أعدوا له فى الدراسة المفضية الى نيل الشهادات ، يجذبهم الأدب كما يجذب الزهر النحل ، فيعكفون عليه وكان لم يكن لهم هم غيره ..

كان منهم فى مصر «محمد تيمور» إذ بعث به والده الى فرنسا ليدرس الطب ، ثم تحول الى القانون ، ثم عاد الى مصر بلا طب ولا قانون ، لأنه كان مشغولا بما خلق له وهو الأدب ، وكان الرائد الأول للقصة القصيرة العربية الحديثة .

ومنهم توفيق الحكيم الذى أرسله أبوه كذلك الى فرنسا ليكون من رجال القانون ، ولكنه شغل بالأدب والفن فى باريس ، وعاد الى مصر ليكتب .. ليبدأ برواية «عودة الروح» وليخرج من «معطفه» أدباء الجيل .

ومنهم ابراهيم ناجى الشاعر الذى دخل التاريخ من باب الأدب معرضاً عن باب الطب .

ثم كان يوسف ادريس الذى تخرج فى كلية الطب ، ثم لم يعرفه الطب إلا مريضا ، وشغله الأدب ومايزال شاغله .

اما صاحبنا عباس الاسوانى فقد تخرج فى كلية الحقوق واشتغل محاميا ، ولكن ادركته حرفة الأدب ، وكان ابرز ما عمله فى المحاماة قضايا الأدباء المجانية .. وغرق فى الانتاج الأدبى الى اذنيه . سالت عنه مرة فى مؤسسة روز اليوسف إذ كان ينشر فى مجلتيها كتابة من قلمه ، فحسبته محرراً عاملا بها ، فكانت المفاجاة انه موظف للشئون القانونية بها ، ثم مات وهو فى هذه الوظيفة .

واخيرا وقعت فى يدى مجموعة قصصية له عنوانها «الضاحك الاخير» نشرت فى سلسلة «الكتاب الذهبى» التى كانت تصدر عن مؤسسة روز اليوسف ــ نشرت سنة ١٩٦٤ .

وقد كان لعباس الأسوانى جهد ملموس فى انتاج التمثيليات الاذاعية ، كما كتب فنا اخر كان ينشر فى المجلات وخاصة مجلة «صباح الخير» التى تصدرها مؤسسة روز اليوسف .

بقلم : عبـــاس خضـــر

كان ذلك الفن هو «المقامة» العصرية الظريفة ، كان يكتبها بلغة تغلب عليها الفصحى مع التطعيم ببعض الكلمات العامية ، ولم يكن يظهر فيها تكلف ، بل كان السجع يأتى فيها طبيعيا ظريفا . ويذكرنا هذا بمقامات بيرم التونسى التى كتبها بالعامية وابدع فيها ايما ابداع ، حتى قال احمد شوقى امير الشعراء إنه يخشى على العربية الفصيحة من مقامات بيرم .. وهو يعنى انها ترتفع بالعامية الى درجة يخشى معها ان تنافس الفصحى ..

ونلحظ ان مقامات الحريرى المعروفة فى تاريخ الادب العربى كانت فى وقت ممتد من اشهر واعظم الانتاج الأدبى الذى حفظ للغة رونقها ومستواها العالى . وكذلك كانت مقامات بيرم بالنسبة للعامية . ولكن كلا من الحريرى وبيرم كان قمة وحده سقط عند سفحها كل من اراد ان يحاكيه ..

حتى جاء عباس الأسوانى فكتب المقامة على النحو السابق ذكره ، فكان قمة اخرى فى هذا المضمار . ومما يؤسف له أن مقامات الأسوانى لم تجمع فى كتاب . ذهبت الاذاعيات فى ادراج الأثير والصحفيات فى القراءات الوقتية العابرة .

عزيز أحمد فهمى

وبقيت هذه القصص التى وقعت فى يدى اخيرا ، لا اذكر ان كان لها وقت ظهورها من تقدير تستحقه ولم تنله . صدرت وتناولتها بعض الأيدى ثم كان مصيرها كمصير الكثير .. الكثير .. من كتب تطوى كطى السجل ..

كان وقوعها فى يدى من حسن حظى ، إذ تمتعت بقراءتها وسعدت باستعادة اجوائها الى ذاكرتى ، فالأسوانى من جيلى تقريبا ، وكان همه مثل همى . والناس والأشياء التى صورها وعبر عنها عرفتها فى واقع الحياة ، ورحم الله «عزيز احمد فهمى» الذى عرفناه فى الشباب كاتبا عبقريا يكتب فى مجلة «الرسالة» وفى الصفحة الأدبية من جريدة «المصرى» التى نشا بها عبد الرحمن الشرقاوى ، ويوسف ادريس ، وسعد مكاوى ، وزكريا الحجاوى ، وعبد الرحمن الخميسى ، وامثالهم من كتاب جيل خصب منح خير المنح واعطى اعظم العطاء . ثم خطف الموت «عزيزا» فى الشباب الضائع ، اكله النسيان الذى يأكل الناس فى بلدنا ..

رايت «عزيز احمد فهمى» شخصية مصورة باسم خيالى غير اسمه الحقيقى فى قصة من مجموعة الاسوانى ، وقد لجأت اليها ـ الى هذه المجموعة ـ هاربا من السخف الكثير الذى يملأ حياتنا الادبية الآن ان كان لنا الآن حياة ادبية ، ذلك السخف الذى يطالعنا فى الصحف والمجلات باسم الادب وما هو من الادب فى شىء ، إذ يتسلق اعمدتها «زعيط ومعيط ونطاط الحيط» مدعين انهم ادباء ينهالون علينا بذلك السخف ..

فى قصة «المجنون» من تلك المجموعة نرى الشخصية التى تعكس ملامح «عزيز احمد فهمى» فى طور حياته الاخير ، إذ عراه ما هز كيانه وجعل الناس يظنون انه ادمن «الحشيش» ، يقول الاسوانى فى القصة : «هو شاب فى الثلاثين درس الآداب ونظم الشعر حينا .. قيل انه كان يحب فتاة وتزوجت سواه ، فطار صوابه ، واعتلت صحته ، ومضى يتحاشى الجميع ، يسير منفردا ، يكلم نفسه مرة ويبتسم مرة اخرى .. حتى امن الكافة بان بعقله لوثة .. وإن كان مرضه هذا لم يؤد الى خطر ، فقد كان هادئا ، يغالى فى الادب السلوكى الى درجة مملة .. لا يدخل عليه ساع حتى يهب واقفا ويكلفه فى احترام زائد .. هذا الى ما بدا عليه من بؤس تجلى فى ثوبه الممزق وشعره المشعث ووجهه المتغضن ، فلم يشك منه احد ، واعتبره زملاؤه ورؤساؤه مريضا يجب الرفق به .. وانسانا صادفه سوء الحظ فى مطلع حياته ..»

إنه موظف فى وزارة المعارف ، امر وكيل الوزارة بنقله الى المكتبة ليعمل مع امينها «محمود» المجد فى عمله ، الذى يرى فى محفوظ (ذلك الشاب) عكس ما يرى الجميع فى الوزارة ، وكان يكرهه من اعماقه ، كان يعجب للمشفقين عليه ويؤكد دائما ان الوزارة مخطئة ، فليس من صالح العمل ان يبقى مجنون بين الموظفين .. بل راح يتهم محفوظا احيانا ـ اذا جاءت سيرته ـ بانه اكبر «بلطجى» لا يريد ان يعمل .. وهو لا يمكن ان يكون فاقد العقل بدليل انه لم ينس مرة ان يقبض مرتبه ..

جلس محفوظ فى المكتبة يحدق فى السقف ، وراه محمود هكذا وقال فى نفسه : «مجنونا كان ام عاقلا .. لابد ان يعمل ، فلا مكان عندى لبلطجى .. وتامل محفوظ قليلا ، فوجده متغضن الوجه ، تغطى ذقنه ووجنته بالشعر ، وقد ارتدى بدلة قديمة حال لونها .. اما قميصه فكان مفتوحا وإن ربط فى ياقته «بابيون» اسود . وانحدر نظر محمود الى ركبتيه فوجده يضع راحتيه عليهما ، وصدمته قذارته واظافره الطويلة ، فوجد نفسه يقول له فى لهجة ساخطة : «انت يا استاذ محفوظ لازم تاخد بالك من نفسك شوية .. اعتنى بالنظافة لازم مظهرك يبقى محترم .. ولازم تلمع الجزمة ..»

فضحك محفوظ ضحكة ذات فحيح طويل .. وركز عينيه فى وجه محمود وقال : «والمعها ليه .. مادام حتتوسخ بعد شوية ؟» .

ولمح محمود كتابا محشورا فى جيبه ، فساله عنه ، فلم يرد ، وإنما اخذ يخرج الكتاب فى بطء وابتسم قائلا : «ده كتاب التطور .. كتاب هام جدا .. لازم سعادتك تقراه ..»

فقال محمود مغيظا صائحا : «علشان إيه لازم اقراه ؟ تقصد إيه ؟»

فقال محفوظ وهو يحتفظ بابتسامة هادئة : «علشان تعرف اصلك .. تعرف انك قرد ..»

فرد محمود : «ده كلام فاضى .. دى نظريات ملهاش اساس .. »

فاستهوت محمود لذة المناقشة وقال وهو يضيق حدقتى عينيه : «الاساس موجود .. شوف سلسلة ضهرك .. حط يدك عليها وانزل بيها .. تلاقى انها كانت حتنتهى بديل ..»

وانتهى الموقف بجنون امين المكتبة .

الحوار كما ترى مكتوب باللغة العامية ، وهذا مذهب من مذاهب كتاب القصة المعاصرين فى عالمنا العربى ، يجرون عليه وإن كان مخالفا لما ننشده جميعا من التوحد ، وما نرمى اليه من التفاهم بلغتنا العربية الفصيحة الواحدة . وقد يكون ذلك فاعلا فى الدلالة على الشخصية وتصوير اعماقها على نحو مطابق لواقع حياتها ، ولكن هذا لا يتحقق إلا فى حالة واحدة ، وهى ان يكون القارىء من البلد الذى يجرى الحوار بعاميته . والكاتب البارع يستطيع ان يقرب لغة الحوار من الواقع وهو يحتفظ بسلامتها وفصاحتها ، فان اضطر الى لفظ اتى به نادرا ، ويحسن أن يضعه بين قوسين .

وفيما عدا الحوار نجد لغة الأسوانى فى تلك القصص عربية فصيحة جميلة واسلوبه طلى جذاب ، كما ينبغى ان يكون فى القص .

ومن ناحية المضمون نراه يصور الحياة الواقعة من حوله فى عصره ادق تصوير . ويقدم لنا نماذج من الناس بطريقة حية تعرفنا بهم كاننا

عبـاس الأسـوانى
الضاحك الأخير

نعاشرهم ونراهم فيما ياتون وما يدعون .

الضاحك الاخير

أولى القصص وهى «الضاحك الاخير» تعرض علينا مهزلة الانتخابات لعضوية مجلس النواب ونماذج من المرشحين لانزال نرى ملامحهم فى الحاضر ، وانماطا مختلفة من الدعايات الانتخابية ، أعجب ما فيها «دعاية صامتة» لمرشح لا ينفق مالا ولا تنظم له مظاهرات ولا تعلق لافتات .. شيخ من شيوخ الطرق الصوفية لم يعرف عنه اهتمام بالسياسة ولم تسبق له سابقة فى خوض معامع الانتخابات ، وإنما هو يستجيب لهاتف يأتيه فى المنام ويقول له :

«لماذا الانتظار ؟ انشروا الانوار .. وابدعوا الأذكار .. كلهم فى النار ..»

ويتكرر المنام ، كما يقول أكبر تابعى الشيخ .. يسأل راوى القصة هذا التابع المتكلم باسم شيخه :

ـ لكننى لا أرى فى هذا الهاتف ما يجبر الشيخ على دخول الانتخابات .. ألا يقوم الشيخ باحياء الذكر على الدوام ؟ ثم من هم الذين مصيرهم النار ؟

قال التابع فى استنكار وضيق :

ـ ليس مثلنا من يخطىء فى تفسير الاحلام .. أو فهم ما يأمر به الهاتف .. فأولا لا يعقد الشيخ حلقات الذكر إلا بمناسبة مولد احد الأولياء الكبار .. وقد انتهى مولد الحسين من شهرين ، وباق على مولد السيدة زينب ثلاثة شهور ، هذا الى جوار ان مولانا كان يرى كل ليلة عقب سماع الهاتف صورة ثابتة لا تتغير .. لا يكاد الهاتف يفرغ حتى يرى الشيخ نفسه كل يوم وهو يطوف بساحات الوزارات واحدة بعد أخرى وحوله الناس يحملون فى أيديهم عرائض مكتوبة .. وهو يستمهل هذا ويطمئن ذاك ، ثم يتركهم الى قاعة فسيحة تعلوها قبة احتشد فيها مئات من الأشخاص نصفهم نائمون ..

ويسأل الراوى التابع :

ـ انتم ما بتعملوش دعاية للشيخ ليه ؟

ـ لزومها ايه ؟

ـ لزومها إيه .. إزاى .. انتم مش شايفين الدلنجانى (مرشح آخر) عامل إيه .. وبيصرف كام .. لا شفت لكم يافطة .. ولا طلعت من بيتكم مظاهرة .. مش معقول مرشح ينجح بالطريقة دى ..

ثم قال له التابع : فليكتب الناخبون فى الورق ما شاءوا ، الشيخ من عباد الله الصالحين وسليل رجال حركوا بإرادتهم الجبال .. وكراماتهم لا حصر لها .. ومساعدتهم له ضرورة بعد زيارات الهاتف الثلاث .. وبقدرة الله كل الورق سيكون باسمه فى كل صناديق الانتخاب ..

القصة القصيرة

وكاتبنا الأسوانى يسلك فى بناء قصصه طريقة ممتعة ، فهو يفرغ الحوادث ويشقق الحديث ، يرسل الاشعة فى الجوانب المتعددة ، ثم يجمعها كحزمة الضوء فتضىء ـ كما قيل ـ فى لحظة الاستنارة .

والقصة القصيرة فن أدبى عجيب .. كثيرا ما يخرج عما يرسم له من قواعد وأصول ، النقاد والدارسون يقولون فيه ما شاءوا ، ولكن فى كثير من الاحيان تأتى القصص مخالفة لما قالوا .. ومع هذا لا يستطيع أحد أن ينكر جودتها أو امتيازها . «إدجار آلن بو» الذى يعده الدارسون الرائد الأول للقصة القصيرة الحديثة ـ قال إنه يجب أن تكون كل كلمة فى القصة فى خدمة الموضوع بحيث لو حذفت أية كلمة أو عبارة منها أخل هذا الحذف بما ترمى اليه القصة ، وفى قصصه نفسه ما لو حذف ما ضر حذفه شيئا !

وقالوا إن القصة القصيرة لابد أن تنحصر فى موقف واحد وتتخذ وحدة زمنية واحدة .. واذكر أن الأستاذ نعمان عاشور نشر مرة قصة ترجمها ، وكانت تشتمل على معالم حياة بطلها من الميلاد الى الوفاة .. وهى قصة ممتازة ، وأشار الاستاذ نعمان الى ذلك متعجبا !

وأخيرا كتب الدكتور يوسف ادريس مقالا فى الأهرام قال فيه عن القصة القصيرة «فن معقد الى الدرجة التى لا أستطيع انا شخصيا بعد هذا العمر فى ممارسته أن أعرفه .. بل إننى فى كل قصة قصيرة اكتبها أشعر أنها إنما هى محاولة جديدة لتعريف جديد للقصة القصيرة لم أقله .. ومع ذلك لم أصل بعد الى التعريف النهائى لها ، وربما لهذا السبب مازلت أكتب» .

وكذلك النقاد والدارسون .. ما تعرضوا لقصص قصيرة معينة إلا هربوا من الناحية الفنية الى المضامين والاتجاهات ، فإن وقفوا عند تلك الناحية أخذوا يبدئون ويعيدون ولا تخرج من كلامهم بشىء ذى بال !

ولعل البناء الفنى للقصة القصيرة هو أكثر مسائلها تعقيدا ، فالشكل الذى ترتضيه موهبة الكاتب الأصيل ـ ولابد من الموهبة ـ هو الذى يفرض نفسه .. ولكل كاتب طريقة تمليها عليه «الموهبة» مثل «البصمة» التى لا يتفق شكلها فى اثنين .

المهم أن يشعر القارىء أن هذه قصة بحق .. تهزه وإن كان لا يدرى السبب .. وهذا قليل جدا فيما نقرأ من قصص تنشر هنا وهناك .

أبهى من عروس

وقصص عباس الأسوانى من القليل الذى هزنى ويهزنى .. وأرانى عاجزا عن أن أقول لماذا ؟

ولست أدرى لم لم يأخذ حقه من الشهرة والتقدير ، وأذكر «الشهرة» باعتبارها نوعا من التقدير ، وإلا فإنها لا قيمة لها عند الأصلاء ، وليس عباس الأسوانى وحده الذى لم يأخذ الحق الذى كان جديرا به ، فهى ظاهرة فى حياتنا الأدبية تسترعى الانتباه ، تتمثل فى عشرات من أدباء الجيل الذى تلا جيل الرواد . وعدد قليل يعد على الأصابع الذين أصبحوا موضع التقدير وهم يستحقون دون شك . ولكن الى جانبهم الاكثرون المهملون الذين يعملون فى صمت ، وإن كان صمتهم يعلو فى انتاجهم !

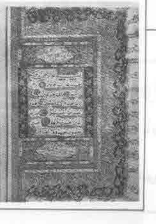
نعم لا أدرى لماذا .. هل هى مصادفة بلا عمل ولا تدبير ، أو هى وسائل عملية أهمها الدعاية الصحفية .. سمعت مرة عن مطرب جهير فارق دنيانا أن كان له مكتب دعاية خصص له مائتى جنيه فى الشهر .. لا تقل قيمتها الآن عن الف مما تعدون .. وغيره من أمثاله لا ينالون ما ناله ، وقد يكون فيهم من هو أندى منه صوتا .. «عبده السروجى» مثلا ، الذى غنى «غريب الدار» أين هو الآن يا ترى ؟ لم يكن له مكتب دعاية .. لا أسمع تلك الأغنية ـ على قلة ما تذاع ـ حتى أجدنى مشدودا اليها بما يشبه السحر ..

عبده السروجى فى الغناء يشبه احمد فتحى فى الشعر .. لولا غناء عبد الوهاب لقصيدة احمد فتحى (الكرنك) ما عرف أحد هذا الشاعر ..

من مهازل الدنيا أن الشاعر الراحل محمود أبو الوفا عندما كان يعرف فى وسائل الاعلام يقال : إنه مؤلف أغنية عبد الوهاب «عندما يأتى المساء» ، على حين يقال عن الزجالين مؤلفى الأغانى الهابطة : إنهم شعراء أعلام !

كم فى العرس أبهى من عروس !

عباس خضر



بقلم : الدكتور محمد البهي



« أصحاب اليمين »

يجيء ذكر اصحاب اليمين فى القران الكريم مرة تحت هذا الاسم .. واخرى تحت اسم اصحاب الميمنة . وعند ذكر اصحاب اليمين : يذكرهم القـران ليوضـح ما ينتظرهم من جزاء طيب فى الاخـرة . فيقول مثلا : « واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فى سدر مخضود (عديم الشوك) . وطلع منضود (اى محمل بالثمار) . وظل ممدود (لا يتقلص ابداً) . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة (متجددة دائما) » .

والمعنى ان اصحاب اليمين : جزاؤهم على عملهم فى الدنيا ـ انهم يقيمون بعد يوم الجزاء : فى جنة بين اشجار مختلفة ، مثمرة وغير مثمرة ، ليس فيها ما يؤذى بشوكه .. وظلها لا يذهب ابدا ، كما ان ثمار ما يثمر منها : كثيرة على طول العـام لا يحرم منها شيء ما على اكله .. كما انهم ينامون على فرش متجددة يشعر النائم فوقها بمتعة مستمرة .. الخ . وذكر مثل هذه الأوصاف التى تدل على المتعة والترف ، فى مكان الاقامة لأصحاب اليمين ، يقصد منه بيان : ان العوض فى المتعة المادية فى الآخرة للمؤمنين اصحاب العمل الصالح ، يفوق ما يحرمون منه فى الدنيا : كمـا ، ونوعا فى الاستمتاع ، فضلا عن ان حياة المرحلة الثانية ـ وهى حياة الآخرة اطول بكثير من حياة الدنيا لو قيست هذه بتلك : « كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها » اى عندما يرى الكافرون بدين الله هول جزائهم فى الآخرة بعد قيام الساعة : يظنون انهم لم يمكثوا فى الدنيا ولم يستمتعوا بمتعها رغم وفرة المتع وطول الاستمتاع بها الا فترة قصيرة تساوى : عشية يوم أو ضحاها . وهذا كناية عن منتهى ندمهم على ما اتجهوا اليه من كفر وصد عن سبيل الله فى دنياهم ، بعد ما راوا واقع عذابهم فى الآخرة .

وعندما يذكرهم القران تحت اسم ، اصحاب الميمنة : يقصد الى اجمال صفاتهم فيقول فى سورة البلد فى الحـديث عن الانسان .. وعما اعده الله به من ادراك الحس والمنطق .. ووضحه له من طريقى الحق والباطل ، والخير والشر ، ومع ذلك يسلك بعض الناس طريق الباطل والشر ، بينما يسلك البعض الآخر منهم طريق الحق والخير :

لقد خلقنا الانسان فى كبد (اى خلقناه للصراع والمشقة) .

ايحسب ان لن يقدر عليه احد . ؟ (وهو يتصور او يتخيل ، بما اعد به فى خلقه من اجل الصراع والمشقة : انه ليس هناك قدرة فى الوجود تفوق قدرته . ولذا يكفر بمن عداه فى هـذا الكون ، ولو كان الله سبحانه) .

يقول اهلكت مالا لبدا ،

ايحسب ان لم يره احد ،

الم نجعل له عينين ؟ ولسانا وشفتين ؟ وهديناه النجدين ؟ (وهو فى كفره بالله لا يتذكر انئذ : نعمة الله عليه فى خلقه وتركيبه ، واعداده للصراع فى هذه الحياة .. لا يتذكر اعداده العينين ، كمصدر لادراك الحس .. ولا اعداده باللسان والشفتين كمصدر للنطق والتفاهم او الجدل .. ولا معاونته بالرسالة الالهية التى تنير له طريق الحق من طريق الباطل .. اى الطريق الصعب وهو طريق الانسانية ، والطريق الآخر وهو طريق الانانية واللاانسانية) .

فلا اقتحم العقبة (ومن اجل انه لا يتذكر هذه النعم عليه فهو يسلك الطريق الانانى اللاانسانى .. ولا يسير فى الطريق الآخر الذى يعبر سلوكه عن اتباع هداية الله) .

وما ادراك ما العقبة ؟ (والطريق الآخر هو الطريق الصعب الا على النفوس التى امنت بالله حق الايمان به .. وهو الطريق الانسانى) .

فك رقبة . او اطعام فى يوم ذى مسغبة (مجاعة) يتيما ذا مقربة . او مسكينا ذا متربة (انه طريق تحرير الارقاء اذا كانوا فى ملك احد .. او طريق اطعام الاقرباء وهم صغار ممن لا اباء لهم يعولونهم ، وفى وقت تتفشى فيه المجاعة ... او اطعام اصحاب الحاجة ، وقد اصابتهم فى وقت لا يملكون فيه شيئا اطلاقا) .

ثم كان من الذين امنوا ، وتواصوا بالصبر ، وتواصوا بالمرحمة (ومع سلوك هذا الطريق الانسانى فان الذين سلكوه كانوا : مؤمنين بالله .. كما كانوا يتواصون بالصبر فيما بينهم بعد ان يمارسوه عند مشقة الحياة وازماتها .. ويتواصون بالعمل الطيب المهذب بعد ان يؤدوه على نحو ما ادوه من عتق الارقاء .. واطعام اليتامى الاقرباء .. واصحاب الحاجة ممن اشتد وطؤها عليهم) .

اولئك اصحاب الميمنة (فهؤلاء الذين يعترفون بنعمة الانسانية عليهم من الله تعالى ـ وهى نعمة الادراك والمنطق ـ وبنعمة الهداية الالهية الى طريق الحق فى الرسالة : فيؤمنون بالله .. ويدربون انفسهم على التحمل ، على مشاق الحياة .. ويعطون من انسانيتهم لغيرهم : يعطون من اموالهم لأصحاب الحاجة .. ويعطون من تهذيبهم فى معاملة من عداهم .. هؤلاء هم اصحاب الميمنة .. اى اصحاب المنزلة فى الجزاء من الله ، تضاهى منزلة من يكون له الجلوس على يمين صاحب الشان وهى منزلة ادبية يشرف بها صاحبها ، اكثر مما يشرف بكثرة ماله ... او بقوة عصبيته ، او سلطانه) .

واصحاب اليمين اذن : هم المؤمنون بالله .. الصابرون عند الشدائد والازمات العاملون للصالحات ، والسالكون طريق الاحسان وهو طريق الانسانيـــة .. والبعيدون عن الانانية وطغيانها .

وجزاؤهم عند الله هى جنته .. ومنزلتهم لديه هى منزلة الجالسين على يمين العرش .

حوار مع فرانسوا ساجان

● حققت لنفسي الثراء والشهرة قبل العشرين ... ولم يغفر الناس لي ذلك أبداً

● ● أضعت ثروتي عبثاً حتى لم يبق في حسابي فرنك واحد فاضطررت إلى أن أرهن بيتي !

● ● ● لماذا قالوا عن ساجان : انها أسطورة وفضيحة .. وكاتبة . ؟!

بقلم : جمال الكناني

لم تكن فرانسوا ساجان يوم أضاءت سماء الأدب الفرنسي وتلألأت في كبدها كنيزك وهاج ، وهي بعد في السنة الثامنة عشرة من عمرها ، على جانب يذكر من الجمال . ولكنها كانت ، ومازالت قوية الجاذبيـة نفـاذة الشخصية ، لها من صلابة العود ما مكنها من أن تصدم شعور قرائها باول رواية نشرت لها منذ أكثر من ربع قرن ، بعنوان « مرحباً بالحزن » ، اودعتها كل ما كان يجيش في صدرها من تحديات الشباب فاصبحت وهي في هذه السن المبكرة أسطورة أدبية وصفتها صحيفة « فرانس سوار » بانها أسطورة وفضيحة .. ولكنها في المقام الأول .. كاتبة » .. وعرفها الفرنسيون تهوى كل ما هو غال مكلف وتميل الى تغيير أزواجها .. وأنها أضاعت الملايين التى كسبتها بسوء التصرف في هـــذه الثروة .

في اوائل عام ١٩٥٤ بعثت المدمـوازيل « كواريه » ، وهي فتاة في الثامنة عشرة ، بمخطوط لرواية قصيرة الى الناشر الباريسي « جوبار » وكان عنوان الروايـــة « مرحبا بالحزن » واسم المؤلفة المستعار : فرانسوا ساجان . ونشرت الرواية في شهر مايو وبيع منها خلال العام الاول مليون نسخة ، وترجمت بعد ذلك الى خمس وعشرين لغة . وتعتبر « ساجان » اليوم من اشهر الشخصيات في العالم وان تكن غير معروفة تماما .. فليس كل من يعرف اسمها يعرف انها مؤلفة روائية . فمنهم من يعتقد انها من كواكب السينما لأن اسمها ارتبط بالنوادي الليلية والحياة الصاخبة وسيارات السباق وكل ما هو خفي غامض مدمر ..

ولقد وُجِّهَتْ الى ساجان عدة اسئلة ، يهدف السائل من ورائها الى الكشف عن شخصيتها وتعريف الناس بها .. كما هي ، على حقيقتها .. ونورد هنا نص الحوار .

س : هل انت سريعة الغضب ؟ .

ج : انا اومن دائما بأن الفرج على الابواب .. هذه طبيعتي .. فمثلا كلما رأيت فيلما عن « جان دارك » آمنت بانها ستنجو .. ويساورني نفس الشعور تجاه « روميو وجولييت » .. وهذا نوع من بساطة العقل لاني اعرف ان الذي اتوقعه لن يحدث .. وما على الانسان الا ان يستعين بخياله لأن الخيال يؤدي إلى الفهم ويمكن بقســـط من الخيال ان نعلل مثلا لماذا يضرب شرير بنته حتى تموت .. وقد لا نرضى عن مثل ذلك العمل ولكننا بخيالنا نتمكن من فهمـــه تدريجيا .

س : حدثينا عن حياتك الاولى .

ج : ولدت يوم ٢١ يونيه ١٩٣٥ في كارجاك ، وهي مدينة صغيرة تقع بين كاهور ، وفيجاك . كانت جدتي تصر على أن يولد أطفال الأسرة جميعا في نفس السرير .. امي واخي واختي وانا ولدنا في نفس الفراش .. في نفس الغرفة .

أسرة امي كانت في غنى عن العمل .. لا لانها كانت غنية ولكن لانها كانت تملك الطواحين والمزارع وما الى ذلك .. كانوا سادة القرية يعيشون على دخل ارضهم اما اسرة ابي فكانت تعمل في مجال الصناعة وتملك المصانع في شمال فرنسا .

س : هل قضيت طفولتك في كارجاك ؟ .

ج : ولدت هناك ولكني كنت كثيرة التنقل



فرانسوا ساجان فى شبابها عندما نالت شهرتها الأدبية وهى فى الثامنة عشرة من عمرها .. ثم لقطة للكاتبة الفرنسية بعد ان اصبحت فى الاربعين من عمرها .. إنها تؤكد ان الايام والازمات لم تغير اقتناعها بان شيئا من « الشقاوة » يعتبر سارا وجميلا :



بين عامى ١٩٣٥ ــ ١٩٣٩ .. كان ابى وامى يعيشان فى باريس ، حيث هما حتى اليوم ، وكنا ونحن نعيش فى باريس نقضى عند جدتى فى الريف شهرا كل عام .. لا احب التحدث عن نفسى فالحديث عن الذات صعب والذاكرة كثيرا ما تخدع الانسان وكثيرا ما ننسى .. فالطفولة مثلا صورة نرسمها نحن .. والطفولة التى اذكرها هى بيت فى الريف .. وحركة المقاومة ضـــد الالمان على اشدها .. كنا نقضى نصف وقتنا فى الريف لأن صحتى كانت معتله .. كنت خجولة اعانى من فاقه واخاف من كل شىء .. كان معلمو المدرسة يرعبوننى .. ولعل هو سر تخلفى فى الدراسة .

س : هل كانت طفولتك سعيدة ـ ؟

جـ : اذكر انى كنت سعيدة غاية السعادة وانى كنت مدلله ولكنى كنت اشعر بوحشة لأن كل من كانوا حولي كبار .. ابواى واخى واختى .. اكبر منى سنا وانا احس دائما انى اما بدات حياتى كبالغ او انى احتفظت بطفولتى بعد البلوغ .. ولهذا فانى حتى الآن لا افهم ما يسميه الكبـــار « بالقيم » .. انا مازلت اذكر بعض الأيام الماطرة واذكر ايام الحرب المخيفة .

س : ماذا قرات في طفولتك من كتب وما هى الكتب التى تركت اثرا فى نفسك ـ ؟

جـ : قرات مختلف انواع الكتب ولكنى كنت احب قصص الميلودراما واذكر بالذات قصة الحصان الذى عاد ليموت عند قبر صاحبه .. وقرات بعد ذلك ما كنت احصل عليه من مؤلفات سارتر وكامو وكوكتو .

س : اذكر انك التحقت بمدرسة الدير .. اليس كذلك ـ ؟

جـ : نعم وبقيت فيها ثلاثة اشهر . طردت بعدها لانى لم اكن اهتم بالروحانيـــات وشعرت فى الدير بملل شديد .. زد على ذلك انى كنت ارتل صلاة من تاليفى . ولم ترق هذه الصلاة راهبات الدير فطردت من تلك المدرسة والتحقت بغيرها حتى بلغت مرحلة شهادة البكالوريا .

س : سمعت انك ابليت بلاءا حسنا فى امتحان البكالوريا .

جـ : لم يكن نجاحى باهرا . ولكن كانت إجاباتى فى الامتحان التحريرى مرضية لانى كنت قوية فى اللغة الفرنسية . غير ان الامتحان الشفوى كان صعبا فرسبت . وكنت لا اتكلم الانجليزية فلما سئلت عن « ماكبث » اخذت امثل المسرحية فى صمت واهدد الممتحنة بخنجر وهمى ! ثم مثلت مقتل دنكان .. وملا الخوف قلب الممتحنة فاعطتنى ثلاث درجات فقط .. ولكنى نجحت فى امتحان الدور الثانى والتحقت بجامعة السوربون وكانت الفوضى تسودها إذ ذاك ، لأن عدد الطلاب كان كبيرا لا يسمح بدخولهم جميعا فى قاعـــات المحاضرات . وحتى الذين كانوا يستطيعون الدخول كانوا يعجزون عن كتابة مذكراتهم بسبب شدة الزحام .. لهذا كنا نقضى معظم ايامنا نتسكع مع الشبان فى الشوارع القريبة من الجامعة ونناقش معا بعض مسائل الدين والسياسة . وبدات وانا فى الخامسة عشرة او السادسة عشرة ازور نوادى « ســـان جرمان » واكتب مسرحيات لا تستاهل القراءة وقصـــائد اقل جودة من المسرحيات .. وكتبت عددا من القصص القصيرة .

وكتبت رواية « مرحبا بالحزن » . وكانت بداية كل شىء .. كتبتها وانا فى الثامنـــة عشرة .. وكنت قد حصلت على شـــهادة البكالوريا ورسبت فى امتحان السنة الاولى بجامعة السوربون .

س : صغار الكتاب يشكون دائما من عنت الناشرين .. فهل صادفتك هـــذه المشكلة ـ ؟

جـ : جميع الفتيات يشتركن فى صفة واحدة .. الكذب .. وكنت قد كذبت على مئات من اصدقائى وقلت لهم انى قد الفت اولى رواياتى .. واضطررت حيال ذلك الى كتابة رواية اودعتها احد ادراج مكتبى لانى كنت أرى انها لا تستاهل النشر .. كان الصيف قد حل وكنت فى الريف ، وافراد اسرتى يعيروننى برسوبى فى امتحان الجامعة .. فرحلت الى باريس حيث كان ابى .. وطلبت من احدى صديقاتى ان تطبع روايتى على الآلة الكاتبة وبعثت بها الى دار نشر « جوبار » و « جاليمار » .. وبعث إلى « جوبار » ببرقية لان تليفون البيت كان معطلا .. جاء فى البرقية « اتصلى بجوبار لامر عاجل » واتصلت به تليفونيا وكدت اصعق لما قال انه يريد نشر روايتى .. وزرته

بعد ذلك فى مكتبه فقال انه يرجو ان لا تكون القصة سيرة حياتى لأن الكاتب الذى يبدا بسيرة حياته لا يكتب بعدها قصة ثانية إلا فيما ندر .. واكدت له ان القصة لا علاقة لها بسيرة حياتى .

س : من اين جئت بعقدة الرواية وفكرتها اذن ؟

جـ : من أحلام يقظتى ، من حنينى .. من خيالى .. ومازالت هذه هى مصدر ما اكتب .

س : ولم نجحت قصتك كل هذا النجاح حتى بيع منها مليون نسخة فى أول سنة ؟

جـ : لعل السبب كان فوزى بجائزة النقاد وحفلة الكوكتيل التى اقيمت تكريما لى .. دهش الصحفيون لما راونى .. فتاة صغيرة .. تصلح أن تكون موضوعا لمقالاتهم وتعليقاتهم .. وصورها الفوتوغرافية لابد تفاجىء قراء الصحف لانها على غير ما يتوقعون .. وعندى ان الجوائز الادبية كاوراق اليانصيب .. إلا فى بعض الحالات ولكنها مفيدة إذ تغنى الكاتب عن العمل لمدة عام او عامين .

س : يرجع البعض نجاح قصتك الى ما تحتوى من مادة تصدم شعور القارىء وتذهله .

جـ : من الواضح أن ما فى قصتى لا يعتبر فى ايامنا هذه مما يصدم شعور القارىء لان الظروف الاجتماعية قد تغيرت بعد نشر قصتى عن شاب وفتاة وما بينهما من حب .. واحداث القصة تجرى فوق خلفية من التعقيدات العاطفية .

س : هل شعرت بعد نجاح قصتك انك اصبحت فى عداد الادباء ؟

جـ : كنت ابدا اومن بقدرتى على أن اكون كاتبة مجيدة ، فلما تحقق ذلك اخذتنى حيرة شديدة .. كان النجاح عندى اشبه ما يكون بكرة من الثلج هائلة متعددة الالوان ، وكل ما كنت استطيع حيالها هو ان اتركها تتدحرج بعيدا عنى بسلام .. واول الامر ، كان ذلك من الصعوبة بمكان .. وجدت الناس والمصورين يلتفون حولى فادركت ان « هذه لابد هى الشهرة » .. ولم تعش فكرة الشهرة فى راسى طويلا .. والمدهش هو أن فكرة الشهرة لم تسعدنى لانى ادركت أن الشهرة تعنى توجيه اسئلة الى ، واجابتى على تلك الاسئلة ومحاولة تجنب القضايا الحقيقية .. ولم اكن قد بلغت من العمر ما يؤهلنى لذلك .. شعرت بعد نشر قصتى وكانى ارتكبت ذنبا ولكنى احسست انى لم اخطىء .. كان ما حدث هو انفجار الشهرة ..

كان أن اصبحت سلعة .. اصبحت شيئا خرافة ساجان ، ظاهرة ساجان .. وشعرت بالخزى وكنت اطاطىء راسى كلما دخلت مطعما او مقهى ، ويتملكنى الخوف كلما تعرف الناس على ، تمنيت لو عاملنى الناس كانسان عادى ، لو توقف الناس عن توجيه اسئلتهم السخيفة الى لقد سجنت فى اطار دور لا مهرب منه .. كان الناس على قناعة بانى صورة كاريكاتورية لبطلة اسمها سيجان .. وكان حديث الناس معى يدور حول المال والويسكى والسيارات لا اكثر ، وكنت استلم كل اسبوع ثلاثة خطابات سب وقذف او اربعة .. من الناس من اعتبرنى انسانا بغيضا مقززا ومنهم من قال انى منحرفة الاخلاق .. وظن البعض انى فتاة عبيطة لا تدرك معنى ما يجرى حولها ، استعانت بشخص اخر كتب لها القصة التى ادعت تاليفها .. ومن الناس من وصفنى بالجنون ... وشعرت بوازع قوى يدفعنى الى اثبات خطا هؤلاء الناس ..

س : كان بوريس فيان يقول « نحن نقضى حياتنا متنكرين ، فالخير اذن ان نحسن التنكر فلا نحتاج الى قناع » .. فلبسين قناعا ؟

جـ : لم ادرك انى فى حاجة الى قناع الا بعد فترة طويلة .. فاتخذت من «أسطورة سيجان» قناعا فلم تقلقنى الأسطورة بعد ذلك .. انا من هواة السرعة والمتعة حتى وان كانت كلها زائفة فهى وسيلة اخرى لتجنب الشعور بالوحشة .. كانت الاسطورة قناعا ولكنها كانت فى نفس الوقت من ناحية ، شخصى انا ، ونحن نعرف ما وراء الاقنعة .. لا شىء بالذات .. مجرد انسان .

لم اتحدث قط عن حقيقة نفسى بل اكتفيت بمسايرة الاسطورة وقلت لنفسى ان كل انسان حوله اسطورة ، والاساطير كلها سخيفة .. وعلى كل حال كان الافضل ان يرانى الناس فى المطبخ !! وادركت كذلك أن البطل يصل إلى نقطة الخطر عندما يبدا فى تصديق الأسطورة التى تحوطه ويعمل على تحقيق ما تصوره . وحدث ذات يوم أن توقفت عن الاهتمام بذلك كله واحسست انى لا أدين للجمهور بشىء .. وهكذا تخلصت من « وحش ساجان » .. انا اليوم لا اهتم بالاساطير التى تحوطنى لانى اعرف انها لا تمثل حقيقة نفسى .. انااوثر الحياة على الاساطير .. وعلى كل حال فان الموقف قد تغير بعد نشر قصتى الثانية وما بعدها .. فلم اعد اليوم الكوكب الادبى الجديد بل اصبحت « واحدة من الكتاب » .

كنت قبل حادث سيارتى اعتقد انى فى حصن من كل سوء .. كنت اعتقد انى لا يمكن أن اصاب بمرض .. وفجاة دهمتنى الكارثة ..وقع الحادث فى عام ١٩٥٦ او ١٩٥٧ .. وسقطت سيارتى فى حفرة وانقلبت فوقى .. وشج راسى وكسر معصمى ومعه احد عشر ضلعا من ضلوعى وكسرت عظمة كتفى واصيبت فقرتان فى ظهرى .. وصلى القس على الصلاة الاخيرة ولكن اخى رفض أن اموت على تلك الصورة فطلب سيارة إسعاف ونقلنى الى باريس .. وعدت الى رشدى بعد يومين ولم اذكر شيئا مما حدث ولكن المشاكل المستعصية لم تبدا الا بعد ثلاثة اسابيع إذ اجريت على عدة جراحات لكى استعيد القدرة على المشى .. رجلاى كانتا تتهالكان تحتى .. وفقدت السيطرة عليهما .. ولم استطع المشى الا بعد ثلاثة اشهر كنت اعتقد خلالها انى ساقضى حياتى كسيحة .. وتملكنى خوف شديد .. واستمرت الآلام شهورا كنت اتعاطى فيها المسكنات حتى ادمنت عليها .. وكنت ابكى بغير سبب .. وقرر الأطباء ان ادخل بيتا من بيوت التمريض لاتخلص من الادمان على المسكنات .. ولكنى لم استرد العافية .. وفكرت فى الانتحار .

س : هل لك أن تحدثينا عن ثروتك وثرائك ؟

جـ : لو كان الامر بيدى ما تحدثت عن المال ابدا .. ولكنى الاحظ ان كل ما تم معى من مقابلات كان لا يخلو من سؤال واكثر عن المال .. ولعل بعضها اقتصر الحديث فيها على المال وحده .. الراى السائد هو انى امراة مبذره ، تبعثر الملايين وتصدم السيدات المسنات بسياراتها « الجاجوار » .. ويطيب لها ان تفجع الناس وتصرف جل وقتها فى النوادى الليلية .. والواقع ان هذه المراة لا وجود لها وفى كتابى فقرات تشير الى هذا كله وتكذبه ولكن الظاهر ان الناس لا تقرا تلك الفقرات .

لقد حققت لنفسى الثراء والشهرة قبل ان ابلغ العشرين من عمرى .. ولم يغفر الناس لى ذلك ، فالناس تفكر فى من الناحية التجارية لا الادبية .. فانا مهمة من ناحية النشر اما عن الناحية الادبية .. فلست أدرى .

س : وماذا بعد نشر « ابتسامة معينة » في عام ١٩٥٦ و « في شهر في سنة » عام ١٩٥٧ ، ؟ هل تحسن الموقف . ؟

ج : ابدا .. اقبل الناس على شراء كتبي . وكان نشر رواية جديدة اشبه ما يكون بملء استمارة الضرائب .. تمنيت لو ناقشني الناس في الأدب ، ولكن شغلهم الشاغل هو حسابي في البنك ..

لست ادري ما يأخذون على .. الذي كسبت من المال أم الذي انفقته ، ؟

س : ما اهمية المال بالنسبة لك . ؟

ج : المال في هذا المجتمع معناه انك تستطيع أن تحمي نفسك وان تعيش حرا .. يعني انك لا تضطر للوقوف في صف او طابور لتركب الباص او القطار .. المال يمكنك من ركوب طائرة تحملك الى حيث تريد .. كان حظي أن كسبت كثيرا من وراء كتبي ، وهذه ميزة كبيرة لا تسبب لي اي خجل لان المال يضمن ان لا اعيش في فقر وان كان حمله ثقيلا .. والمال خادم مطيع وسيد رديء ، يؤثر على الاغنياء بقدر ما يؤثر على الفقراء ، وانا لا احتقر المال وان كنت لا احبه ، فهو بكل بساطة يعني انك به تعيش حرا .. ومن سوء الطالع ان عدد الذين يريدون أن يعيشوا احرارا يقل يوما بعد يوم .

س : الا تحترمين المال ؟

ج : لا .. ابدا .. انا أكرهه .. لا لأنه يمكنني من عمل ما اريد ولكن للطريقة التي يؤثر بها على العلاقة بين الناس ولأنه يحطم حياة الكثيرين .

س : هل غيرك المال . ؟

ج : من الواضح ان ما عادت به رواياتي على من ثروة قد غير طريقة حياتي ونظام معيشتي ولكنه لم يغير فكرتي عن نفسي أو عن اصدقائي او عملي .

س : هل تطمعين من جمع ثروة طائلة . ؟

ج : لا .. لم أسع وراء الثروة .. ما حدث كان وليد الصدفة .

س : اتعرفين كم ربحت وكم انفقت من مال . ؟

ج : كسبت مبالغ خرافية من روايتي الاولى .. ويحتفظ الناشر بمالي عنده ويرسل الى من النقود ما اطلب .. ولم اعرف رصيدي حتى تركت دار ابي لما بلغت العشرين من عمري فاشتريت لنفسي شقة اسكنها انا وشقيقي . ويمكنني ان أعول عددا كبيرا من الناس ، يعيشون على دخلي ويمكنني ان استقل طائرة الى « سان تروبيه » لأقضي فيها امسية .. اشتريت سيارات وقوارب بخارية ، وسمحت لعدد من الاصدقاء بالتطفل على بارق طريقة ممكنة .. كان لي دفتر شيكات .. وذهب المال مع الريح .. لم اعد او احصي ما عندي من مال أبدا .. كنت اتلقى الرسائل من ناس يحتاجون الى اشياء معينة فاساعدهم دون تردد .. كان كل شيء سهلا ميسورا .. كل ما على هو توقيع شيك .. ولو انى قضيت طفولتي بين براثن الفقر لكنت حرصت على المال .. صرفت الملايين من الفرنكات ولست ادري كيف صرفتها ..

قامرت حتى لم يبق في حسابي فرنك واحد فاضطررت إلى ان ارهن بيتي .. وتألمت لذلك لانى كنت قد اصبحت أما لولدي « دنيس » .

كان لي كل ما يحلم به اي انسان .. كل مالا يدوم .. اما اليوم فانا تحت الحراسة اخضع لهيئة من الاوصياء .. وهذا خير لي .

لست اندم على ما ضاع .. لكن هناك شيء واحد تمنيت لو انى ادخرت المال من اجله .. كنت اتمنى شراء عدد من خيول السباق ليكون لي اسطبلي الخاص .. ليت لي حصانا واحدا .. !!

س : ماذا يحدث لو كسدت سوق كتبك ؟

ج : ساواصل الكتابة ما حييت كما لو أن سوق كتبي قد كسدت .. لست اندم على شيء .. لقد نعمت بحياتي سنوات .. ومما يُرضي حقا ان يعيش الانسان في سعادة ورفاهية .. ولا يهمني ما يخبيء لي المستقبل .. فهذا الجزء من حياتي لن اندم عليه .

س : ما هي طريقتك في الكتابة . ؟

ج : اكتب مسودة ابتدائية اول الامر ولا اتبع في ذلك خطة مرسومة لانى اوثر الارتجال . احب ان اشعر بتمام السيطرة على القصة وبانى انا التي اسد خيوطها بالطريقة التي تروقني وترضيني .. بعد ذلك اهذب المسودة بان اضفي على الجمل اتزانا ثم اتخلص من ظروف الزمان والمكان واختبر ايقاع الجمل .. وليس هناك بحر معين ازن عليه الجمل وانا اكتب رواية نثرية ، ولكن الانسان يشعر عند كتابة الجملة ، اذا كانت ركيكة غير متزنة .. انا احب اللغة الفرنسية ، ولكن لا يزعجني ان ارى غلطة في قواعدها .. كل ما هناك انى احاول ان اكتب بلغة فرنسية جيدة . ولعنوان الكتاب عندي اهمية خاصة .. وانا اختار العنوان بعد الانتهاء من الكتابة .. الكلمات عندي وسائل للتعبير عن الافكار ولهذا لست ابذل كل جهدي في اختيار اروعها واجملها .. فالصياغة حرفة اتركها للجواهرجي .

ليس من عادتي ان اكتب كل يوم .. وقد اواصل الكتابة عشرة ايام او اسبوعين كاملين ثم اتوقف لافكر في القصة واسال الناس آراءهم فيما كتبت فهي عندي بالغة الأهمية .. ويسعدني دائما ان اكتب ما يضحك الناس لانى انا احب النكتة .

س : هل يهمك ما يقول النقاد عنك . ؟

ج : لست اهتم الا بالنقاد الذين يتحدثون عن كتبي وليس عن شخص فرانسواز سيجان ولهذا لست اهتم الا بعدد قليل من النقاد .. وافراد اسرتي من بين نقادي فهم يجمعون على انى لا ابذل جهدا وافرط في الشراب وانى اقود سيارتي بسرعة .. ولا عجب انى اشعر وكانى مراهق في سن الاربعين ..

س : هل تساورك اية شكوك . ؟

ج : الا تساورنا جميعا . ؟ عندي شكوك تجاه نفسي ولولاها لما استطعت الكتابة .. فالشكوك علامة من علامات الصحة العقلية .. والكتابة في اغلب الاحيان نوع من خداع النفس فالعقل يتردد دائما بين احتمالين .. بين نهايتين . والوسيلة الوحيدة التي تمكن الكاتب من الوصول إلى قرار هي اختيار الاحتمال الاكثر جاذبية من الناحية اللفظية ووجهة النظر العاطفية

س : ماذا تنوين كتابته مستقبلا . ؟

ج : قصص وروايات اقل درامية واقرب الى الحياة اليومية .. لان ذلك ينطوي على الدراما الحقيقية فالاحداث الخارجية مجرد حوادث أما الدراما الحقة فهي الاستيقاظ في الصباح والنوم في الليل .

س : يقول بعض نقادك انك متشائمة فهل هذا صحيح . ؟

ج : نعم فانا ارسم صورا ساخرة للحياة رغم ارادتي ..

س : ما رايك في ابطال وبطلات قصصك . ؟

ج : احب بعضهم مثل « جولييه » في رواية « في شهر في سنة » فهو اساسا شخص طيب يتحرك بسرعة ولا يطيل الاقامة ولا يلجا الى الغش ابدا .. وغالبا ما اجد لذة ومتعة في رسم شخصيات يرميها النقاد بالتفاهة ولكنى اختار تلك الشخصيات لانى ارى انها ليست تافهة فهي غالبا ما تعبر عن وجهة نظري وهي وجهة نظر لا تمعن في الجدية لانى اومن بان شيئا من العبث والشقاوة يعتبر سارا وجميلا . وجميع شخصياتي من النوع الصامت ولكن هذا لا يعني انهم لا يفكرون

س : سؤال اخير : ما هو تعريفك للادب ؟

ج : الأدب عندي نوع من الجنون . فالاديب يخلق شخصيات يتخذها اصدقاء وينتهي به الامر ان يعرف اصدقاءه خيرا مما يعرف ابويه !!

جمال الكناني ـ لندن

أغـــرب قضـــــية يرفعهـــــا الحيـــــــوان ضـــــــد بنى آدم ! !



بقلم : الدكتور أحمد الحوفي
عضو مجمع اللغة العربية

وردت هذه المحاكمة الطريفة فى رسالة من رسائل إخوان الصفا ، وهم فريق من المفكرين نشأوا فى البصرة وبغداد فى القرن الرابع الهجرى والعاشر الميلادى ، والفت بين قلوبهم وشائج من العلوم والمعارف والعربية واليونانية وغيرهما ، وارتبطوا بروابط وثيقة من الاخاء والوفاء والصفاء . وكان لهم مذهب خاص دانوا به ، واعتقدوا انه يبلغهم السعادة .

خلف هؤلاء الاخوان كثيرا من الرسائل في موضوعات شتى ، عددها نحو إثنين وخمسين رسالة ، طبعت في اربع مجلدات ، جمعت خلاصة المعارف التي حصلوا عليها من اللغة العربية والشرقية الاسلامية والفلسفة اليونانية .

اما القضية التي رفعتها الحيوانات على بني آدم فقد وردت في الجزء الثاني من الرسائل ، بعد مقدمات مطولة (١٥٢ ـ ٢١٧) منها ان الحيوانات التامة الخلقة كلها بدا خلقها من الطين ، وتوالدت وتناسلت وانتشرت في الارض سهلا وجبلا وبرا وبحرا ، وهي كلها متقدمة في وجودها على الانسان ، لانها له ولاجله ، وكل شيء من اجل شيء اخر فهو متقدم الوجود عليه .

ومنها ان بعض الحيوانات في اشرف المراتب بعد رتبة الانسان ، وهي الحيوانات التي زودها الله تعالى بالحواس الخمس والتمييز الدقيق وقبول التعليم .

تبدا المحاكمة عندما ضاقت الحيوانات بتعرض الناس لها ، وتسخيرها للركوب وحمل الاثقال ، فنفرت البهائم والأنعام ، وهربت ، ولكن بني ادم شمروا في طلبها ، واعتقدوا انها عبيد لهم ابقت منهم .

فلما علمت البهائم والانعام هذا الاعتقاد جمعت زعماءها وخطباءها ، وذهبت إلى بيراست الحكيم ملك الجن ، وشكت اليه مالقيت من جور بني ادم ومن اعتقادهم فيها .

وكان بيراست قد إشتهر بانه حاكم عادل كريم منصف رحيم ، يمنع الظلم ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر .

حينئذ بعث ملك الجن رسولا إلى بني ادم الذين نزلوا بجزيرته ، واستدعاهم إلى مقابلته ، فمضى بعضهم إليه ، وكانوا نحو سبعين رجلا من بلدان شتى ، فلما التقوا به دار هذا الحوار :

الملك بيراست : ماالذي جاء بكم إلى بلادنا من غير مراسلة سابقة ؟

إنسي : دعانا إلى المجيء ما سمعنا من فضائل الملك ومناقبه وعدله وانصافه ، فجئنا ليسمع كلامنا ويتبين حجتنا ، ويحكم بيننا وبين عبيدنا الابقين .

الملك : قولوا ما تريدون .

زعيم الانس : أيها الملك إن هذه البهائم والأنعام والسباع والوحوش كلها عبيد لنا ، ونحن مواليها ، فمنها آبق هارب عاص ، ومنها مطيع كاره منكر للعبودية .

الملك : ما دليلك على ما زعمت ؟

الانسي : لنا ادلة شرعية سمعية ، ولنا حجج عقلية .

الملك : هاتها .

فقام إنسي من أولاد بني العباس ، ورقى المنبر ، وخطب خطبة بداها بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ، واستدل بايات من القران الكريم ، منها قوله تعالى : « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ، ومنها تاكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل اثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، إن ربكم لرءوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة » .

ونلاحظ ان مؤلف الرسالة اختار المتكلم من نسل بني العباس لعله يرمز بهذا إلى جدارتهم بالحكم وزعامة المسلمين ، كما نلاحظ انه اقتصر على الدليل القراني ، ولم يعرض اية حجة عقلية ، ولكن الاحتجاج العقلي سيجيء بعد ذلك .

الملك : يامعشر البهائم سمعتم ما قال الانسي ، فاي شيء لكم وعندكم ؟

البغل : عندئذ قام زعيم البهائم وهو البغل، ولا ندري لماذا إختار مؤلف الرسالة البغل ليكون زعيماً للبهائم، فخطب خطبة حمد فيها الله تعالى، ثم قال: ليس في شيء مما قرا هذا الانسي من ايات القران الكريم دلالة على ما زعم انهم سادة ونحن عبيد، إنما هي ايات تذكرهم بانعام الله عليهم واحسانه، كما سخر الشمس والقمر والسحاب والرياح، وقد جعل الله كل ما في السماوات والأرض مسخرا بعضه لبعض .

ايها الملك : كنا نحن واباؤنا نسكن الأرض قبل خلق ادم ابي البشر، نتقلب في ارجائها احرارا، نسبح الله ونقدسه ونوحده، ولا نشرك به شيئا . فلما خلق الله ادم، وكثر اولاده ضيقوا علينا الاماكن والأوطان، واسروا بعضنا كالغنم والبقر والخيل والبغال والحمير، وسخروها، واتعبوها بالكد في الأعمال والركوب والتسخير في المحاريث والدواليب والطواحين والضرب والهوان فهرب منها من هرب في البراري والقفار وقمم الجبال، ولكن بني ادم شمروا في طلبنا بانواع من الحيل، فمن وقع منا في ايديهم قيدوه وذبحوه وقطعوا مفاصله ونتفوا ريشه وجزوا شعره ووبره، ثم طبخوه واكلوه ..

ولم يكتفوا بهذا، بل ادعوا ان ذلك حق لهم وواجب علينا، وانهم ارباب ونحن عبيد .

فلما سمع الملك هذا الكلام امر مناديا فنادى في مملكته بدعوة جنوده واعوانه من قبائل الجن والقضاة العدول والفقهاء، وقعد للفصل بين زعماء الحيوان والانس .

قال الملك لزعماء الانس : ما تقولون فيما تحكي هذه البهائم والأنعام من جوركم ؟

قال زعيم الانس : إن هؤلاء عبيد لنا، من حقنا ان نتحكم فيهم تحكم الأرباب والملاك .

قال الملك : لا تصح الدعاوى إلا بالبيانات .

قال الانسي : لنا حجج عقلية ودلائل فلسفية .

قال الملك ما هي ؟

قال الانسي : حسن صورتنا، وتقويم بنية هيكلنا، وانتصاب قامتنا وجودة حواسنا، ودقة تمييزنا، وذكاء نفوسنا، ورجحان عقولنا .

وكان اعتمد من قبل على الآيات القرانية الكريمة، ثم عقب على الاستدلال بها بهذه الأدلة العقلية

قال الملك لزعيم البهائم : ما تقولون فيما قال الانسي ؟

قال زعيم البهائم : ليس شيء مما قال دليلا على ما إدعى .

ولكن يبدو ان بيراست جنح إلى قبول حجة الانسي، فقال لزعيم البهائم :

اليس انتصاب القوام واستواء الجلوس من شيم الملوك ؟ وانحناء الأصلاب، والانكباب على الوجوه من صفات العبيد ؟

قال زعيم البهائم : وفقك الله للصواب ايها الملك، إعلم ان الله جل ثناؤه ما خلقهم على هذه الصورة إلا لعلمه بان تلك البنية هي اصلح لهم، وبنيتنا اصلح لنا .

لكن الملك إزداد جنوحا إلى بني ادم، فقال للبهائم : ما تقولون في قوله تعالى : « لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم » .

قال زعيم البهائم : للكتب النبوية تاويلات وتفسيرات يعرفها العلماء فليسال الملك اهل الذكر .

قال الملك لحكيم الجن : ما معنى قوله فى احسن تقويم .. ؟

قال حكيم الجن : في اليوم الذي خلق فيه ادم كانت الكواكب في اشراقها، وكان الزمان معتدلا، فجاءت بنية الانسان فى احسن صورة .

واستمرت المحاورة بين زعيم الانس وزعيم البهائم، حاول فيها زعيم البهائم ان يبطل عبودية البهائم لبني ادم، وان يرد على ان الناس احسن صورة، وانهم اجود حاسة، فقال إن في البهائم ما هو ادق حاسة كالجمل يبصر في الظلام ويبصر من بعيد وكالفرس يسمع ما لا يسمع الانسان، وكالحمير والبقر تهتدي إلى الطريق الذي تسلكه غير مرة .

قال الملك للانسي : سمعت الجواب، فهل عندك شيء اخر ؟

قال الانسي : نعم، نحن نبيعها ونشتريها، ونطعمها ونسقيها، وندفع عنها السباع، ونداويها إذا مرضت، وهذا وامثاله من افعال الارباب بعبيدها شفقة عليها، ورعاية لها .

قال الملك لزعيم البهائم : اجب .

قال زعيم البهائم : اما قوله إنهم يبيعوننا ويشتروننا، فهكذا يفعل ابناء فارس بابناء الروم، وأبناء الروم بابناء فارس، كما يفعل غيرهم من الأمم إذا ظفر بعضهم ببعض، فايهم المولى وأيهم العبد واما انهم يطعموننا ويسقوننا فان هذا ليس شفقة علينا، بل مخافة ان نهلك فيخسروا اثماننا، وتفوتهم منافعنا . ثم تكلم الحمار فشكا من حمل الأثقال والضرب بالعصي في حنق وعنف، وتكلم الثور فشكا من العمل الشاق في المحراث والساقية ومن تغطية الوجه والضرب المبرح، وتكلم الكبش فشكا من اخذ بني ادم صغار النعاج وحرمانها من البان امهاتها، ليستاثر بنو ادم باللبن، وليذبحوا ما يشاءون من صغار الضان، وتكلم الجمل والفيل والفرس والبغل والخنزير والأرنب والثور، وعقب كل منهم على شكواه بقوله : فاين الرحمة والشفقة ؟

فلما استمع الملك قال للحاضرين من حكماء الجن وعلمائهم : ألا تسمعون شكاية هذه البهائم والانعام من جور بني ادم ؟

قالوا : سمعنا كل ما قالوه وهو حق .

ثم جمع الملك قضاته ومستشاريه، واشار كل منهم براي لم ينل القبول .

وبعد حوار طويل جدا، ودفاع من حيوانات شتى، قضى الملك الحكيم بيراست بهذا الحكم :

الحيوانات كلها في طاعة بني ادم، خاضعة لاوامرهم ولنواهيهم .

اما بعد

فان هذه المحاكمة الطريفة صورة من خيال كاتب الرسالة الثامنة، وفيها الطابع العام لاخوان الصفا، الماثل في الحوار والجدل والاستدلال بالشرع وبالعقل .

ولست أستبعد ان تكون صدى لما ورد في كتاب « كليلة ودمنة » على لسان الحيوانات .

ويبدو في هذه الرسالة الايمان بالله ورسوله واليوم الاخر، فقد جاء في اول المحاكمة ان خطيب الانسان من اولاد بني العباس رقى المنبر وقال : « الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين، وصاحب الشفاعة يوم الدين، وصلوات الله على ملائكته والمقربين، وعلى عباده الصالحين من المؤمنين والمسلمين .... » .

بقى شيء اخر هو ان نتساءل :

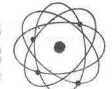
لماذا لم يذكر بنو ادم في الاستدلال على تفوقهم وامتيازهم وسيادتهم على الحيوانات ان الخالق عز وجل منح بني ادم العقول والتفكير والنطق ؟ وهي منح رفيعة لم يسبغها الخالق على الحيوانات، وما من شك في انها من وسائل السيادة، وإذا كان الانسي عرض لها فان عرضه موجز عابر إذ اشار إلى الذكاء ورجحان العقول .

ثم إن الله عز وجل اختص بني ادم بالرسل وبالشرائع وبالتكاليف، ولم يختص الحيوانات بشيء من هذا .

ويقابل هذا ان الحيوانات لم تذكر في مفاخرها ان بعضها اقوى جسدا من الانسان، مثل الحمار والبغل والثور والحصان .

فهل لهذه وتلك ادلة نكرت من كاتب الرسالة ؟ إنها كانت جديرة بالا تنبذ والا تغفل .

د . أحمد الحوفي



العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

اقمار صناعية فى جوف الانسان

● هى اقمار فسيولوجية يبتلعها الانسان لسبر اعماق جهازه الهضمى . إذ تستطيع هذه الكبسولات التى لا يتعدى حجمها حبة الدواء رصد النشاط الكهربى والحركى للأمعاء . وهى تتكون من اسطوانة طولها ٢٥ ملليمترا وقطرها ٢٠ ملليمترا ولا يتعدى وزنها ٧ر٤ جرام . وبداخل هذه الكبسولة جهاز إرسال واستقبال مصغر يعمل بزوج من البطاريات مثل تلك المستخدمة فى الساعات بحيث يستطيع هذا الجهاز إرسال القياسات لمدة ٣٥ ساعة ولمسافة عدة امتار .

وتحمل هذه الكبسولة ثلاثة اذرع خارجية مثبتة فى راسها . وعند إدخال هذا القمر الصناعى إلى داخل الجهاز الهضمى للمريض تكون هذه الأذرع مثبتة على امتداد الأسطوانة بواسطة خيط قابل للانصهار . وبمجرد وصول الكبسولة داخل امعاء المريض فان اشارة مغناطيسية خارجية تقوم بتشغيل فرن ميكروسكوبى داخل الكبسولة يعمل على صهر هذا الخيط . لتبتعد الأذرع عن جسم الكبسولة .

ويحمل كل ذراع قطبا كهربيا يعمل على قياس النشاط الكهربى للأمعاء بملامسته للغشاء المخاطى المبطن لها . اما النشاط الحركى فيقاس بقياس الزوايا التى تكونها الاذرع مع الكبسولة .

وبعد الانتهاء من كل هذه القياسات تعود الأذرع لتلتصق بجسم الكبسولة وذلك بواسطة مجموعة من اليايات بحيث يسهل مرورها إلى خارج الجسم من خلال فتحة الشرج .

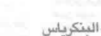
الكبسولة واذرعها منفرجة

دوائر جهاز الارسال والاستقبال المثبت داخلها

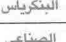


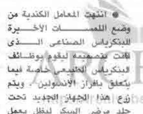
الكبسولة لا يزيد طولها عن ٢٥ ملليمترا

وتستخدم هذه الكبسولة فى دراسة الوظائف المختلفة للجهاز الهضمى عن طريق رصدها للنشاط الكهربى للأمعاء . كما تستطيع اكتشاف اى خلل فى عملية امتصاص الغذاء . ومن المتوقع فى المستقبل القريب ان تتمكن هذه الأقمار الفسيولوجية من قياس حموضة ودرجة حرارة الجهاز الهضمى نظراً لتداخل هذه العوامل فى عدد غير قليل من الاضطرابات الوظيفية للأمعاء .



البنكرياس الصناعي





● انتهت المعامل الكندية من وضع اللمسات الأخيرة للبنكرياس الصناعى الذى قامت بتصميمه ليقوم بوظائف البنكرياس الطبيعى خاصة فيما يتعلق بافراز الأنسولين . ويتم زرع هذا الجهاز الجديد تحت جلد مرضى السكر ليظل يعمل بكفاءة لمدة شهرين .

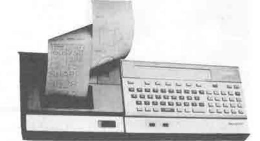
ويتكون هذا البنكرياس الصناعى من بعض خلايا الفئران البنكرياسية التى تتخللها انبوبة من مادة شبه منفذة تتصل بالأوعية الدموية للمريض . وتقوم هذه الأنبوبة بدور « الفلتر » حيث تمنع مرور الأجسام المضادة إلى داخل الجهاز فى حين تسمح للجلوكوز الموجود فى الدم بالنفاذ إلى الخلايا البنكرياسية لتقوم هذه الخلايا بافراز الأنسولين اللازم والذى يتم امتصاصه مرة اخرى فى الدم .

ولقد اثبت هذا البنكرياس نجاحه عند تجربته على الحيوانات ويستعد العلماء لزرعه فى الانسان بعد ان نجحوا فى مد فترة استخدامه لمدة اطول من شهرين .

آلة حاسبة بالطاقة الشمسية

● طرحت فى الاسواق فى الآونة الأخيرة الات حاسبة تعمل بالطاقة الضوئية سواء الشمسية او طاقة الضوء الصناعى ، واخر صيحة فى هذا النوع من الآلات الحاسبة الضوئية آلة حاسبة علمية تستطيع القيام بعدد لا نهائى من العمليات الحسابية المعقدة . فهى تضم لوغارتيمات يصل الجزء العشرى فيه الى ثمانية ارقام . وتستطيع حساب الأرقام مرفوعة إلى اس ٩٩ . كما انه فى امكانها فتح ١٥ قوسا فى عملية حسابية واحدة .

وبالاضافة إلى ذلك فهى مبرمجه بحيث تستطيع حساب خمسين داله من الدوال الرياضية . إلا ان السمة الفريدة التى تميزها هى قدرتها على استعادة معادلات جبرية فى اى لحظة من العملية الحسابية للتاكد من صحتها او لتصحيحها او حتى الغائها اذا لزم الأمر . كما يمكنها تحقيق قوانين معينة ابتداء من معطيات محددة او سلوك الطريق العكس اى الوصول إلى هذه المقدمات انطلاقا من النتائج . وهى بذلك تقدم امكانيات اكبر بكثير من امكانيات الآلة الحاسبة العادية واقرب للكمبيوتر . فهى تقوم بكل العمليات الرياضية التى يحتاجها الباحث فى المجالات المختلفة ابتداء من الاحصاء وحساب الاحتمالات إلى الفيزياء والفلك . ولا تحتاج إلى اى بطارية فان تغذيتها بالطاقة الشمسية تكفى لتشغيلها بالكفاءة المطلوبة .



كمبيوتر الجيب الذى يرسم باربعة الوان

كمبيوتر الجيب

● تتوالى الابتكارات فى مجال الالكترونيات بسرعة فائقة بحيث لايكاد الشخص العادى يفيق من انبهاره بابتكار جديد غاية فى التطور حتى يطرح العلماء نظاما اكثر تطورا .

وفى اطار هذا السباق العلمى تقدم صناعة الاجهزة الالكترونية « ميكروكمبيوتر » جديدا يعد اصغر كمبيوتر طرح فى الأسواق حتى الآن ، وإن كان يقوم بكل وظائف اى كمبيوتر آخر كما يمكن تزويده بوحدات طرفيه متنوعة مثل دوائر توليف الصوت الادمى او شاشة تليفزيونية . كما يمكن توصيله بجهازي تسجيل فى ان واحد لنقل وتخزين المعلومات المراد الاحتفاظ بها .

ولكن الجديد تماما فى هذا الكمبيوتر هو امكانية تزويده بوحدة طرفيه لرسم الاشكال الهندسية والرسوم البيانية باربعة الوان مختلفة وهى الأسود والاحمر ، والاخضر ، والازرق .

حبوب جديدة لتنظيم الحمل

● اعلن البروفسور « بوليو » وهو من اكبر الاخصائيين العالميين فى مجال الغدد الصماء والهرمونات مولد حبوب جديدة لتنظيم الحمل وهى تختلف اختلافا جذريا عن الحبوب المستخدمة حاليا سواء فيما يتعلق بالاساس الذى بنى عليه تأثيرها او بطريقة استخدامها .

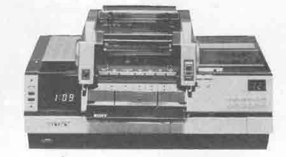
فهى لا تمنع حدوث التبويض كما تفعل الحبوب التقليدية التى تؤثر على مستوى الاوامر التى يرسلها المخ الى المبايض لتكوين البويضة ، وتسبب اثارا جانبية كثيرة قد ينطوى بعضها على خطورة لا يستهان بها .

اما الحبوب الجديدة فهى تؤثر على مستوى هرمون محدد وهو « البرو جسترون » ، اى الهرمون المسئول عن الحمل وبشكل خاص عن تهيئة الرحم لاستقبال البويضة المخصبة . فالجيل الثانى من حبوب تنظيم الحمل عبارة عن مركب مضاد لهرمون « البرو جسترون » ، ومن ثم فان هذه الحبوب لا تسمح للبويضة بالبقاء فى الرحم .

وتتميز الحبوب الجديدة بأن ليس لها اثار جانبية تذكر نظرا لانها لا تؤثر على عمل المبايض او على الاوامر التى يرسلها المخ والغدة النخاعية اليها .

ومن ناحية اخرى فان المراة لن تضطر الى اخذ الحبوب طوال الشهر اذ يكفى تناولها لمدة يومين فقط ، وحتى إذا نسيت فانه يمكنها استدراك ذلك فى موعد لا حق .

فيديو يبدل الأشرطة اتوماتيكيا



فيديو يبدل الأشرطة اتوماتيكيا

● تتنافس الشركات المنتجة لاجهزة الفيديو فيما بينها وصولا إلى اكبر عدد من البرامج التى يمكن تسجيلها فى ان واحد وعدد الأيام التى يمكن برمجتها مسبقا . ولكنها جميعا تواجه مشكلة واحدة وهى عدد ساعات تشغيل شريط الفيديو ذاته إذ لا يزيد فى المتوسط عن ثلاث ساعات . ومن ثم يتعين ان يكون الشخص موجودا لتغيير الأشرطة واستبدالها باخرى فارغة .

إلا ان احدى شركات الأجهزة الالكترونية اليابانية تمكنت من التغلب على هذه العقبة بواسطة جهاز صغير مبيت داخل الفيديو بحيث يسمح بتغيير الاشرطة اتوماتيكيا . وهو يحتوى على اربعة اشرطة .

وبالتالى فان هذا الجهاز يستطيع تسجيل ١٤ ساعة من الارسال المختار مسبقا على امتداد ١٤ يوما دون تدخل من الانسان طالما تمت البرمجة الاولية .





حضرت "الدوحة" مهرجان كان
وهذه أول رسالة من المهرجان

كان .. من : رؤوف توفيق

"مفقود"
الفيلم المفاجأة ..
والقصة الحقيقية كما حدثت



الاب يبحث عن ابنه بين المعتقلين فى الاستاد الرياضى



المخرج « كوستا جافراس » وهو يونانى الاصل

مهرجان « كان » السينمائى هذا العام .. له طعم مختلف.. اكثر فنا .. واقوى تاثيرا .

وقد رتبت ادارة المهرجان ، ان تحتفل بمرور ٣٥ عاما على انشاء المهرجان ، فى هذه المدينة الفرنسية الساحرة على شاطىء « الكوت دازير » .. ومن اجل هـذه المناسبة استعدت مقدما بحشد مجموعة من الأفلام الهامة التى تمثل مخرجيها بالدرجة الأولى .. ولا تمثل دولة ما فى حد ذاتها .

فالمهم ان تكون هناك افلام جيدة .. وليس مجرد اشتراك دول ..!

وعلى هذا الأساس .. غابت اسـماء دول من المسابقة الرسمية للمهرجان .. منها الاتحـاد السـوفيتى وبولندا والهنـد واستراليا .. وفى مقابل هذا ظهر اسم المخرج التركى « يلماظ جيونى » بفيلمه الرائع الجرىء « الطريق » الذى مولت انتاجه سويسرا .. وظهر اسم المخرج اليونانى الاصل « كوستا جافراس » بفيلمه « مفقود » الذى مولته امريكا ومثلها رسميا فى المسابقة .. وظهر اسم المخرج البولندى الاصل « جيرزى سكوليموسكى » بفيلمه « ضوء القمر » الذى مولته انجلترا ومثلها رسميا فى المهرجان .. وظهر اسم المخرج الفرنسى « جان لوك جودار » بفيلمـه « عاطفة » الذى مولته سويسرا بالاشتراك مع راديو « مونت كارلو » ليمثل سويسرا فى المهرجان .. وظهر اسم المخرج الالمـانى « فيم فاندر » بفيلمه « هاميت » الذى تم تمويله لحساب شركة سينمائية امريكية وليمثل امريكا فى المسابقة الرسمية !

وهكذا نجد ان اسماء المخرجين هى التى حددت نوعية برنامج مسابقة المهرجان .. بغض النظر عن تمثيل الدول .

وقد كان من المفروض أن تتضمن مسابقة المهرجان عددا أكبر من احدث افلام كبار المخرجين واكثرهم تميزا وعبقرية .. ولكن

كما يعلق مدير المهرجان فى تصريح صحفى له .. « ان كثيرا من المخرجين والمنتجين .. ترددوا فى الاشتراك داخل مسابقة المهرجان بعد الموافقة على افلامهم .. والسبب فى ذلك انهم علموا بعدد الصحفيين والنقاد الذين سيحضرون المهرجان وقد زاد عددهم هذا العام الى خمسة الاف صحفى وناقد من جميع انحاء العالم .. ولهذا خافوا من هذه المواجهة الساخنة » .. وقد تطلب الامر – على حد تعبير مدير المهرجان – وقتا طويلا لاقناعهم بالمشاركة .. وقد وافق بعضهم .. وانسحب البعض الاخر ، ! .. بينما لجأ عدد منهم الى الحضور للمهرجان بافلامهم منقولة على شرائط الفيديو لتعرض فى صالات صغيرة محكومة العدد ، ووجهت الدعوات شخصياً الى بعض الموزعين لمشاهدة هذه الافلام والاتفاق على تسويقها عالميا .. دون التعرض للمواجهة مع النقاد والصحفيين وطوفان الاسـئلة والتحليلات والمقارنات !

مفاجاة المخرج التركى

ورغم هذا الموقف الصعب الذى تعرضت له ادارة المهرجان .. فقد حفل برنامج المسابقة الرسمية بعدد من الأفلام الهامة .. والمفاجات الفنية المثيرة .. لعل اهمها على الاطلاق هو عرض فيلم « الطريق » للمخرج التركى الاصل « يلماظ جيورى » الذى عاش العشر سنوات الاخيرة فى السجون التركية مدانا لارا ئه ضد الحكم العسكرى .. ثم هرب من بلده الى اوربا يحمل سيناريو الفيلم الذى كتبه عن تجربة خمسة من المعتقلين السياسيين وكيف خرجوا من السجن ليكتشفوا بشاعة ما حدث لعائلاتهم وقراهم ..

والفيلم ادانة صريحة وجريئة للعنف السياسى .. وللاسلوب البوليسى فى حكم الشعوب ..

.. ومفاجاة فيلم « مفقود »

وعلى نفس المستوى من الاهمية والجرأة .. وبقدر اكبر من الحرية وسهولة الحركة والتصرف .. كانت مفاجاة عرض فيلم « مفقود » للمخرج اليونانى الاصـل



جاك ليمون وسيسى سباسيك فى لقطة من الفيلم



"مفقود"
الفيلم المفاجأة .. والقصة الحقيقية كما حدثت

« كوستا جافراس » والذى عاش اغلب سنوات حياته فى فرنسا .. واخرج للسينما الفرنسية سبعة افلام .. لعل اشهرها فيلم « زد » الذى جسد فيه العنف السياسى باليونان .. ثم جاء فيلمه الثامن « مفقود » والذى تم تمويله فى امريكا .. ليدين التورط الامريكى فى احداث « شيللى » عام ٧٣ .. وليوجه الضربة العنيفة ضد الادارة الامريكية ومحاولتها اخفاء الحقائق عن مواطنيها .. بل والتضحية بمواطنيها فى مقابل مصالحها السياسية ! .

والفيلم تحفة فنية على كافة المستويات .. يحمل فى كل ثانية من مدة عرضه التى تتجاوز الساعتين .. متعة بصرية وذهنية ، تشكل فى النهاية ، شحنة متفجرة من المشاعر والفكر الانسانى الذى يرفض العنف والخديعة .

القصة الحقيقية كما حدثت

واحداث الفيلم ماخوذة عن قصة واقعية حدثت لشاب امريكى اسمه « شارلز هورمان » ذهب ليعمل فى « سانتياجو » بشيلى (امريكا اللاتينية) كانت معه زوجته الامريكية الشابة التى تحبه وتفهمه وترعاه ، وتعمل هى الاخرى فى احدى الوظائف المدنية .. بينما هو يستغل وقت فراغه فى الكتابة للصحف المحلية والترجمة وتاليف قصص الاطفال .

ويعيشان حياتهما فى هذه الحدود .. لهم مجموعة من الاصدقاء الشبان الامريكيين الذين يعملون فى نفس المدينة .. من بينهم هذه الصديقة العائلية والتى دائما ما يلتقيان بها ..

وفى يوم ١٠ سبتمبر عام ٧٣ ـ هكذا تحدد وقائع القصة الحقيقية ـ ذهب هذا الشاب الامريكى « شارلز هورمان » مع الصديقة العائلية فى رحلة قصيرة الى احدى مدن شيللى .. وفى تلك الليلة فوجئا بقوات الجيش تحتل مداخل المدينة وتقوم بالتفتيش والاستجواب .. بينما انتشرت القوات البوليسية داخل المدينة تطارد المارة وتفرض نوعا من حظر التجول الغير معلن .. وانقضت الليلة بين طلقات الرصاص التى تنهمر فى انحاء المدينة .. والتى يتردد صداها عبر هذا الصمت الموحش الثقيل . وفى صباح اليوم التالى يعلن خبر الانقلاب العسكرى فى شيللى ، واقصاء السلفادور الليندى وحكومته ..

ويتطوع احد رجال السفارة الامريكية بنقل الشاب والصديقة الى العاصمة «سانتياجو» .. وفى الطريق وداخل العاصمة يتاكد لهما ضراوة ما يحدث .. وعندما يصل الشاب الى بيته يجد زوجة الشاب فى حالة من الرعب الشديد .. فاصوات الرصاص لاتنقطع .. ومصفحات الجيش تنهب الطرق وتطلق مدافعها الرشاشة بغير تمييز ! .

وهكذا يقرر الثلاثة .. الشاب وزوجته والصديقة العائلية .. مغادرة البلاد على الفور والعودة الى امريكا .. ومن اجل هذا الغرض يتحرك كل منهم باقصى سرعة لتصفية أعماله وارتباطاته .. وتنتقل الزوجة لزيارة بعض اصدقائها الامريكيين فى الطرف الآخر من المدينة .. ويسرقها الوقت .. وعندما تجرى لتلحق باى اتوبيس لتعود الى بيتها .. تفاجا بان كل الاتوبيسات مشحونة بركابها الذين تدلت اجسادهم من ابوابها .. وتحاول ايقاف اى تاكسى بلا فائدة .. فالكل يهرع الى بيته قبل موعد حظر التجول .. وتجرى مذعورة لاتدرى كيف تتصرف وأصوات طلقات الرصاص والمدافع الرشاشة تدوى بلا انقطاع .. الشوارع والمنازل مظلمة تماما .. والجنود منتشرون باسلحتهم مستعدون فى اى لحظة لاطلاق النار على اى شخص .. وليس هناك اى وسيلة للتفاهم او قبول اعذار .. الجو كابوس فظيع .. وهى تجرى مذعورة تحتمى بالحوائط والظلام .. حتى تجد لها مخبا فى مدخل احدى المنازل المظلمة .. تتكوم على نفسها من الرعب والفزع حتى تطلق صفارات نهاية حظر التجول مع بداية النهار ...

وما ان تشعر قليلا بالأمان .. حتى تجرى لتلتقط أى تاكسى لتصل الى بيتها .. لتجد المفاجاة المذهلة .. البيت مقلوب رأسا على


طابور من القتلى .. والاب والزوجة ومندوب السفارة يبحثون عن الابن المفقود


لحظة النهاية .. الاب والزوجة وهما يتركان المدينة التى شهدت الاحداث



«مفقود»

الفيلم المفاجأة .. والقصة الحقيقية كما حدثت

وقد استطاع المخرج «كوستا جافراس» ان يحول هذه الحادثة الفردية .. الى قضية عامة تدين العنف والارهاب العسكرى ، كما تدين الدور الامريكى فى مساندة الانقلابات العسكرية لخدمة مصالحها ..

وفى مشاهد سينمائية لا تنسى .. قدم المخرج «كوستا جافراس» .. صور الحياة فى مدينة تقع تحت وطأة الانقلاب الدموى .. حيث تسود لغة الرصاص والدم .. وتتناثر الجثث فى عرض الشوارع .. وترتفع السنة الحرائق فى كل الزوايا والميادين .. وحيث تتحرك العربات المتوحشة تطارد الحياة .

وفى واحد من اجمل مشاهد الفيلم .. يقدم المخرج مطاردة بالرصاص لحصان ابيض انطلق مذعوراً فى ليل المدينة .. وكانه شهاب من نور يشق الظلام .

وداخل المستشفيات حيث تتكدس الاجساد الممزقة والمشوهة على الأسرة وفى الممرات .. وعلى الارض .. وفى المداخل .. وكان الجدران هى الاخرى تنزف دما ..

ثم يصل بنا المخرج فى عبقرية بالغة .. ليصور لنا هذا المستودع الرهيب لجثث القتلى داخل احد مستشفيات المدينة .. حيث تتكوم الجثث فى طوابير بالطول وبالعرض .. محشورة بجوار بعضها .. دون اى مساحة فراغ .. حتى درجات السلم .. على كل درجة القوا بجثة .. اما هذا السقف الزجاجى فقد تحول الى صورة سريالية مجنونة .. بظلال الجثث الملقاة عليه والتى بدت لمن ينظر لها من اسفل .. وكانها شبكة صياد الموت وهو يفرش محصوله للعرض !!

وزيادة فى تاكيد هذا المعنى الوحشى للعنف والارهاب .. ينتقل المخرج الى الاستاد الرياضى بالمدينة حيث تحولت ممراته الداخلية وغرف خلع الملابس الى زنزانات للمعتقلين وقد تلطخت الجدران بالدماء .. تلمع من بين قطراتها شعارات الاحتجاج والمقاومة .. اما على مقاعد الاستاد .. فقد تكدس المعتقلون على المقاعد تحت وهج الشمس ينتظرون من يتعرف عليهم ..

وقد استغل المخرج هذا المكان بكل تفاصيله الانسانية .. ليقدم النقيض تماما .. عندما كانت هذه المدرجات بالاستاد الرياضى تهدر بصيحات الاعجاب والفرح للاعبى الكرة وحيث كانت الاجساد تموج بالحياة . ها هى الان .. ربما نفس الاجساد تنوء بالالم والجراح .. وهذا الاب المكلوم يغالب دموعه ويحاول ان يتماسك وهو يتكلم عبر الميكرفون ظنا ان ابنه المفقود من بين هؤلاء .. ولا يجد ما يقوله سوى ان يحكى احدى ذكرياته مع ابنه لعله يناديه .. وتلتهم عينيه الاف الشبان الذين يتجمعون فى صفوف الاستاد لعله يجد من بينهم ابنه .. وعندما يلمح احد الشبان ينهض مسرعا فى اتجاه سور الاسلاك الشائكة التى تحيط بالمدرجات .. يتوهم الاب ان ابنه قد سمعه وجاء ملبيا ندائه .. فيجرى اليه الاب فاردا ذراعيه .. ومن خلفه تجرى الزوجة فى ذهول .. ثم ياتيه صراخ الشاب ملتاعا «ليس لى اب .. فمن يسال عنى» ! لحظتها يتوقف الاب .. ليكتشف انه كان يجرى وراء السراب .. ولحظتها ايضا نكتشف ان السكين الحاد الذى مزقت حلمه .. هذه السكين قد مست جلدنا نحن ايضا كمشاهدين !

الممثلون

ولعب الممثل الامريكى «جاك ليمون» دور الاب .. وكانه يتوج رحلة حياته الفنية كلها فقد استطاع ان يجسد الشخصية بفهم واحساس بالغ .. واستخدم تعبيرات وجهه

لقطة تجمع بين الابطال الثلاثة اثناء تصوير الفيلم ، فالابن المفقود لم يظهر إلا فى الجزء الاول من الفيلم



لتنطق بما لم يقله الحوار .

ولعبت الممثلة الامريكية «سيسى سباسيك» دورا يؤكد موهبتها كواحدة من افضل جيل الممثلين الجدد فى امريكا .. وهى التى استحقت فى العام الماضى جائزة اوسكار احسن ممثلة عن دورها فى فيلم «ابنة عامل المنجم» .

بين امريكا وفرنسا

وقد كتب سيناريو الفيلم المخرج كوستا جافراس مع «دونالد ستيورات» .. وتم تصوير الفيلم فى المكسيك بطاقم فنى فرنسى اشترط المخرج ان يختاره بنفسه من بين الذين عملوا معه فى افلامه بفرنسا .. ولم تمانع الشركة الامريكية منتجة الفيلم .. بل لم تمانع ايضا فى ان يقوم المخرج بمونتاج الفيلم واعداده للعرض داخل المعامل السينمائية الفرنسية ..

وهذا هو اول فيلم يخرجه «كوستا جافراس» لامريكا .. وقد اعلن انه لن يترك فرنسا .. إلا إذا اعجبه موضوع فيلم يصوره فى الخارج ثم يعود لها .. وقد عين اخيرا كمدير لمعهد الفيلم الفرنسى «الأديك» .

الأب الحقيقى يحضر

وفى المؤتمر الصحفى الضخم الذى عقد بعد عرض الفيلم فى مهرجان كان .. جلس على المنصة وبجواره بطلى الفيلم .. وكاتب السيناريو الذى اشترك معه .. وكانت المفاجاة ان يحضر هذا المؤتمر اطراف الحادثة الحقيقية .. الأب والزوجة والصديقة ..

جلس الجميع على منضدة واحدة يواجهون طوفان المصورين وفلاشاتهم السريعة المتلاحقة التى ترصد هذا اللقاء الذى جمع ما بين الواقع والفن وكان النجم الذى انهالت عليه كل الأسئلة .. هو المخرج «كوستا جافراس» الذى خلق هذا العمل الفنى الرائع واحدث الصدمة التى اعادت مجد السينما التى تقول اشياء هامة وممتعة .

ماساة عائلة وبلد

ومن بين اسئلة هذا المؤتمر الصحفى .. واللقاءات المتعددة التى تمت مع المخرج .. اخذت هذه السطور من اجاباته والتى توضح تفكيره واسلوبه الفنى .

يقول : «انتى لم اشر على الإطلاق .. من خلال الفيلم ان هذا البلد الذى شهد هذه الاحداث هى «شيللى» .. ولم اشر ايضا الى «الينيدى» .. ولكن الأمر لا يستلزم ان تكون «شرلوك هولمز» لتكتشف عن اى بلد نتحدث .. وقد اردت من خلال الفيلم ان اقترب من شاعر شاب من الممكن ان يكون فى اى بلد - وفى اى وقت .. ولا نهاية لهذه القصة التى تستمر فصولها حتى الآن» .

ويقول : «لم احاول ان اعيد بحث الحقائق والمستندات التى أوردها الكتاب الذى اخذت عنه قصة الفيلم .. لماذا اكرر عملية البحث اذا كان الكتاب قد غطاها تماما بكل وثائقها الرسمية .. كل ما فعلته اننى اعطيت كل وقتى فى لقاءات مع عائلة «هورمان» الأب والزوجة والصديقة وما تبقى من الاصدقاء .. فالهدف الرئيسى من الفيلم ليس مجرد ادانة السفارة .. بل صنع دراما عن ماساة عائلة من خلال ماساة بلد .. ماساة شعب» .

كيف ترى الفيلم ؟

عندما بدا عرض فيلم «مفقود» داخل الولايات الامريكية .. انشغلت به الصحافة تماما .. البعض القليل استنكر الفيلم وادانه لأن مخرجه من اصل يونانى .. اما الغالبية العظمى من الآراء فقد اعتبرته من افضل الافلام الامريكية لهذا العام ..

وحول ردود الفعل المناهضة للفيلم .. يرد المخرج «كوستا جافراس» بقوله .. «لقد شاهد الرئيس ريجان نسخة الفيلم .. ولم يعترض على شىء .. ولم يعلق بشىء» واضاف «الحقيقة التى يجب ألا تغيب عن احد .. ان الفيلم امريكى .. تم انتاجه وتمويله وتوزيعه من خلال شركة امريكية كبرى .. ولعب ادوار البطولة اثنان من اعظم الممثلين الامريكيين .. والشىء المدهش هو اكتشاف مدى قدرة امريكا على النقد الذاتى .. وارجو ان تصدقوننى عندما اقول ان هذه القدرة على النقد الذاتى هى من أهم مزايا الديموقراطية والحرية فى امريكا» .

وسالوه : «هل تعتقد ان الفيلم سيغير من سياسة امريكا» ؟

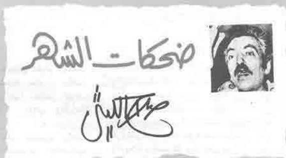
قال ببساطة متناهية «الفيلم فى النهاية هو فيلم .. انه لا يخلق حركة سياسية .. فالفيلم مدته ساعتين قد تصنعه فى عامين او فى عشرين عاما .. ولكن الجمهور قد يفكر فيه ليوم او يومين .. ثم ينشغلون بحياتهم .. وبلا اى مبالغات .. عندما يحدث هذا فاننا نكون قد حصلنا على افضل النتائج» !

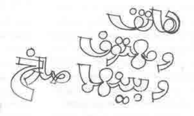
...

من هذه الكلمات البسيطة المعبرة .. نكتشف حقيقة - ربما نعرفها جيدا ولكننا نفضل ان ننساها احيانا كثيرة - هذه الحقيقة هى أن العبقرية ليست فقط فى طريقة التعامل مع الأشياء .. ولكنها ايضا فى التواضع .. !!

«رءوف توفيق»

لعبت الممثلة الامريكية «سيسى سباسيك» دورا يؤكد موهبتها العظيمة







ما قبل التاريخ والهاتف الناس كانوا بيتكلموا ازاى؟؟



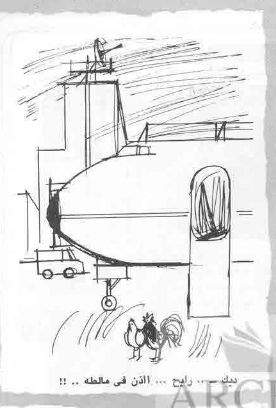
شحات افرنجى ـ يارب فلوس .. موش ميه .. !!



سيدتى ... سيدى اللص .. حضر .. !!

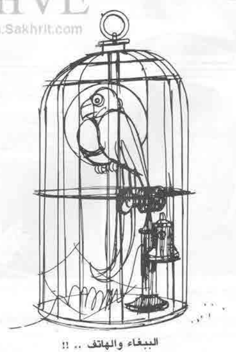


بدون كلام .. !!



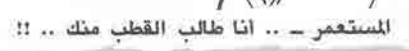
ديك ـ .. رايح ... اأذن فى مالطه .. !!





الببغاء والهاتف .. !!





المستعمر ـ .. انا طالب القطب منك .. !!

متفرقات

بقلم : عبدالله الشيتي

سئلت مؤخراً ، فى عاصمة خليجية :

– من هى المذيعة التليفزيونية التى ترتاح لها عادة ؟ .

فقلت من فورى : هى التى تشفع اخطاءها الصرفية والنحوية بابتسامة عريضة عذبة ترتاح لها عظام «سيبويه» !

وسئلت : ما هى امنيتك التى تود ان تتحقق ؟

قلت : ان لا تكون لى امنية ..

قيل : لمـــاذا ..

قلت : كى لا افقد نعمة الشــــوق والتمني .. !

• •

– قلت لزميل اديب : هل فهمت فلسفة (زرادشت) من غير تعقيد ؟

قال : لم افهمها لانها معقدة .. !

قلت : لو تمعنت فى فلسفته قليلا ، لاكتشفت مدى بساطتها ويسرها ، إنها تتلخص فى حكمته هذه (لتكن ذاتكم متجلية فى عملكم ، كما تتجلى الام فى طفلها) .. !

• •

● قبل ايام ، شاهدت اعمى يقود بصيراً فما استغربت .

اتدرون لماذا .. ؟

لأن المبصر كان فاقد ... البصيرة !

• •

● كلما طالعت امامى وجها بشوشا مبتسماً ، دعوت له الله ان يديم عليه نعمة الابتسام ، لأنى اكره التطلع الى الوجوه التى تقطع الرزق .. !



وتعلم كيف تنسى وتعلم كيف تصفح

● اخر مرة ، زار الشاعر الكبير عمر ابوريشه الكويت ، قبل ان يعود الى « مربط خيله » في بيروت لا يبرحها حتى وهي تحترق ، وفاء وعرفانا ، روى لي بيتين بثيمين من الشعر « العاطفي » بمثابة قصيدة كاملة تختصر حكاية « حب » ما من لقاء بعده :

حكايـــة حبنا ختمت فما اشجى وما اقسى
جميل منك ان تعفي واجمل منه ان انسى !

فالمحب هنا لا يدخر جهداً ، في محاولة كتمان السبب الذي ادى إلى خواتيم حكاية طويلة مثيرة . إنه – اي المحب – كما يقول لي الشاعر ابو ريشه ، يحفظ للمحبوبة جميلها وفضلها في عنقه ، وقد وهبته حبها وحنانها ذات يوم ، فما يجوز له أن يرسل لسانه في اثرها ويكسر الزير وراءها ، احتراما لما كان بينهما من علاقة سامية لا يجوز معها الردح وتبادل السباب والاتهامات ، كما في كثير من الحالات .. الشاذة طبعاً .

ولهذا نراه ونسمعه يرجوها ان تعفي عما سلف ، واجمل منه ان ينسي ما كان من غير حاجة إلى الخوض في التفاصيل وما اكثرها و (ازعجها) في فراق المحبين إذا دب بينهم خلاف او سعى بينهم عزول حاقد او واش نمام !

وتلك هي لعمري – قلت للأستاذ ابوريشه – عفة الحب حتى وهو يموت ..

دوحة الماضي

مجلة ثقافية علمية أدبية صناعية زراعية

مقتطفات مما كان يقرؤه منذ ١٠٠ عام جد أبيك

منشئها ومحررها
صلاح الدين المقريزي

العدد الحادي عشر
يولية تموز
١٩٨٢

عزيزى القارىء :

المعركة فى هذا العدد ، هى معركة التفرنج ، ذلك الهم القديم الجديد الذى كان يقلق اجدادنا ، حتى انهم افردوا له فصولا متتابعة ، يهاجمونه ، ويندّدون به ويسخرون منه !

فعلوا ذلك فى مرحلة كان العرب فيها يتعرضون لمظاهر فقدان الاتزان ، بعد ان استيقظوا من تخلفهم القديم ليجدوا اوروبا تدق – طوال القرن الثامن عشر – ابواب وطنهم ، وتلتهم اقطارهم قطراً بعد قطر ، فلم يكد القرن ينتهى حتى كان الوطن ، مستعمرات او اشباه مستعمرات ..

اما الخطوة الأولى فى الغزو ، فكانت هجوماً على العقل العربى وتخريباً له ، واحتلالا للنفس العربية ، ودعوة للانسلاخ من جلد الامة : حضارتها وماضيها وتاريخها !

فهل يتذكر ذلك هؤلاء الذين لا هم لهم اليوم إلا الحديث بالفرانكو - اراب ؟ !

المحرر

مواطن سورى فى
زى القرن الماضى

باب الأسئلة والأجوبة

(●) من الناصرة . هل يوجد للموسيقى العربية انغام (نوط) مطبوعة كما يوجد للموسيقى الافرنجية وان وجد فاين تباع وكم ثمنها .؟

الجواب : نعلم بوجود انغام عربية مكتوبة بصورة النوط عند العساكر الشهانية والبعض من المولعين بهذا الفن ولكننا لا نظن انه يوجد لها فى بلادنا انغام مطبوعة الا ما يوجد منها فى كتب الترتيل ككتاب الالحان للدكتور ادون لويس واخبرنا بعض اصحابنا انه يوجد كتاب للالحان العربية والتركية والفارسية بالنوط اليوناني مطبوع بالاستانة .

(●) من اللاذقية ذكرتم صفحة ٧٧ من مقتطف السنة الخامسة ما مضمونه ان الدكتور برهم قطع الاسفنج قطعا صغيرة وغرسها فى الصخور فنمت فنرجوكم ان تبينوا باى واسطة الصقها بالصناديق والحجارة او كانت ميتة ام حية .؟

(ج) لابد ان يكون الاسفنج حيا والا فلا ينمو وقد جرب الاستاذ اسكار شمدت ذلك ايضا فنجح نجاحا عظيما حتى فوضت اليه حكومة النمسا ان يروج هذه الصناعة الجديدة على شطوط دلماطيا . وقد ذكر التيمس ان طريقة الغرس سهلة وهى ان يقطع الاسفنج الحي الجيد قطعا صغيرة عديدة فى الزمان المناسب لنمو الاسفنج فى فصل الربيع ثم تثبت القطع بعيدان تدق فى قعر البحر فتاخذ كل قطعة فى النمو حتى تصير اسفنجة معتدلة الحجم فى ثلاث سنوات على ما قال الاستاذ شمدت . والظاهر ان هذه الصناعة جزيلة الربح فقد استغلوا من بعض المغارس اربعة الاف اسفنجة بمبلغ لم يزد راس ماله ورباه فى ثلث سنوات عن تسع ليرات انكليزية . فيا حبذا لو شمرتم عن ساعد العزم وفتحتم هذا الباب لابناء البلاد .

(●) من عكا . هل من دليل جيولوجي على ان الانسان كان يعيش تسع ماية سنة .؟

ج . لا يوجد دلئل جيولوجى على ذلك

برهان تقدم الأمم الشرقية

جاء في الرائد التونسى ما يؤخذ منه انه يوجد فى قصر بكين كتاب يوجد فيه تصاوير على الخشب وعنوانه (كسوكين توشوتسي تشينغ) معناه قاموس دائرة المعارف العامة القديمة والحديثة وعدد اجزاء هذا القاموس عشرة الاف تحتوى على جميع العلوم الدينية والكيماوية والصناعية والحرف والعوائد والمصنوعات والتجارة وغير نلك وهو مطبوع طبعا نظيفا .

(المقتطف)

تمدن شرقي وتمدن غربي

جاور احد الانكليز رجلا من ابناء العرب فكتب اليه الانكليزى يوما اريد ان اسامرك فهل تحضر فى بيتى او احضر عندك فكتب اليه العربى عادة الانكليز اذا سقوا انسانا كباية شراب امتنوا بها عليه وعدوها من اكبر النعم وعادة العرب اذا زارهم احد واكل طعامهم وشرب ماءهم شكروه ومدحوه وفرحوا به فانا احب ان اسر باكلك فى بيتي ولا اريد ان اكون اسير فنجال او كباية فاضطر الانكليزى للتوجه وبعد ان وصل وجلسا للمسامرة قال له العربى ما هو التمدن الذى تريدون ادخاله فى بلادنا فقال الانكليزى هو خلاصكم من التوحش فقال العربى لا يخفاك ان المتوحش هو الذى ينفر من الانسان ولا يعرف الا مثله وهذا لا يطلق على سكان قطرنا فانهم يتبادلون التجارة مع سائر اهل الدنيا قديما وحديثا ويعرفون عوائد كل امة واخلاقها فهم يعاشرون كل انسان بما يناسبه ويالفه فلم يبق الا بعض البدو الذين يسكنون البادية فى الخيوش وهؤلاء اذا اجتمع منهم رجلان بخيشين واقاما فى جبل ورزق احدهما بنتا والثاني غلاما وارادا زواجهما عند كبرهما فانهما يصنعان لهما خيشا ثالثا قبل الزفاف لما تراه العرب من العيب القبيح اذا اجتمع رجلان وامراة فى بيت او بالعكس فهل فى متوحشى الانكليز من يهتدى لهذا العمل العظيم ويرى اجتماع رجلين بامراتيهما فى محل واحد قبيحا .

فقال الانكليزى لابد وان يوجد .

فقال العربى مهلا انا كنت فى لندن سنة ٦٠ ورايت رجلا صاحب معمل (فابريقة) وضع عددا كثيرا من عمال المعمل فى بيت بحيث صار فى كل قاعة اربعة رجال بعائلاتهم ونسائهم بلا حواجز بينهم فهل هذا هو التمدن المضاد لتوحشنا .

فقال الانكليزى لا يعمل هذا العمل الا الفقراء الذين لا يقدرون على استئجار بيت على انفراده .

فقال العربى لكننا لا نرى هذا عند فقرائنا ولا اغنيائنا فاجدر بكم ان تتمدنوا بما عندنا من الآداب .

هذا هو التمدن الذي جاء به العرب المتفرنجون

اجتمع مسلم وقبطي من المفطورين على حب وطنهم المحافظين على عادات اهليهم وتذاكرا فى التمدن الذى به تعمر البلاد فقال احدهما ربما كان سيرنا فى منفعة بلادنا وتعظيم ثروتها واصلاح ارضها وتحصين حدودهـا والمحافظة على لغتها غير التمدن الذى تعمر به البلاد فالاولى ان نجتمع باحد شباننا الذين اخذوا التمدن عن اهله فى بلاده ونسالهم عنه وبينما هما يتذاكران واذا بشاب عليه سترة وبنطلون وفى يديه قفاز (جوانتى) او (الديوان) وفى عنقه قلادة اطلس (كرافيت) او (بيوك باغ) وعلى عينيه نظارة وبيده عصا عليها صورة كلب فسـالاه عن التمدن فقال يجب عليكمـا اولا ان لا تذهبا الى المعابد فلا تذهب انت الى المسجد ولا تدخل انت الكنيسة فانهما يقيدانكما بالحلال والحرام والواجب والجائز وهذا ضد التمدن ثم لا تتقيدا بدين او مذهب او عادة وبولا من قيام على اى حائط وناما بالنعال فى ارجلكما واسكرا على قارعة الطريق ولا تجلسا مع احد من اهل بلادكما فانهم قباح المنظر غلاظ الطباع ضعفاء العقول وإذا دخل احدكما مجلسا فليضع فخذه الايمن على الايسر وليمد رجله بالنعال فى وجه من يشاء ويهز كتفيه ويعوج كلامه فيقول (اني موش كلت ـ قلت ـ لك على شان انتم مسكين احنا بادين ـ بعدين ـ جيتو هنا على شان شوف انتم املتم ـ عملتم ـ ايه لكن انتم اولاد آرابو ـ عرب ـ زي بهايم تمام) فان عارضك احد اشتمه بالفرنسوي والعنه بالانكليزى وسبه بالتلياني فان ضربته وجاء احد العساكر لضبطك قول انا حماية روح هات لي واحد يسقجي

ـ حاجب فى السافرة الاجنبية ـ

واضرب اباك واطرد امك ولا تعرف جارك فانهم يقبحون سيرتك بافعالهم القبيحة وسيرتهم الفلاحى وخذ زوجتك معك فى المجامع والطرقات وادخل بها محـلات الرقص ومجالس الشبان وعرفها بهم كل انسان باسمه وهذا هو الدرس الاول فان عملتما به علمتكما درسا اخر وهكذا حتى تتمدنا .

فقال له احدهما يا جاهل يا غبي هذا هو التوحش بعينه بل الخروج من طور الإنسانية الى البهيمية ظنناك عاقلا عالما مهذبا فاذا انت عدو للانسانية جاهل بالوطنية فارغ من الادراك التمدن ايها الضال هو الاشتغال بالعلوم والبحث فيها ووقوف كل انسان عنـد حده ومحافظته على العادات الجميلة والتمسك بمعتقد طائفته وترك الخرافات والبعد عن الافعال الذميمة ومسايرة الكبير وملاطفة الصغير ورحمة الفقير ونصح الغني وتنبيه الغافل وترك التعصب على من خالفك فى المذهب او غايرك فى الجنسية والسعى خلف الاصلاح وتاييد لغة البلاد وحفظها من الدخيل ومما يفسدها والنظر فيما يريده الغير منا وما يوجه اليه افكاره من اماكننا وبذل المال فى تعظيم ثروة هيئتنا الاجتماعيـة والحرص على سماع كل ما يختص بمصالحنا فما يشير الغير باشارة او بطرف بعين الا كنا على علم مما يريد وحذر مما يراد وتعميم التعليم لابنائنا حتى لا نرى اميا ولا جاهلا بالمعارف وتشييد المعالم التى تشهد باعمالنا وحفظ الاثار التى تدل على تقدم آبائنا ورفع كل نقيصة تخدش الشرف او تضعف الوطنية او توهن قدر البلاد او توجب احتقارنا عند العالم او تنزل بنا الى درجة يرمينا فيها الغير بالجهالة والخشونة فان كنت تعتقد ان التمدن ما انت فيه فانك اجنبي من البلاد بعيد من الدين عدو للجنسـية بغيض للانسانية لا اهل ابقيت ولا غريب عرفت وما اوقعك فى هذه المحذورات الا جهلك بالعاقبة فان جهل العواقب جالب العواطب .

خرافات الشرق وخرافات الغرب

طلب منا صديقنا الابر محـرر المحروسة الغراء شرح الخرافات فى شان النجم ذى الذنب وقصد بذلك اظهار الحقيقة وابطال قول المخرفين لطهارة عقول الشرقيين مما يدنس شرف ذكائهم ولكون الخرافات عامة فى كل امة والعادات القبيحة مختلفة باختلاف الجنسية والمواقع فقد اخترنا ان نعد فى جريدتنا محلا لذكر خرافة شرقية وخرافة غربية وعادة شرقية وعادة غربية نفكه بها قراء الجريدة ليعلموا الفرق بين الشرقيين والغربيين فكم فى الغرب خرافات لا يصدق بها مجنون الشرق وعادات لا يرضاها متوحش العرب ولكن نظافة الثياب وطول القبعة وعذوبة لفظ جرائدهم تبرئهم من كل عيب وترمينا بكل رذيلة ونحن ناخذ كل ما جاء منهم بوجه الاستحسان وما مقام صحيفتنا فى بلادنا الا مقام جرائد التهذيب فى اوروبا فانها التى ابطلت كثيرا من الخرافات والعادات بالتبكيت ولهذا طلب صديقنا شرح الحقيقة وابطال قول المخرفين فان هـذا من خصائص جرائد التهذيب فلا يصدق عاقل ما اقترحه احد المنجمين من فساد العالم فى شهر نوفمبر المقبل وتناقلتها الجرائد متهكمة بافكاره وارى ان الجرائد الافرنجية ما تصدت لنشر هذه العبارة الا لتشغل افكار الشرقيين بالخوف والرعب وتلهيهم عن ملعب السياسة الشرقية الجارى فى اوروبا لما يعلمونه من ميل الشرق لاخبار المنجمين والرمالين والجفريين اكثر من ميلهم لتلغرافات السياسة واخبار المحافل والمؤتمرات .



قصة بقلم: كلثم جبر

(١)

ردد الاطفال ما قلته بسذاجة . دون وعى رددوه ..

على أن أعيد الكلمات ثانيــــة .. أن اغرسها فى تلك الاذهان .. اطبعها فى العيون الباهتة المتطلعة .. ترمقنى هى .. ترمقنى عيونهم بصمت غريب ..

ـ الحق .. الخير .. العدل ..

جفت حلوق الصغار .. وحلقى .. وشريط احمر دقيق .. دم متفجر ينبثق من حلقى وحتى مد بصرى يغطى الأرض والجدران .. والحب والخير .

ووجوه اطفالى . قد اكون ارعبت الاطفال بهذه الكلمات .

عيونهم جمرات متألقة خائفة .

ولكن رغم ذلك قــد اضحكت استاذى الجامعى بها قال عنها مثالية لا توجد .. صمت وابتسم وقال هروب لطيف من واقع الحياة .

اود ان انتزعه من « بزته » واصلبه امامى واصرخ فيه .. « إنى شرحت نفسى حتى اصبحت جثة وشممت رائحة العفونة التى انتشرت من ارجائى بلعت واقعى وهربت الى مثالية احلم بها ولا تستطيع ان تصل إليها ببزتك هذه » القن الاطفال ثانية

ـ الحق .. الخير .. العدل .

وصدى ضحكات استاذى الجــامعى المصلوب ببزته فوق وجهى .. امسح وجهى من صدى ضحكاته اللزجة . وابصق فوق الأرض مبادئه المدروسة حمدا والتى يلقنها لى ..

ونظرات الصغار باتت اشد ذعرا وصوت هامس يتحرك .. يقترب منى .. تليه يد صغيرة جريئة .. تهزنى برفق ..

ـ معلمتى .. هل انت مريضة ؟

(٢)

اطفات مصباح غرفتى .. غصت فى طيات الفراش الوثير .. كل ما املك وثير .. ندى .. رطب .. ولكن قلبى ارض جافة .. عطشى .. تطلب الغيث .. الغيث .. لم تعد تمطر فوق ارجائى منذ زمن بعيد يوم كانت عيناه مغارة احلامى . كنت اهرب الى عينيه وحدهما .. هناك استــتريح واجد « اليوتوبيا » التى احلم بها ..

افترش الارض واجلسه امامي واهمس .

ـ اهوى عينيك وصوتك ويوتوبيــــــا احلامى .

يصمت .. اراه ينحدر الى اعمق الاعماق ويصمت ـ يخاف ـ يرجف .. الخوف غزا عينيه كما غزا عيون صغارى يوم بصقت فوق الارض مبادىء استاذى المدروســـة جيدا !

ـ انا رفيقة الصمت ولكن معك امقته .

عيناه اللتان احبهما ترجفان .. رموشهما ترتجف .. إلى الوراء يتزحزح قليلا ..

ـ هل ستخاف من جديد ؟

ـ الخوف احساس كالحب .. احبك انا واخافك . صدقينى انا اخافك اخشى مثالية مدينتك التى تحلمين بها . انت تبنين قصورا هشة . تقيمين قصورا ولكن هشة .

عيناه .. لعينيه سحر عجيب ..

كان مرتعشا كاليوم حينما انتصب واقفا امام والدى . لم يكن خوفه منه .. كنت انا مصدر خوفه .. اعلم ذلك .. زادنى غرورا .. جذبتنى عيناه كنت احملق فيهما وكان يتعلثم بالحديث .. اخذه والدى بعيداً عن نظراتي الغازية .. إلى الصالون الآخر .

ارشده عما يجب ان يقوم به .. نبرات صوت ابى القوية تاتينى وانا مزروعة فى مكانى « نحن نملك الشمس والصهد والنفط .. وانت تملك الوعى والجهد ونحن قوم نستشف الاخلاص

احنى راسه وتوارى من امام والدى .. وكانت عيناى له بالمرصاد .

ـ انا اخشى .. !

وهب واقفا كالاعصار .

(٣)

ـ ابى .. لطيف هذا الانسان يملك الحق والاخلاص .

ـ الازلت ترددين هذه الكلمات .

ـ ابى .. هل اخطىء عندمــــا انادى بمجتمع يسوده الحق .. والخير .. و ..

توارى ابى ، منذ بدات اعي .. وهذا الوعي يؤلمنى .. لم يكمل معى ابى مناقشة ما .. كان يبتر الحديث ويهرب .. يخاف جنوني .. انا اعلم ان ابى يخاف جنونى كان يدعو هذه المثالية جنونا .. كان يخاف هذا الجنون وانا اخاف نفسي .. اخاف .. ولكن الخوف كلمة لا استسيغها . لذا على ان امتلك عينيه .

كان منكبا فوق الورق بعــروق جبهته النافرة .. يلتهم الكلمات .. وكنت ابحث عن عينيه .. احرقته نظراتى .. رفع وجهه .. رانى وفزع .. انا والفزع وهو متلازمون نتواجد فى اللحظة ذاتها .

وقف .. احنى راسه .. وجلس من جديد

ـ ما الذى ساقك إلى هنا ؟ النفط ام الصهد ؟

صمت .. ورفع عينيه ..

ـ لقمة العيش .

ـ الحلال ؟

بحلق فى وجهى .. دهش .. وفزع من جديد .. وصرخ بقوة وهو يضرب الطاولة الزجاجية والورق ..

ـ اجل .. الحلال .

(٤)

ـ أكره الصمت معك .

ـ موجوع . مللت الحديث . اكره المثالية واعشق الواقع .

ـ ماذا وراءك ؟

ـ يؤلمنى الحديث .

ـ رفقاؤك .. ماذا بهم ؟

ـ هم سبب علتي . الحديث يؤلمنى ولكن

موجوع امقت الخيانة .. إنهم يتامرون لسرقة ابيك . امقت الخيانة اشعر بانى اخونهم . على والدك ان يكتشفهم بنفسه . ولكن انت السبب فى تغيير مسار الاحداث وانا اكره الخيانة ولكنهم يسرقون اباك .

ــ وماذا عن اللقمة الحلال ٠ ؟

ــ انا انشدها . الغير يتعجلها بكل الطرق وباقصرها .

ــ هى إذن غير حلال . لن اخبر ابى . عليه أن يكتشف الخيانة . كان يقول إن باستطاعته شمها قبل ان تتفشى فعليه الآن ذلك .

ضرب بكلتا يديه الجدار . كطفل احمق سحب «امرىء القيس» و « نزار » و «شيللى» من فوق الرف . القى بهم فوق الارض داسهم بقدمه وشهق .

ــ انت .. وهؤلاء سبب بؤسى .

ابتسمت بشماته وانا اقترب منهم رفعت « امرىء القيس » بطرف قدمى ومن ثم قفيته فوق الارض من جديد .

وعدت اهمس باكية ..

ــ ما الذى دفعهم لذلك ٠ ؟ اين الحق .. والخير .. والعدل ٠ ؟

(٥)

فتحت الباب ..

ادهشنى الرجل الواقف به .. اعرفه جيداً .. منذ كنت طفلة كانت امي تخيفني به .. لكى انام .. وادرس .. و ..

التفت إلى الوراء ورفعت صـــــــوتي مناديه ..

ــ ابى .. انه رجل الامن !

خطوات ابى تسبق فضولى .. تقوده إلى الداخل . واقف وراء الباب .. دبيب قلبى يرتفع .. من خلال فتحة الباب الموارية ارى نصف وجه رجل الامن .. واسترق السمع .. ورغم ذلك اعلم السبب فى مجيئه .

ــ لتكن المسالة حاسمة وبدون ضجة . اواخاف الله قبـل ذلك .. والشيطان خلق للغواية .

ابتسمت بسخرية « إنه ابي . ويعظ ! لماذا لا يسالهم : ماالذى دفعهم للسرقه ؟ ولكنه ابي . ويعظ ! »

ــ كما تريد اين هم ؟

لم ارفع راسي رغم ان ابى اصطدم بي حين خروجه .. ذهب ورجل الامن ركب سيارته .. تركنى واقفة وذهب ورجل الامن معه .

(٦)

الساعة تشير إلى الثالثة صباحا بعد منتصف الليل واصابعي تدير القرص .. اطلبه منذ ساعات طويلة ورفعت السماعة على الطرف الآخر .

ــ اين انت ؟

ــ صباح الخير .

ــ اين انت ؟ كنت اطلبك منذ ساعات طويلة ؟

ــ كيف انت ؟

ــ اين كنت ؟

ــ مع رفقائي . قبل ذلك كنت مع ابيك ورفقائي ورجل الأمن .

ــ ماذا حدث ؟

ــ كان ابوك عطوفا .. ساعود لوطني غدا .

ــ غدا ؟؟

القيت الهاتف . يداي سبقتا قدمي تركته يتحدث خلال الهاتف وهرعت تمتد يداي تفتحان الابواب .. تطرقان الابواب .. تهزان ابي فى فراشه وتفزع امي .. وتضيء النور .. و ..

يصمت ابي .. ينظر إلي بقوة ...

ــ لماذا هو ايضا ياابي ؟

ــ كان معهم . كان يعلم انهم يسرقون ويصمت ــ دافع عنهم .. قال انهم بؤساء . الحاجة دفعتهم لذلك .. دافع عنهم .. قال .. رواتبهم اقل من مجهودهم الذى يبذلونه .. دافع عنهم . قال .. إني استهلكتهم . دفعتهم للسرقة .. انا دفعتهم للسرقة . ولكن رغم ذلك فهو راهم يسرقون وصمت . هو منهم . كان يعلم ويصمت .

ــ ابي كان يريد اخبارك .. منعته من ذلك .

ــ انت ؟

ــ عيناه وصوته .. رمز مثالية مدينتي الفاضلة .. كان صادقا يا ابي . العدالة تقتضي ان تدين المجرم ولكنه غير ذلك .. ابي .

ــ إذن ؟

ــ يستثنى يا ابي .

ــ فليكن .

تنهدت .. قدماي الآن هما اللتان تسبقان يدى نحو غرفتي .. التقط السماعة الملقاة فوق الفراش واهمس ..

ــ مستثنى انت .

صمت .. و .. اجاب ..

ــ تصبحين على خير .

واغلق الهاتف .. تواريت بالفراش .. ونمت ..



(٧)

المقعد نفس المقعد .. والجدار نفس الجدار .. و « نزار » و « وامرؤ القيس » فوق الارض واخرون غيرهم .. وخطوط بالقلم الازرق العريض فوق الجدار تحمل نفحات مشاعر .. وباردة موحشة هي الغرفة .. وانا ابحث بلهفة ابحث .. قلبت الورق والفراش والدولاب .. وادوات المطبخ .. وعدت إلى الخطوط العريضة فوق الجدار اصرخ بها « اين هو ؟ اين عيناه وصوته ؟ »

صرخت . وقلبت كل شيء .. دست فوق اشلاء «امريء القيس» وعدت إلى المنزل .. كزوبعة ناديت ..

ــ ابي .

كان واقفا ملتصقا بالجدار .. الذى يحمل صورة كبيرة لي .. رسم خطوطها فنان متجول قابلته ذات يوم فى تجوالي فى تلك المدينة الباردة . اثاره فضولي .. وشعرى .. وعيناي .. وطلب ان يرسمني .. اجلسني فوق الرصيف .. رسمني .. وابي ينتظر .. وحمل بعد ذلك صورتي .. وعلقها هنا فوق الجدار .. وقال باعجاب وهو ينظر إلى خطوط عينيه فى عيني « انه بالفعل فنان » .

ــ ابي .. اين عيناه .. بحثت عنهما فى كل مكان فلم ارهما . رايت « نزار » فوق الارض ينزف و « بايرون » ولم ارهما . رايت الخطوط الزرقاء التى خطها ذات يوم فوق الجدار ليبرهن لي انه صادق . ولم ارهما . صدى همساته لم تكن هناك . اين هو يا ابي ؟

بهدوء جابه اعصارى ..

ــ لقد رحل . قلت له : انت لا . ولكنه رحل . قال .. إنه يشعر بالخيانة قال .. إنه خان رفقاءه يوم اخبرك عنهم . وخانهم عندما تركهم دون توجيه . وخانني يوم عرفك دون علمي .. وخانك يوم وافق على الانضمام لمدينتك . قال إنه يكره الخيانة لذا عليه أن يرحل قال .. إنه يعشق الواقع ، وعليه ان يرحل . ورحل .

(٨)

عدت اصرخ بالاطفال من جديد ..

ــ الحق .. الخير .. العدل .

جفت حلوقهم وهم يرددون .. عيونهم جمرات ملتهبة . والخوف يغمرهم من ان ابصق فوق الارض من جديد .. وصدى ضحكات استاذى الجامعي اللزجة .. تغطي الجدران ووجوههم .. والارض .. دست فوقها هذه المرة بقوة .. ولم ابصق .. وعدت اهمس باطفالي ..

ــ امسحوا وجوهكم ورددوا بهدوء .. الحق .. الخير .. العدل .

كلثم جبر